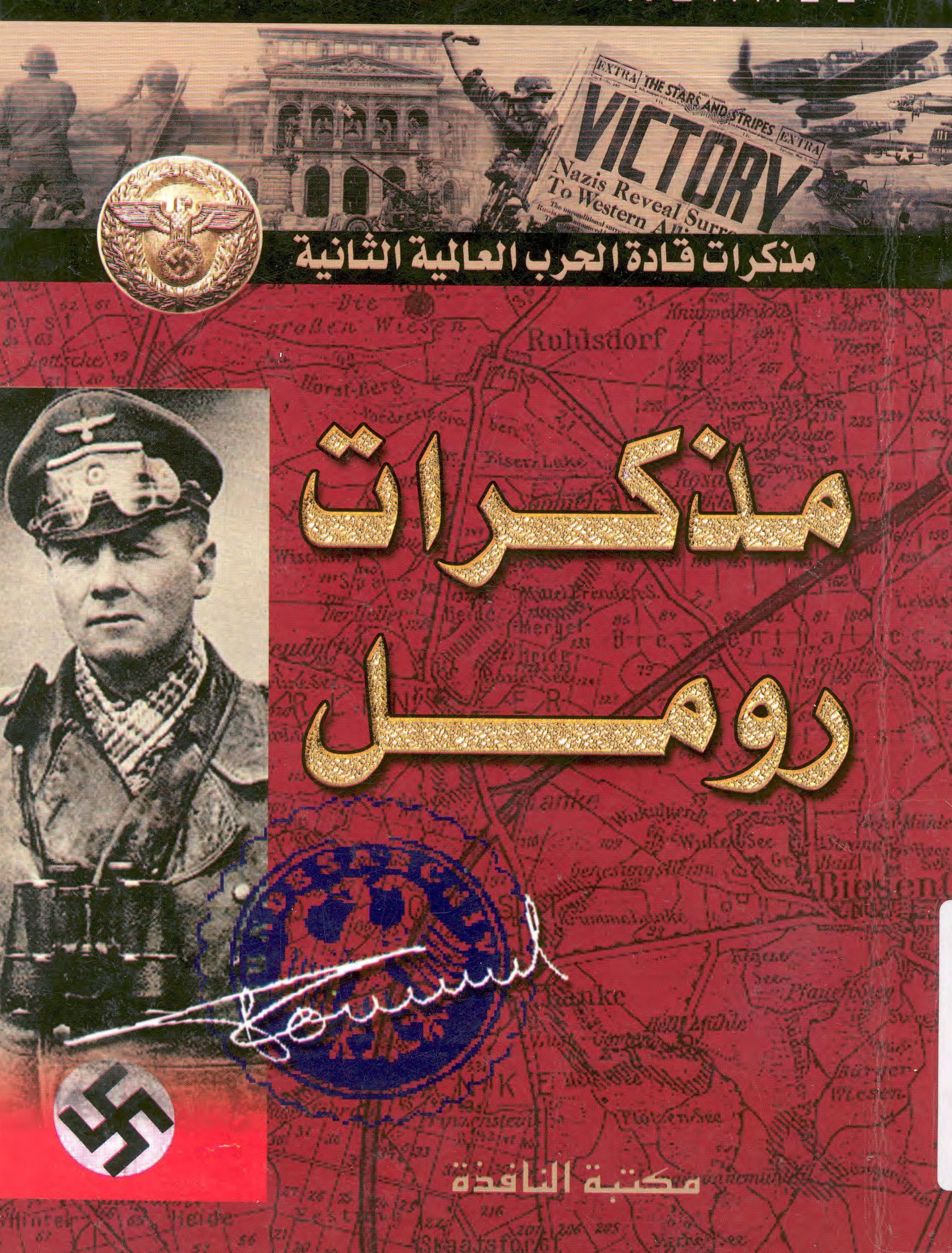
GENERAL ERWIN ROMMEL



مذكرات قادة الحرب العالمية الثانية

مذكرات رومل

مذكرات قادة الحرب العالمية الثانية

مذكرات روممل

عرض وتحليل وتقديم

د. أيمن محمد عادل

مكتبة النافذة

مذكرات روميل

عرض وتحليل وتقديم

د. ايمن محمد عادل

الطبعة الأولى / ٢٠٠٧

رقم الإيداع ١٠١٧٧ / ٢٠٠٧

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة



الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى

الثلاثينى (ميدان الساعة) - فيصل

Tel: 37241803 Fax: 37827787
Mob: 012 3595973
Email: alnafezah@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«إيروين رومل»، ولد فى ١٥ نوفمبر ١٨٩١م فى مدينة «هايدنهايم» الألمانية، كان يلقب بثعلب الصحراء، كان قائدًا ألمانياً أثناء الحرب العالمية الثانية فى العلمين فى الصحراء الغربية، توفى فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٤٤م.

خسر حرب العلمين فى «مصر» على يد الجنرال الإنجليزى «مونتجمرى» قائد الجيش الثامن البريطانى (فئران الصحراء) فى أكتوبر ١٩٤٢م، ليس لعدم كفاءته أو لكفاءة خصمه، بل لعدم توفر دعم جوى لديه وكذلك نقص حاد فى الوقود، بينما كان خصمه يتمتع بتفوق جوى مطلق ونسبة قواته تعادل ٣:١ ، وقد اختلقت الدعاية البريطانية أسطورة مونتجمرى لتعزيز معنويات جنودها المهزوزة.

أما «رومل» فكان قائداً يتمتع بحس تكتيكى واستراتيجى رائع قلما نجده بين القادة، شارك فى حملة فرنسا ١٩٤٠ وقاد الفرقة المدرعة السابعة (بانزر) التى سميت بالشبح، ويعتبر «رومل» واضع التكتيكات المستخدمة إلى يومنا هذا فى قتال المدرعات حيث تم ابتكار معظم التكتيكات هذه فى حملة شمال أفريقيا.

فى ٣ مارس عام ١٩٤٣م قاد الفيلد مارشال الألمانى «رومل» القوات الألمانية والإيطالية فى معركة «ميدنين بالصحراء التونسية»، التى كانت آخر معاركه فى شمال أفريقيا، وهى المنطقة التى شهدت أمجاده العسكرية عندما أحدث انقلابا فى الفكر العسكرى بمناورات شديدة الإبداع أدت إلى تحقيق انتصارات كبيرة على القوات البريطانية وإجبارها على التراجع من ليبيا إلى مصر حتى منطقة العلمين شمال غرب مصر.

وكان «رومل» قد تولى قيادة القوات الألمانية والإيطالية الحليفة فى شمال أفريقيا عام ١٩٤١، واستطاع استرداد ليبيا من قبضة البريطانيين بعد معارك خاطفة مما دفع الزعيم النازى «أدولف هتلر» إلى ترقيته لرتبة فيلد مارشال ليصبح أصغر ضابط يحصل على هذه الرتبة فى الجيش الألمانى، ولكن الخلل الكبير فى موازين القوة بين القوات الألمانية التى يقودها والقوات البريطانية التى استطاعت الحصول على إمدادات هائلة قبل معركة العلمين، فى الوقت الذى كانت القوات الألمانية تفتقد حتى إلى الكميات الكافية من الوقود اللازم لتسيير المركبات والمدرعات، الأمر الذى قيد حرية «رومل» فى ممارسة هوايته المفضلة وهى المناورات السريعة والمفاجئة، فكانت النتيجة هى هزيمة الألمان فى معركة العلمين لتتخذ معارك شمال أفريقيا اتجاهاً معاكساً، حيث توالت هزائم الألمان واضطروا إلى التراجع إلى ليبيا، ولكن القوات البريطانية واصلت الضغط على فوات «رومل» فتراجع إلى الصحراء التونسية حيث اشتبك فى معركة مع قوات الحلفاء فى منطقة ميدنين التونسية، وانتهت بهزيمته أيضا فأمر «هتلر» بإعادته إلى ألمانيا خاصة وقد ترددت أنباء عن انتقادات «رومل» لقيادة «هتلر».

وبعد عودته إلى ألمانيا، ألقى القبض عليه بتهمة التآمر على حياة «هتلر»، حيث خيره الزعيم النازى بين تناول السم والموت منتحرا والإعلان عن وفاته متأثرا بجراحه ليحتفظ بشرفه العسكرى، أو يقدم إلى محكمة الشعب بتهمة الخيانة فاختار الأولى وانتحر فى الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٤٤م.

أيها القارئ الكريم، أقدم لك مذكرات «رومل» التى تكشف لنا عن أخطر أسرار الحرب العالمية الثانية، ونجاح استراتيجية حرب الصحراء، كل هذه المواضيع تقرؤها فى هذا السفر الخالد.

د. أيمن محمد عادل

قصة مذكرات رومل

ترك والدى بعد وفاته مجموعة من الوثائق التى جمعها أثناء حملاته، وكذلك ترك عددا من المجلدات تشكل مذكراته الشخصية عن حملة فرنسا عام ١٩٤٠، وعن الحرب فى الصحراء.

وبعد الحرب العالمية الأولى، نشر والدى كتاباً عن تكتيكات المشاة، وكان عازما بلاشك أن ينشر كتاباً آخر عن القواعد العسكرية المستقاة من اختباراته فى الحرب العالمية الثانية ومن اللحظة التى اجتاز فيها الحدد فى ١٠ مايو ١٩٤٠، بدأ فى كتابة تعليقاته الشخصية عن عملياته، وكان يمليها يوميا على أحد مساعديه، وكلما سمحت له الظروف يقوم بتجهيز تقرير أكثر دقة للأحداث التى وقعت، بالإضافة إلى احتفاظه بكل أوامره الرسمية وتقاريره ومستنداته، يضاف إلى ذلك مئات الخرائط والتصماميم عن عملياته التى رسمها بالألوان هو أو أركان حربه، كما كانت لديه مشاريع لخرائط كان ينوى أن يضمها لكتبه التالية.

وعندما أسفرت الأحداث عن نتائجها الوخيمة، وخشى والدى ألا تسمح له الظروف بإتمام أعماله الكتابية وألا تبقى بعد وفاته، إذا أسىء فهم مقاصده، لذلك عندما رجع من أفريقيا، أخذ يجهز أوراقه فى سرية كاملة.

وفى أغسطس عام ١٩٤٣، عندما رجع من فرنسا، بدأ فى تدوين تعليقاته عن الغزو، ولكنه أتلفها عندما تأكد أنه من الأفراد المشكوك فيهم، وذلك لاشتراكه فى مؤامرة ٢٥ يوليو، وقد سلم قسماً من هذه الأوراق؛ لأنه لم يتوفر له الوقت لإتلافها.

وخلال الأشهر التى سبقت اندلاع الحرب، قاد والدى الكلية الحربية فى وينرمستادت، التى تبعد حوالى ٣٠ ميلا جنوب فينا، وكانت الكلية تقع ضمن قصر قديم كبير، استعملنا جزءاً منه كمسكن لنا.

وفى عام ١٩٤٣، عندما بدأت غارات القاذفات البريطانية والأمريكية على المدينة وأصبح منزلنا مهدداً بالخراب، خبأنا جزءاً من أوراق والدى فى أقبية القصر، وأرسلنا قسما منها إلى مزرعة فى جنوب غرب ألمانيا، وأخذنا الباقى معنا عند انتقالنا فى خريف عام ١٩٤٣ من وينرمستادت إلى هرلينجن.

وبعد وفاة والدى، زادت لهفة والدتى على الحصول على أوراقه، وذلك حتى يمكن إظهار الحقيقة عند تدوين التاريخ.

وراجت والدتى على الفور تحاول جمع كل الأوراق التى كانت بالمنزل، وذهبت إلى وينرمستارت لاسترجاع الوثائق التى تركناها هناك.

وبدأت والدتى بالتعاون مع عمتى والكابتن «الدينجر» فى جمع كل الأوراق وهم على أهبة الاستعداد للرحيل إذا ما دعت الحاجة، وكانت تنوى بعثرتها فى عدة أماكن، حتى إذا عثر على مخبأ منها يصعب إيجاد بقية المخابئ.

وفى منتصف أكتوبر ١٩٤٤، صدرت الأوامر إلى الكابتن «الدينجر» بالحضور إلى محطة السكة الحديدية فى «أولم»، وقيل له إنه سيقابل هناك أحد الضباط من أركان حرب الجنرال «مايزال» الذى سيناقشه فى بعض الأمور، وكان الجنرال هذا هو الذى جاء لاصطحاب والدى منذ شهر، وقد سارعوا لإخفاء ما تبقى من الأوراق.

وفى مساء يوم ٤ أكتوبر لم يبق فى المنزل سوى الوثائق الرسمية المحظور تداولها والمشار إليها بـ «سرى» والتى يجب تسليمها، بينما تم إخفاء كل الأوراق الشخصية ومسودة الكتاب.

وفى صباح يوم ١٥ أكتوبر، غادر «الدينجر» بلدة «هرلينجن» ليذهب إلى «أولم»، وحوالى الساعة الثالثة وصل «الدينجر» حاملا تحت إبطه رابطة كبيرة مغلفة بورق أبيض، وكانت تحتوى على عصا المرشالية والقبعة التى كان يرتديها والدى.

أما معظم وثائق والدى فقد تم توزيعها وإخفاؤها، وكانت مخبأة فى مزرعتين منفصلتين فى جنوبى غربى ألمانيا.

أما مذكرات والدى عن معركة «نورماندى»، فقدم قام أحد أصدقائنا بإخفائها فى علبة بين حوائط منزل خرب فى «شتوتجارت»، أما مذكرات والدى عن أعوام ١٩٤٣ - ١٩٤٤، فخبأناها فى أحد المستشفيات، وأرسلنا قسما منها إلى عمتى فى «شتوتجارت»، وإحتفظت والدتى فى المنزل فى «هرلينجن» بمذكرات والدى والتى تضم المسودة الأصلية عن أفريقيا والأفلام التى أخذها والدى فى الحملة على فرنسا عام ١٩٤٠، ورسائله الشخصية لها.

وخلال النصف الثانى من أبريل عام ١٩٤٥، بدأ الضرب بشدة، فانهالت القنابل الشديدة الانفجار الأمريكية على «أولم»، وشبت الحرائق فى أماكن كثيرة ليلا ونهارا، وفى يوم العشرين من أبريل، وبينما كانت والدتى تنظر من نافذة المنزل شاهدت الدبابات الأمريكية تقترب من «أولم»، فقلقت والدتى على الوثائق، وراحت تهيئ الخطابات والمذكرات والأفلام، بحيث يسهل أخذها معها فى أول فرصة، فجمعت جزءا منها فى شنطتها القديمة وبمساعدة الجيران دفنتها فى حديقة المنزل.

ثم قدم الكابتن «مارشال» من الجيش الأمريكى، لزيارة والدتى حيث سألها عما إذا كانت لديها أى وثائق فى المنزل، وظنت والدتى أن الرسائل الخاصة لن تصادر فقالت له لا يوجد لديها سوى الرسائل الشخصية التى كتبها لها زوجها، وعندما

سألها عن مكانها، أخذته إلى القبو، وما إن شاهد الملفات المحتوية على الخطابات، قال: إننى مضطر لأخذها معى، وسنطلع عليها ونعيدها إليك بعد عدة أيام.

وبعد ذلك قيل لوالدتى إن الخطابات ستبقى عندهم لفترة، وبعد ذلك بأسبوعين جاء إلى والدتى مترجم الكابتن «مارشال»، الذى قال لها إن الكابتن يأسف جدا لأنه لن يتمكن من أن يفى بوعده، لأن الجيش قرر إرسال تلك الوثائق إلى واشنطن.

وفى صباح ذات يوم فى منتصف مايو، طلب من والدتى أن تترك البيت فى الساعة التاسعة لأن وحدة أمريكية ستقيم فيه، وبينما كانت والدتى تحزم أغراضها راح الجنود الأمريكيون يفتحون الأدراج والخزائن باحثين عن وثائق والدى، ولكنهم لم يعثروا على الكثير منها، ونجحت والدتى فى إنقاذ حقيبة كبيرة تحتوى على أفلام ومخطوطات والدى عن الحملة الأفريقية، والتاريخ الرسمى لعمليات الفرقة السابعة المدرعة فى فرنسا عام ١٩٤٠.

أما الأوراق التى أرسلنا بها لأماكن أخرى فقد اختلف مصيرها، ففى إحدى مزارع الحبوب فى غربى ألمانيا، وصل بعض الأمريكان الذين أعلنوا أنهم من المخابرات وطلبوا الاطلاع على الرزم التى أرسل بها الفيلد «مارشال رومل» إلى هناك، ولسوء الحظ أن بعض هذه الحقائب والصناديق قد أحضرت من القبو ونقلت إلى المنزل نفسه.

وصادر الأمريكيون صندوقا وحقيبة، تحتوى وثائق والدى ومذكراته عن الحرب العالمية الأولى، أما الحقيبة فكانت تحتوى على جهاز ثمين للتصوير خاص بوالدى وحوالى ثلاثة آلاف صورة التقطها والدى بنفسه، وإحداها كانت تبين وحدة المشاة الأسترالية تهجم بالسلاح الأبيض، وكانت هناك آلاف الصور التى جمعها من مراسلى الحرب والجنود ما بين ١٩٤٠ و١٩٤٤.

وبقى فى المزرعة صندوق آخر يحوى المذكرات اليومية الخاصة بوالدى من عام ١٩٤٠ إلى عام ١٩٤٣، بالإضافة إلى مذكراته عن الحملة الفرنسية فى عام ١٩٤٠، كما كان يوجد صندوقان آخران، وقد سرق مجهول أحد الصناديق التى تحتوى على مذكرات والدى وتحليله لحملة فرنسا فى سنة ١٩٤٠.

أما المزرعة الأخرى، فقد استولت عليها قوة مراكشية، وقام المراكشيون بتفتيش المكان بدقة مرات عديدة، ولكن لحسن الحظ لم يشك أحد منهم فى وجود قبو آخر خلف كومة من الصناديق الفارغة، وكانت هذه هى الطريقة التى سلمت بواسطتها الوثائق. كما أن الأوراق التى بقيت عند عمتى، والتى دفنت فى خرائب «شتوتجارت»، فقد نجت أيضا بعد انهيار ألمانيا.

وبعد مغادرتنا لمنزلنا فى «هيرلنجن»، وجدت والدتى غرفة صغيرة فى مكان قريب إلى هناك حيث أحضرت ما تبقى لديها من الوثائق، فأخرجت الصندوق المدفون فى الحديقة فى «هيرلنجن» ونقلته إلى مكان آخر، وأحضرت الصناديق التى كانت فى المزرعة بعد أن غادرها المراكشيون. ثم انتقلت والدتى إلى قبو آخر فى مدرسة «هيرلنجن»، وأخذت معها كل هذه الوثائق. وعلمت والدتى أنهم ينوون توجيه تهمة التعاون مع النازيين إلى والدى غيابيا بعد موته، وذلك ليتمكنوا من مصادرة ما خلفه، فقامت والدتى على الفور بتهريب الوثائق بعيدا عن محل سكنها.

وقد شجعنى «البريجاردر يونج» والكابتن «ليدل هارت»، على نشر مذكرات والدى، فبدأت على الفور تجميع الوثائق من مخابئها المختلفة.

وقام الجنرال «سبيدل»، رئيس أركان والدى السابق، بمحاولات عديدة لاستعادة وثائق والدى. وطلب «البريجاردر يونج» من الجنرال «إيزنهاور» أن يتدخل لدى واشنطن لإرجاعها.

وأخيراً بفضل جهود الكـابتن «ليدل هارت»، وبعد بحث مضن سلمت الرسائل إلى الجنرال سـبيدل بواسـطة الكولونيل «ورروكى»، من قسم التـاريخ التابع للـجيش الأمريكى.

وعلمنا أنها لم تكن موضـوعة تحت اسم «روميل»، بل تحت اسم أورين، الذى وقعها به والدى.

ولكن لا يزال بعضهـا ضائعا، وخاصة تلك التى كـتبت فى وقت الغزو، ولكن بعض الرسائل التى تبحث فى هذه الفترة أعيدت فيما بعد لوالدتى.

وبعد عـودة هذه الرسائل، شـعرنا أننا استـرجعنا كل ما يمـكن استرجـاعه من أوراق والدى، التى نجت من الحرب، وقـد أحرق والدى بعضـها ليضـمن الأمان لنفسه، بالإضافة إلى تخوفه من أعمال النهب التى تصحب كل حرب.

مانفريد روميل

الباب الأول

غزو فرنسا

الفصل الأول
الاختراق على نهر الموز

أسرع زحف فى التاريخ

كتب «ليدل هارت» فقال:

فى اليوم العاشر من أيار عام ١٩٤٠، قام «هتلر» بهجومه الكاسح على الجبهة الغربية، وقد حقق نصرا خاطفاً غيّر مجرى التاريخ.

وفى يوم ١٣ مايو من نفس العام، بدأت المرحلة الحاسمة من هذه المأساة التى هزت العالم، وذلك عندما اجتاز «فيلق جوديريان» المدرع نهر «الموز» الواقع على مقربة من «سيدان»، كما اجتازته فرقة «رومل» المدرعة بالقرب من «دينانت»، وأدى هذا إلى إيجاد ثغرات ضيقة تحولت بعد ذلك إلى فجوة واسعة دخلت من خلالها الدبابات الألمانية حتى وصلت إلى شاطئ البحر خلال أسبوع، وبذلك عزلت الجيوش الحليفة فى «بلجيكا»، وأدت هذه الكارثة إلى انهيار فرنسا، ومن ثم عزل بريطانيا.

وكان الاعتقاد سائداً أن الجيوش الألمانية متفوقة بشكل كبير على الحلفاء من ناحية العدد، ولكن الحقيقة أن الهجوم بدأ بحوالى ١٣٦ فرقة يقابلها ١٥٦ فرقة للفرنسيين والبريطانيين والبلجيكيين والهولنديين، لم تكن ألمانيا متفوقة إلا فى الطيران، أما الدبابات فقد كان لدى الألمان أقل من ٢٨٠٠ دبابة مقابل ٤٠٠٠ دبابة للأعداء، بالإضافة إلى أنها كانت ضعيفة من ناحية التدريب والتسليح بشكل عام، وإن كانت متفوقة من ناحية السرعة.

وامتاز الألمان بالهجوم الجوى والسرعة التى استخدموا فيها دباباتهم، والأسلوب الكاسح الذى استطاعوا ابتكاره.

وكانت الفرق الألمانيـة التى يبلغ عددها ١٣٦ فرقة منها ١٠ فرق مـدرعة فقط، استـخدمت كرؤوس حـراب، فإستطاعت أن تبـرز فى المعركـة لحين وصول باقى الحشـود الألمانية إلى مـيدان المعـركة، وكان ممكنـا وقف هذا النصر، لولا الانهـيار المعنوى الشامل الذى ساد القادة والقوات الحليفة.

وكانت خطة الهجوم فى الغرب تسيـر على نفس الطريقة التى سارت عليها خطة «شلايفين» أثنـاء الحرب العالميـة الأولى، فكانت تقضى بحـشد العـدد الضخم فى الجناح الأيمن، حيث كان على مجموعة الجيش (ب) تحت قيادة «فون بوك» أن تتقدم مجتازة سـهول بلجيكا، ولكن فى أوائل عام ١٩٤٠ تبدلت الخطة بعـد اتباع اقتراح «مانشتاين» الذى يتطلب القـيام بهجوم أجرأ وغير منتظر عبـر منطقة التلال والغابات فى جبـال «الأردين»، فى اللكسمبـورج البلجيكيـة، وبذلك يكون مركز الثـقل قد تحول إلى مـجموعة الجـيوش (أ) تحت قيادة «فـون رونشتد» التى كانت مـقابل هذا القطاع، لذلك أعطيت سبعة فرق مدرعـة من أصل العشرة، وازدادت النسبة أيضا من فرق المشاه.

وكان الهـجوم الرئيسى نحـو نهر «الموز»، تقوده مجـموعة «كـلايست» المدرعة وتسير فى طليعة جيش ليست الثانى عـشر، وكان لها رأسا حربة، كان أقواها «فيلق جوريريان» المؤلف من ثلاث فرق مـدرعة، والمكلف بالضربة الحاسـمة بالقرب من «سيـدان»، بينما كـان رأس الحربة الآخـر «فيلق راينهـا ردت» المؤلف من فـرقتين مدرعتين، ويتقـدم على يمين «فيلق جوديريان» وهدفه العبور عند «مونثـيرم»، كما يليه إلى اليمين، «فيلق هوث» المدرع بقيـادة «فون كلوجة» قائد الجيش الرابع، وكان عليه أن يتقدم عـبر «الأردين الشمالية»، بالإضافة إلى حـماية جنب «كلايست»، ثم عبور نهر «الموز» بين «جـيفت» و «نامور». وهذه الضربة الثنائية كـان لها رأسا حربة على نطاق أضـيق، وهما وبالتوالى الفـرقتين الخـامسة والسـابعة المدرعـتين، وكان «رومل» يقود الفرقة السابعة المدرعة والتى تضم ٢١٨ دبابة.

ولم يقابل فى اليـوم الأول للهجوم إلا مقـاومة خفيـفة، فقد كان مـعظم الجيش البلجيكى محتشدا للدفاع عن سهول بلجـيكا بمدنها الرئيسية، أما مسألة الدفاع عن منطقة التلال والأحراش لكسمبرج البلجيكية، فقد قامت بها القوات الخاصة المسماة بـ «صيـادو الأردين»، فقـد كان عليـهم صد الهـجوم بقدر الإمكـان لحين وصول القوات الفرنسيـة، لتغطية هذا الاقتراب الجانبى الواسـع نحو حدودهم، وكان هذا هو تقدير الموقف الذى قامت عليه الخطة البلجيكية.

أما الخطة الفرنسية، فكانت تقوم على أساس هجـومى محض؛ فقد كانت مهمة الجيش الأول والسابع، ويشملان معظم الفرق الميكانيكيـة الفرنسية التقدم إلى الأمام بعيـدا فى سهول بلجـيكا، بالتعاون مع القـوات البريطانيـة، وفى نفس الوقت يقوم الجيش التاسع بالتقدم فى حركة التفاف داخل الحدود البلجيكية، ثم ينتشر على طول نهر «الموز» من «ميزير» إلى نامور، ويتكون من سبع فرق مشاه وفرقتين من الخيالة.

وفى ليلة ١٠ مايو، تقدمت الخـيالة الفرنسية إلى الأمام عـبر نهر «الموز»، ثم فى اليوم التـالى تغلغلت بعـمق فى «الأردين»، حيث واجـهت الفرق المدرعـة الألمانية المتحركة بسرعة، والتى كانت قد انتصرت على معظم المقاومة البلجيكية هناك.

*** الفرنسيـون يقـاومـون بقـوة:**

يقول «رومل» :

راح العدو يهيِّىء فى الشـهور الماضية، وفى القطاع المخـصص لفرقتى، الموانع من كل نوع، فسـدوا كل الطرق والممرات عبر الـغابات، وقاموا بعـمليات النسف على نطاق واسع فى الطرق الرئيسية، ولكن أغلب التحصينات فى الطرق لم يدافع عنها البلجيكيـون، لذلك لم تتوقف فرقتى وقـتا طويلا فى أى مكان إلا فى حالات قليلة، وبدأت كل القوات في العـمل بسرعة للتعاون مع المـواقع، ومهدت الطريق فى وقت قصير.

وعندما تصــادمنا للمرة الأولى مع القوات الفرنســية الميكانيكية، أجبــرت النيران التى فتحناها عليها بسرعة إلى انسحاب تلك القوات.

ويتابع «ليدل هارت» كتابته فيقول:

تابعت قوات «رومل» المتقدمة بعد انسحــاب الفرقتين الأولى والرابعة من الخيالة الفرنسيــة، ووصلت إلى نهر «الموز» بعد ظهر يوم ١٢ مايو، وكان هــدفها الإسراع بالعبــور، فى أعقاب الفرنســيين واحتلال رأس الجســر على الضفة الغــربية، ولكن الفرنسيين نســفوا الجسور عند «دينانت وهوكس»، فى الــوقت الذى بدأت فيه أولى دباباته فى عبورها، ولذلك اضطر «رومل» إلى الهجوم عبر الــنهر، مستخدما قوات محــملة فى قوارب من المطاط، وقد ابتدأ هــذا الهجوم فى وقت مبكر من صــباح اليوم التالى، وتكبد خسائر كبيرة قبل أن يتمكن من تحقيق النصر.

ويتابع «رومل» كتابته فيقول:

فى ١٣ مايو، تقدمت إلى «دينانت» مع الكابتن «شيربيلر»، وكانت مدفعية الفرقة قد أخذت مواقعها حسب الأوامر، وكانت نقط مراقبتها الأمامية موجودة عند نقط العبور، وكانت قنابل المدفــعية الفرنسية تتســاقط على المدينة من غرب نهر «الموز»، ولم يكن هناك أى أمل فى وصول عربات قيــادتى وإشارتى، عبر الخط الحاد المؤدى لوادى «المور» بدون ملاحظتها، لذلك تقدمت أنا «وشيــربيلر» سيراً على أقدامنا عبر الغابة إلى قعر الوادى.

وعند وصولى لم أجــد الموقف مرضــيا، فالفــرنسيون ينســفون قواربنــا بنيرانهم الحاميــة مما أدى إلى توقف عملية العبور، وكــانت قوات العدو تنفذ قواعــد الإخفاء والتمويه فلم نتمكن من تحديد أماكنها، وكــانت توجه نيرانها المرة بعد الأخرى نحو منطقة قيــادتى ومنطقة قائد لواء المشاة وكتــيبة المهندسين، واقترحت عــمل ستار من

الدخان فى وادى «الموز» ليحمى قواتنا من نيران العدو، ولكن لم يكن لدينا فى ذلك الحين وحدات لتوليد الدخان، لذلك أمرت بإضراب النار فى عدد من المنازل الموجودة فى الوادى لتوفير الدخان الذى نحتاجه، وبمرور الوقت ازدادت نيران العدو قوة.

وفى الوقت نفسه، سقطت قرية «جرانج»، الواقعة على بعد ميل وربع غربى «هوكس» ونهر «الموز» وثلاثة أميال شمالى غربى «دينانت»، فى أيدى الكتيبة السابعة من راكبى الدراجات، إلا أنها لم تقم بتطهير النهر بشكل صحيح كما يجب، لذلك أصدرت أوامرى بتطهير الصخور على الضفة الغربية من الأعداء.

وقمت بصحبة الكابتن «شيربيلر» بالتحرك فى دبابة بانزر ماركة ٤، على الطريق على طول وادى «الموز»؛ لكى أراقب بنفسى الموقف، وتعرضنا فى الطريق للنيران الموجهة من الضفة الغربية لمرات متكررة، وقد جرح «شيربيلر» فى ذراعه من شظايا قنبلة، وفى نفس الوقت كانت فرق المشاة الفرنسية تستسلم فرادى أثناء اقترابنا.

وعند وصولنا كانت الفرقة السابعة قد نجحت فى إرسال سرية عبر النهر إلى الضفة الغربية، ولكن نيران العدو أصبحت من القوة بحيث دمرت معدات العبور تماما، فتوقف العبور، وكان من الواجب رؤية الأعداء الذين يقاومون العبور، ولم أجد أى أمل فى أن تعبر قوات أخرى من غير أن تساندها المدفعية القوية والدبابات لتتعامل مع مخابئ العدو؛ لذلك عدت إلى رئاسة الفرقة، حيث قابلت قائد الجيش «فون كلوجه»، وقائد الفيلق «هوث»، وبعد مناقشة الموقف أنا والماجور «هايد كامبر»، أجرينا بعض التجهيزات اللازمة، ثم تقدمت إلى قرية قريبة من «دينانت» لأراقب عملية العبور هناك، وأصدرت أوامرى بوجوب إحضار بعض الدبابات بانزر ٤، وفرقة المدفعية عند نقطة العبور.

وغادرت عربة القيادة ومشيت عبر المزارع المهجورة نحو «الموز»، وألقينا نظرة سريعة على الجسر الذى سده العدو بألواح من الصلب ذات أسنان حادة، وقمنا

باستغلال توقف إطلاق النيران للحظة فى وادى «الموز»؛ فتدفقنا إلى اليمين وإلى نقطة العبور ذاتها، وشاهدنا الكثير من دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة تحتل مواقع إلى الشرق من المنحدر، ولكن يبدو أنها استهلكت معظم ذخيرتها، ومع هذا فقد وصلت الدبابات التى أمرت بإرسالها إلى نقطة العبور بعد وقت قصير، وتلاها مدفعان هاونزر من كتيبة «جريزمان».

وصار تغطية كل النقط على الضفة الغربية بالنيران، وبعد ذلك بمدة بسيطة انهالت النيران من جميع الأسلحة على الصخور والمبانى، واستطاع الملازم «هانكة» إصابة الجسر بعدة إصابات مباشرة، وتحركت الدبابات إلى الشمال بمحاذاة النهر، وتحت ستار هذه النيران تحركت قوات العبور مرة أخرى ببطء وشرعت فى العمل.

ثم اتجهت شمالا فى خور عميق إلى السرية إينكفورت، ولدى وصولنا سمعنا إنذاراً بأن دبابات العدو تواجهنا، ولم يكن بحوزة الفرقة أسلحة مضادة للدبابات، فأصدرت أمراً بفتح نيران الأسلحة الصغيرة ضد الدبابات وبأقصى سرعة ممكنة، ولم تلبث الدبابات المعادية أن انسحبت إلى وادى يبعد حوالى ألف ياردة شمالى غربى «ليف»،واستسلمت أعداد كبيرة من القوات الفرنسية التى كانت مختبئة فى الأحراش.

ثم تقدمت ومعى «موست» مرة ثانية إلى «الموز»، واتجهت للضفة الأخرى ثم إلى الشمال، ومعى دبابة وعربة إشارة حتى وصلت إلى نقطة العبور، وقد أبلغنى الكولونيل «ميكل»، قائد الكتيبة المضادة للدبابات، أنه تم نقل عدد من المدافع المضادة للدبابات إلى الجهة الغربية، وقد لاحظت أن سرية من كتيبة المهندسين كانت منهمكة فى إقامة معابر حمولة ٨ طن، فأوقفتهم عن العمل وطلبت منهم إنشاء معابر حمولة ١٦ طن، وكنت أقصد من ذلك دفع جزء من الفريق المدرع للعبور إلى الناحية الثانية بأسرع ما يمكن، وما إن انتهى المعبر حتى عبرته بسيارتى ذات

الثمانى عجلات. وفى نفس الوقت قام العدو بهجوم قوى، وكانت أصوات ضرب مدافع الدبابات تسمع من بعيد وهى تقترب من الجسر المقام على ضفة «الموز».

وعندما وصلت إلى رئاسة اللواء الغربية، وجـدت الموقف متدهور بالفعل؛ فقد جرح قائـد كتيبـة الدراجات وقتل أركان حـربه، علاوة على إصابة قواتنا بخـسائر فادحـة نتيجـة لهجوم فرنسـي معاكس، وكان منتـظرا أن تصل دبابات الأعداء إلى وادى «الموز» نفسه، مما سيزيد من خطورة الموقف.

وتركت عربة إشـارتى وعبرت النهـر مرة أخرى، لأصدر الأوامـر بنقل السرية الأولى المدرعة إلى الناحـية الغربية، على أن يتم ذلك أثناء الليل، وفى صـباح اليوم التالى لم يصل للجهة المقابلة سوى خمس عشرة دبابة.

وفى ١٤ مـايو، علمنا أن الكولونيل «فـون بسمـارك» قام بهـجوم بالقـرب من «أونهاى»، على بعد ٣ أميال غرب «دينانت»، حيث اشتبك مع قوات كبيرة للعدو، وبعدها بقـليل وصلت رسالة باللاسكى، تقـول إن «بسمارك» قـد حوصـر تماما، فقررت أن أبادر إلى نجدته على الفور.

وعليـه بادرت إلى إرسـال الفرقـة ٢٥ المدرعـة بقيـادة الكولونيل «روثنبـورج»، وتقدمت قرب وادى «الموز» بثلاثين دبابة، ولم يصادف أى مقاومة حتى بلغ واد يبلغ خمسمائة ياردة إلى شمالى شرق «أونهاى».

وعلمنا بأن الرسـالة التى بلغتنا قـبل ذلك كانت تقـول إن «بسمـارك» قد وصل وليس مـحـاصراً، وهو الآن يحـاول أن يدفع بسـرية هجـوم لتلتف حـول الطرف الشمالى «لأونهاى» لتؤمن مخرجها الغربى، وهذه العملية كانت ذات أهمية كبيرة، لذلك وضعت خمس دبابات تحت تصرف «فون بسمارك» لتقوم بتغطية هجوم المشاة عند المضيق فى غرب «أونهاى».

وأصدرت التعليمات «لروثنبورج» ليتحرك حول جانبى الغابة ليدرك منطقة للتجمع حددتها له، ثم ركبت دبابة بانزر ٣ وسرت خلفه على بعد بسيط.

وتحرك «روثنبورج» ومعه الدبابات الخمس التى ستقوم بمرافقة المشاة وكان يتقدمنا بمسافة مائة أو مائة وخمسين ياردة، وتبعه بعد ذلك فى التقدم حوالى عشرون أو ثلاثون دبابة، ووصل قائد الدبابات الخمس إلى سرية البنادق على الناحية الجنوبية لغابة أونهاى ولكنه لم يسمع أى صوت لأسلحة العدو، بينما تقدم الكولونيل «روثنبورج» من طرف الغابة نحو الغرب فوصلنا إلى الناحية الجنوبية منها، وكنا على أهبة الاستعداد لعبور مزرعة منخفضة عندما بدأ العدو يقصفنا فجأة بنيران شديدة من الغرب، وأصيبت دبابتى بطلقتين، وقد أصبت بجرح فى وجنتى، ولكن إصابتى لم تكن خطيرة، وفى هذا الوقت أحضر الملازم «موست» عربة إشارتى المدرعة إلى الغابة، ولكنها أصيبت هى الأخرى فى محركها وتوقفت، وبعد ذلك أصدرت أوامرى للدبابات بالسير عبر الغابة نحو الشرق.

وكانت السيطرة تامة على المعركة غرب «الموز» والمرونة كاملة لمواجهة الموقف المتطور؛ وذلك لأن التطور كان كاملاً بين قائد الفرقة ووحداته، فضلا عن تحركهم معه دائما، فتمكن بذلك من إعطاء أوامره مباشرة لقادة الآليات فى أقصى الأمام.

* المفاجأة تشل تفكير القائد الفرنسى.

ويعلق« ليدل هارت» فيقول:

لقد أحدث «رومل» بتقدمه فى هذا اليوم صدعاً فى الجبهة الفرنسية أسفرت عنها نتائج خطيرة، فبعد الظهر كانت قوات «راينهاردت» المدرعة قد اجتازت النهر عند «مونترميه»، وقوات «جودريان اجتازته» عند «سيدان»، ولكن «رينهاردت» لم يحتل إلا منطقة ضيقة، وقد قاتل بضراوة للاحتفاظ بها ولكنه لم يتمكن من إنشاء جسر

لعبور دباباتـه حتى وقت مبكر من يوم ١٥ مايو، فضـلا عن أن مخرج «مونتـرميه» كان يمر فى مكان ضـيق يمكن قطعه بسـهولة، أما قـوات «جودريان» فكانت أكـثر نجاحاً، إذ تمكـنت فرقة واحدة من فرقـه الثلاث من إنشاء رأس جـسر كاف، وفى اليـوم التالى أسـقطت مدفـعيـتهـا المضـادة للطائرات حوالى ١٥٠ طائرة فـرنسيـة وبريطانية، وبذلك تمـكنت من إزالة فاعلية القـذف، وبعد ظهر ذلك اليـوم، كانت فرق «جـودريان» المدرعة الثلاث قد اجـتازت النهر لتـصد الهجمـات المضادة من الجنوب، ثم تحـول «جـودريان» إلى نقطة الاتصـال بين الجـيـشين الثـانى والتـاسع الفرنسيين، حيث بدأ ضغطه الشديد الذى تميز بالمهارة فى التنفيذ.

وفى هذه الليلة بالذات، اتخذ قائـد الجيش التاسع الفرنسى قراراً خاطئـاً ومميتاً، فأصدر أوامره بالتخلى عن نهر «الموز» وانسـحاب الجيش التاسع إلى خط آخر نحو الغرب.

ويتابع «رومل» كتابته فيقول:

فى يوم ١٥ مايو، قررت التقدم فى خط مستقيم بقفزة واحدة نحو هدفنا، على أن يقوم الفـريق ٢٥ بانزر بقيادة باقى الفـرقة تسانده المدفعـية والقاذفات المنقـضة إن أمكن، واعتمدت فى الأسـاس على المدفعية لدعم جانبى التقدم باعـتبار أن الفرق المجاورة كـانت لاتزال بعـيدة إلى الوراء، ورسـمت خطة تقدم الفـريق ٢٥ المدرع بحيث يمر خلف مشارف «فيليبفل»، مع تفادى كل اصطدام حتى نبلغ هدفنا، وبعد اشتباك قصـير مع دبابات العدو قرب «فلافيون»، تقدمت فرقـة البانزر عبر الغابات إلى «فيليـبفل»، ومرت بمدافع وعـربات كثيرة لإحـدى الفرق الفرنسـية التى هرب رجالها إلى الغابات عند وصول دباباتنا والتى كبدتهم خـسائر فادحة قاذفاتنا المنقضة، وتمكنا من تدمير مدافع العدو المضادة للدبابات ودباباته وسياراته المدرعة.

ووصلت ومعى «موست» للفرقـة الموجودة فى «فيليبفل»، فوجدتهـا مشتبكة فى قتال قرب «نيفيل»، وكانت المعركـة متجهة نحو الجنوب وتأخذ شكل المطاردة، ولم يكن فى نيتى الاتجاه نحو الجنوب إلى أبعد من ذلك، فأمرت بوقف المطاردة، على أن تستمـر فى التقدم إلى الشرق من «نيفـيل»، وعلى بعد ٥٠٠ ياردة إلى الجنوب من «فودسـبة» التـقينا مع جـزء من سرية «هتـيمـان» المدرعة والتى انضـمت إلينا، واشتـبكنا قرب هذه القرية مع قـوة ضخمة من الدبابات الـفرنسية، ولكن المعـركة انتهت بسرعة لصالحنا.

وبعد ربع سـاعة وصلنا طريق «دينانت فيليـبفل» الرئيسى، حيث قـابلت القوات القائدة التـى كانت تتابع هجـوم الدبابات، وبالقرب من «سـسنزيل» ٤ أميـال غرب «فيليـفيل»، أسرنا مجـموعة فرنسـية من راكبى الدراجـات المسلحين أثناء مرورهم أمامنا.

واستـمرينا بدون توقف نحو التـلال إلى الغرب من «سيـرفنثين»، وأخذ الظلام يهبط ببطء، فنظرت إلى الوراء من فوق التل إلى الشرق، فرأيت سحبا من الغبار لا نهاية لها، وهى بالطبع علامات مشجعة، باعتـبار أنها تشير إلى تحرك الفرقة السابعة المدرعة لاحتلال الأرض الـتى استولينا عليها، ولكن العدو تمكن قـرب العصر من التسلل ما بين الفريق المدرع ولواء المشاة، فنجم عن هذا تأخير تقدم لواء المشاه.

* اختراق خط ماجينو

وفى اليوم التـالى، ١٦ أيار عام ١٩٤٠، صدرت الأوامر من رئاسـة الفيلق بأن أبقى فى رئاسة فرقتى، ولـم أعلم السبب، ثم صـدرت إليّ الأوامر بالتحرك، وبعد أن وصلت إلى مقـر قيادتـى الجديدة، تلقيت تعليـمات بوجـوب التقدم عـبر خط «ماجينو» شرط أن أصل فى الليلة نفسها إلى التلال المحيطة «بأفيزن».

وبدأت أولى الكتائب فى التقدم بسرعة نحو «سيفرى» حيث وصلتها بدون قتال، وأخذت المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات أماكنها، وتلقت أوامرها بفتح نيرانها على الفور على مناطق معينة فى الجانب الآخر من الحدود، كى نرى هل سيحاول العدو الرد علينا، وفى هذا الوقت وصل الفريق ٢٥ بانزر، وتلقى التعليمات بعبور الحدود واحتلال «كليرفيه»، الواقعة على بعد ثلاث أميال، ولم تلبث بعد ذلك أن بدأت مدفعيتنا فى قصف تحصينات العدو دون أن تجاوبنا مدفعيته.

وركبت فى دبابة القائد كما فى اليوم السابق، واجتزنا الحدود الفرنسية بسرعة، ثم سارت الدبابات بعد ذلك على مهل نحو «كليرفيه» التى تبعد حوالى ميل واحد، وقد تلقينا إشارة من فريق الاستطلاع تفيد بأن الطريق عبر «كليرفيه» ملغم، فتحولنا إلى الجنوب وسرنا عبر الحقول على شكل نصف دائرة حول القرية، وفجأة وعلى بعد ١٠٠ ياردة رأينا قوة من الجنود الفرنسيين المسلحين، واندفع الجنود بسرعة داخل استحكاماتهم المسلحة عندما أطلقت دباباتنا نيرانها على هدف آخر، وبعد لحظات قصيرة تعرضت الدبابات القائدة لقصف شديد من المدافع الفرنسية المضادة للدبابات، كما فتحت الرشاشات الفرنسية نيرانها على المنطقة، فكبدتنا بعض الخسائر فى الجنود وفقدنا دبابتين.

وفى ذلك الوقت اشتبكت قوة من الفريق ٢٥ بانزر مع العدو غرب «كليرفيه»، فأصدرت أمراً للمدفعية بفتح نيرانها مع إقامة ستار من الدخان على أماكن من خط «ماجينو»، وبعد قليل جاء راكبو فرقة الدراجات مع فرقة المهندسين التابعة للكتيبة ٣٧ المدرعة، وتقدمت فرقة المشاة والمهندسين تحت حماية نيران الدبابات والمدفعية إلى المنطقة المحصنة، وبدأت فرقة المهندسين فى تجهيز أعمال النسف للسدود الفولاذية التى تعيق طريق تقدمنا.

والقوا بعبـوة تزن ٦ أرطال داخل الدشمة، ثم أمرنا العدو بالاستسلام، ولكن الأعداء رفضوا الخروج من الدشمة، فألقينا بعبوة أخرى، ولم يلبث أن خرج بعدها ضابط ومعه خمسة وثلاثون جنديا، وحاولنا أن نأسرهم، ولكنهم تغلبوا على قوة الاقتحام الصغيرة، وفروا تحت ستار رصاص الرشاشات الفرنسية التى ساعدتهم من دشمة أخرى.

وأخذ الليل يهبط ببطء إلى أن ساد الظلام، فأصدرت أمراً بالتغلغل داخل المنطقة المحصنة، والتقدم نحو «أفيزن» إلى أبعد حد ممكن، وأصدرت أوامرى للدبابات بتغطية الطرق والأمكنة القريبة بنيران رشاشاتها ومدافعها خلال التقدم إلى «أفيزن»، على أن تتقدم بقية الفرقة المدرعة خلف الدبابات القائدة وعن قرب، وتكون مستعدة فى أى لحظة للضرب على الجانبين.

* الذعر يستحوذ على الفرنسيين:

أخذت الدبابات تتقدم فى صف طويل مجتازة مواقع وتحصينات العدو بطريقها إلى المبانى المشتعلة بنيراننا، بينما كانت مدفعيتنا تضرب القرى والطريق أمام الفرقة بمسافة كبيرة، أمكننا زيادة سرعة التقدم تدريجيا، وتوغلنا ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ ثم إلى ٣٠٠٠ ياردة داخل منطقة العدو المحصنة، وعلى مسافة ميل إلى جنوب «سولرى لى شاتو» اجتزنا الخط الحديدى، ثم سرنا نحو الطريق الرئيسى الذى بلغناه بعد ذلك بوقت قصير، واستمر تقدمنا بسرعة ثابتة نحو هدفنا، وكنت فى كل وقت ألقى نظرة سريعة على الخريطة، وأرسل إشارة صغيرة إلى رئاسة الفرقة لأعلمها عن الموقف وعن نجاح فرقة ٢٥ البانزر، ثم عبرنا خط «ماجينيو».

وفجأة على يمين الطريق لاح وميض من تل يبعد حوالى ٣٠٠ ياردة، ولم يكن لدينا ريب فى أنه مدفع للعدو، فأعلمت «روثنبورج» بسرعة لينتبه، وأمرت

الفرقة ٢٥ بانزر، لتزيد من سرعتها وتخترق هذا الخط الثانى للدفاع، مع استمرار إطلاق النيران من اليمين واليسار، ولكن لم يكن سهلا وقف نيران العدو، وعبرنا قرى «سارزيوتيرى وبيجنى»، ومدافعنا تضرب، مما أدى إلى البلبلة بين العدو إلى أن نجحنا فى إسكات نيرانه، وتحركنا نحو«سيموزيس».

وعندما وصلنا إلى «أفيزن»، التى قصفتها مدفعيتنا قبل وصولنا بوقت قريب، رأيت السكان يسيرون على جانبى الطريق مذعورين بين العربات والمدافع أمام دباباتنا، وأيقنت على الفور بوجود تشكيلات فرنسية قوية داخل المدينة.

ولم أوقف التقدم بل أمرت كتيبة الدبابات بالتقدم إلى الأرض المرتفعة غرب أفيزن، لجمع الأسرى والعتاد الفرنسى، وعندما بلغت المشارف الجنوبية «لأفيزن»، بدأ إطلاق النار علينا من الخلف من «أفيزن»، ثم لم نلبث أن رأينا ألسنة اللهب ترتفع من بعض الدبابات أو السيارات المحترقة، كما فقدنا الاتصال بكتيبة الدبابات التى كانت خلفنا وبكتيبة الدراجات السابعة.

أما بالنسبة للعدو فى «أفيزن»، فقد أقفل الطريق بمساعدة الدبابات الفرنسية الثقيلة داخل المدينة، وحاولت الفرقة ٢٥ بانزر أن تشق طريقها، لكنها فشلت وتكبدت خسائر فادحة فى الدبابات، وازدادت حدة القتال فى «أفيزن» تدريجيا، وتمكنا من الاتصال لاسلكياً بالكتيبة الثانية، وأخيراً تمكن هانكة من تحطيم جزء كبير من مقاومة الدبابات الفرنسية، وتوقفت المعركة عند الفجر.

ولم أتمكن من الاتصال لأسأله هل أتابع تقدمى مستغلاً نجاح هذا الهجوم وأستمر فى اجتياز خط «ماجينو»، عبر نهر «السامبرر»؟

فقررت الاستمرار فى التقدم لكى أحتل معبر «السامبرر لاندريسى» وأحتفظ به حراً، وأصدرت أوامرى إلى جميع الوحدات لكى تتبعنا إلى «لاندريسى».

وقد ذهل الجنود الفرنسيون لظهورنا المفاجئ من خلفهم فألقوا بأسلحتهم ولم يحاولوا المقاومة، ودمرنا كل دباباتهم التى فى الطريق، واستمرينا دون توقف نحو الغرب، وكان الجنود والضباط الفرنسيون يستسلمون حال وصولنا لهم، وتقدمنا عبر «ماروليز» إلى أن وصلنا «لاندريسى» دون أن نلاقى أية مقاومة.

وعزمت على الاستمرار فى التقدم نحو «ليكاتو»، وتقدمنا نحو غابة طويلة يستخدمها العدو لتموين الذخيرة، وقد فوجئ الحرس بوصولنا إليهم، فاستسلموا على الفور.

وفى «بوموريل»، استسلمت القوات الفرنسية التى كانت تحتل القرية، وتقدمنا حتى التل الواقع إلى الشرق من «ليكاتو» مباشرة حيث توقفنا هنا.

* الهجوم بالمدرعات بالليل

ويعلق« ليدل هارت» فيقول:

تقدمت فرقة «رومل» المدرعة حوالى ٥٠ ميلا بطريقة جريئة جداً أثناء الليل، وكانت القوات القائدة «لفيلقى راينهاردت »و «جودريان» تتقدم إلى اليسار من «رومل» وبقربه، وفى وقت مبكر من هذا اليوم، وصلت الفرقة المتقدمة إلى اليسار، فى فيلق جودريان، إلى نهر «الأوار» عند «ريبمونت»، والتى تبعد مسافة عشرين ميلا إلى الجنوب من «ليكاتو».

ويتابع «رومل» مذكراته:

وعزمت بعد ذلك على تأمين الأرض التى اجتزتها بواسطة الفرقة، وبدأت الفرقتان بجمع الأسرى الذين بلغ عددهم ما يقارب فرقتين ميكانيكيتين، ثم أصدرت الأمر بالاستمرار فى التقدم.

وبعد ذلك بقليل علمت أنه لم يصل إلى التل فى شرق «ليكاتو» إلا جزء صغير من البانزر وجزء من كتيبة الدراجات فقط، فحاولت العودة إلى الوراء لأكمل

الاتصال بنفسى ولكنى تعرضت لنيران المدافع المضادة للدبابات من «ليكاتو»، فاضطررت للعودة، وفى الوقت نفسه كان «روثينبورج» مشتبكا مع قسم من كتيبة سيكنيوس المدرعة مع الدبابات الفرنسية والمدافع المضادة للدبابات على التل شرق «ليكاتو»، حيث استطاع التغلب عليها بسرعة، وعدت لكتيبة البانزر التى اتبعت طريقة الدفاع المتحرك، وكانت تنتظر وصول القسم من كتيبة الدراجات تحت قيادة الكابتن «فون هاجن».

وشعرت عندئذ أن الموقف فى مواجهة «ليكاتو» قد تم تأمينه لغاية وصول باقى الفرقة، فأمرت «روثنبورج» بالمحافظة على مواقعه بمعاونة كتيبة الدراجات، ثم عدت للخلف فى عربة الإشارة لإحضار باقى الفرقة وتوزيعها على المواجهة الجديدة.

وتقدمت بسرعة إلى «لاندريسى»، ووصلنا إلى طريق «ماروليز»، وتابعنا التقدم بأقصى سرعتنا عبر «ماروليز»، واتصلت لاسلكياً بالفرقة طالباً التقدم بسرعة عبر الأراضى التى اجتزتها.

وأخيراً وصلت للمدخل الجنوبى الغربى «لأفيزن»، حيث وجدنا جزءاً من كتيبة باريس بالقرب من المقابر، وهناك جردنا جنود العدو من سلاحهم، واتضح أننا استولينا على ما لا يقل عن أربعين شاحنة، وكان الكثير منها يحمل جنوداً.

ووصلت أفراد رئاسة الفرقة إلى «أفيزن»، ثم بدأت الوحدات تصل تباعاً إلى الأماكن التى اجتحناها أثناء الليل وفى الصباح المبكر، وقد نجحت كتيبة المدفعية الثانية فى صد ٤٨ دبابة فرنسية ومنعها من الدخول فى المعركة شمالى «أفيزن».

وبعد أن حددت المواقع للوحدات، بين «ليكاتو» والحدود الفرنسية غرب «سيفرى»، توقفنا للراحة لمدة ساعة ونصف، وبعد منتصف الليل بوقت قصير جاءت الأوامر بالاستمرار فى التقدم فى اليوم التالى ١٨ مايو نحو «كامبراى».

وفى صباح اليـوم التالى، وصل أركان حرب الفرقة ٢٥ بانزر حـيث أخبرونا أن قوة كبيرة للأعداء قد احتلت غابة «بوموريل»، فى منتصف الطريق بين «لاندريسى» و«ليكاتو»، وأمكنهم شق طريقهم من الغـرب للشرق فى سيارة مدرعـة تحت ستار الليل، وذلك للحصول عـلى الوقود والذخيرة لوحدات الفـرقة ٢٥ بانزر التى تحتل مواقع شرق «ليكاتو»، والعودة بأسرع ما يمكن.

وعلى الفور أمرت الكتيبة البانزر الباقية بالرجوع إلى «لاندريسى وليكاتو» وأمرتها بشق طريقها إلى الفرقة لتوصيل الذخيرة والوقود لها، لما أمرت الكتيبة ٣٨ استطلاع بأن تتبعها، واشتد القتال على الطريق لعدم تمكنهم من الالتفاف حول موقع العدو، علاوة على أن مدافـعنا لم تكن من القوة بحيث تؤثر ضد دروع الدبابات الفـرنسية السميكة.

وقررت التقدم بالـكتيبة جنوباً عبر غابـة «أورس»، ولكننا اصطدمنا مرة ثانية عند المشـارف الشمـالية «لأورس» بالفـرنسيين وأخـذنا نفتح طـريقنا بالقتـال، ولم نبلغ «روثنبرج» إلا عند الظهر.

وأرسلت القـوات اللازمة إلى «بوموريل» لـشق طريق قصيـر إلى «لاندريسى»، وفى نفس الوقت بدأت المدفعـية الفرنسـية الثقيلة فى ضـرب مواقعنا الدفاعـية، مما اضطرنا إلى إخلاء جزء من المواقع، ولكن لثقتى بأن القـتال عند «بوموريل» سينتهى بسرعة لصالحنا، أصدرت أوامرى لفرقة البـانزر للاندفاع صوب «كامبراى» والهجوم عليها، وأصدرت أوامرى لكتيبة باريس المدرعة لتأمين الطريق المؤدى من« كامبراى» إلى الشمال الشرقى والشمال بأسرع ما يمكن، وتحركت الكتيبة بينما قامت الدبابات والمدافع المضادة للطائرات بفتح نيرانها باستمرار على المشارف الشمالية «لكامبراى»، ولم يبد العدو أى مقاومة.

ويعلق« ليدل هارت» فيقول:

لقد استخدمت القيادة الفرنسية قواتها المدرعة بطريقة خاطئة جداً، فقد كانت بحوزتها ٥٣ كتيبة ضد ٣٦ كتيبة للألمان، ولكن الألمان جمعوا جميع كتائبهم في عشرة فرق، بينما كانت الكتائب الفرنسية مبعثرة على المشاة لتزويدها بالمعاونة المباشرة، علاوة على أن فرقهم المدرعة السبعة استخدمت بطريقة مبعثرة لم يراع فيها الحشد.

وكان لدى الفرنسيين أربع فرق مدرعة، تعداد الفرقة حوالى ١٥٠ دبابة، تم دفعها بالتوالى ضد السبع فرق الألمانية المدرعة ٢٦٠ دبابة، التى كانت تقوم بالهجوم عبر «الموز»، ودفعت الفرقة المدرعة الأولى صوب «دينانت»، ولكن وقودها نفد فقضى عليها، وتوجهت الفرقة الثالثة إلى «سيدان»، ولكنها وزعت لتدعيم المشاة هناك، وقد اجتاحها فرق «جوديريان» الثلاثة، أما الفرقة الرابعة بقيادة «ديجول»، فقد هاجمت جناح «جوديريان» أثناء هجومه نحو «الأواز»، ولكنها دفعت جانبا.

أما الفرقة الثانية المنتشرة على ٢٥ ميلا إلى نهر« الأواز»، فاستطاعت قوات «جوديريان» المتقدمة اختراقها بسرعة.

أما الفرق الفرنسية الميكانيكية الثلاث القادمة من «بلجيكا»، فتجمعت شمال «كامبراى» مباشرة بالرغم من فقدها جزءاً كبيراً من قواتها فى صراعها ضد «فيلق هيبتر» المدرع فى سهول بلجيكا، وقد صدرت لها الأوامر بالهجوم جنوبا إلى «كامبراى » و «سان كونتان» يوم ١٩ مايو، ولكن الأوامر لم تنفذ، لأن جزءاً كبيراً من الدبابات كان قد سحب وأرسل لمعاونة المشاة فى أماكن متعددة.

أما الإنجليز فلم يكن لديهم فى فرنسا سوى عشر وحدات من الدبابات وكانت كلها موزعة على فرق المشاه، ولم تتحرك الفرقة الأولى المدرعة الإنجليزية إلى فرنسا إلا بعد أن بدأ الهجوم الألمانى بالفعل.

الفصل الثانى
إقفال المصيدة

ويتابع «ليدل هارت» تعليقه:

انتهى التقدم السريع «لروميل» الذى تلى عملية الاختراق بعد استيلائه على «مامبراى»، ففى يوم ١٦ مايو بدأت جيوش الحلفاء بالانسحاب من خطوطها المتقدمة فى بلجيكا، وفى ١٨ مايو، اشتبك الجناح الأيمن للقوات الألمانية المدرعة مع قوات الجيش الأول الفرنسى لتغطية انسحابه، ولكن القوة الدافعة الهائلة لهجوم البانزر دفعت هذه القوات جانباً أثناء محاولتها التدخل من «ليكاتو» إلى «كامبراى».

وبعد أن اجتاز «روميل» المنطقة بين «ليكاتو» و «كامبراى»، توقف ليعيد تنظيم فرقته ويعطى قواته الفرصة للراحة واستعادة نشاطها، وكانت خطته تقضى بمتابعة التقدم فى مساء اليوم الثانى لكى يبلغوا الأرض المرتفعة شرقى آراس.

وبدأ الهجوم يوم ٢٠ مايو قرب آراس، وصاحب «روميل» الدبابات القائدة والتى وصلت إلى «بوران»، ولكن الآليات المشاة المحملة لم تتابع رأس الحربة المدرعة، فاضطر «روميل» إلى الرجوع ليحثها على الإسراع، ولكنه وجد أن الفرنسيين قد تسللوا وقطعوا خطوط مواصلاته مما اضطره إلى قضاء الساعات القليلة التالية ليسترد سيطرته على الموقف، واتخذت هذه القوات مواقع دفاعية جنب آراس وذلك لوجود تجمعات من الفرق البريطانية والفرنسية حول هذه المدينة.

وفى يوم ٢١ مايو، كان على الفرقة السابعة المدرعة أن تتقدم نحو الشمال الغربى حول آراس، وتتقدم فرقة العاصفة بقيادة «توتنكويف» إلى يسارها، وفى الوقت ذاته تتقدم الفرقة الخامسة المدرعة شرقى آراس، وكرر «روميل» استخدامه للمدفعية

لتغطية أجنابه، وقد وضع هذه المرة كتيبة الاستطلاع المدرعة بين فرقة البانزر المكون لرأس الحربة، والآليات والبنادق فى الخلف لتأمين مواصلاته وللاحتفاظ بالطريق مفتوحاً.

وتابع روميل مذكراته:

بالرغم من أن مدرعات البانزر قد نقص عددها، نظراً للأعطال والخسائر، فقد أمرت بالهجوم الذى كان مثالاً للشجاعة الحربية.

ورتب قادة الحلفاء هجوماً بسرعة قاصدين بذلك كسر طوق الحصار حول جيوشهم فى بلجيكا، ولهذا الغرض تقدمت الفرقتين ٥ و ٥٠ البريطانيتين جنوباً إلى آراس ومعهم اللواء الأول من دبابات المشاة، وفى الوقت نفسه قرر الفرنسيون المشاركة بفرقتين ميكانيكيتين وفرقتين من سلاح المشاة.

وفى يوم ٣٠ مايو صباحاً وصل «فيلق جوديريان» إلى أميان واجتازها فى نفس الليلة إلى ساحل البحر قرب «إيفيل»، وبذلك قطع خطوط إمداد الحلفاء، وكانت ضربة قاصمة. ونتيجة لذلك قرر القائد البريطانى البدء فى الهجوم دون انتظار الفرنسيين.

بدأت المشاة بالفعل فى اتخاذ مواقع مخيفة إلى يميننا، لكننا تعرضنا لنيران المدافع المعادية، لذلك عزمت على التقدم أمام السيارات المدرعة لأصل إلى مركز موقعنا، لأنها تلاقى صعوبة فى صد دبابات العدو، وتقدمنا إلى أن وصلنا إلى «وايلى»، وقامت الدبابات المعادية التى تقود الهجوم باجتياز خط آراس بومتز الحديدى ودمرت إحدى دباباتنا، وفى نفس الوقت تقدم عدد كبير من دبابات العدو على الطريق المؤدى إلى «باك دى نورد»، وعبرت السكة الحديدية قرب« وايلى»، وصدرت الأوامر لكل مدفع سواء أكان مضاداً للدبابات أم للطائرات بفتح نيرانه فى الحال وحددت الأهداف بنفسى وبعد قليل نجحنا فى تعطيل دبابات العدو الأمامية.

وفى قطاع مدفعية الهاوتزر نجحت نيران مدافعنا المضادة للدبابات والطائرات فى صد العدو وإجبار بقاياه على الانسحاب، وتلا ذلك توجيه نيراننا نحو مجموعة الدبابات الأخرى التى تهاجم من اتجاه «باك دى نورد»، ونجحنا فى صدها أيضاً.

وفى نفس الوقت، دارت معركة قوية شديدة وعنيفة فى منطقة «تيلوى» - «بوران - آجنى»، فقد اندفعت قوات مدرعة كبيرة من آراس وهاجمت إحدى الفرق أثناء تقدمها وأنزلت بها خسائر فادحة فى الرجال والعتاد.

واتخذت مدافعنا المضادة للدبابات مواقعها فى الحال، ولكن اتضح أنها أضعف من أن تؤثر فى الدبابات البريطانية ثقيلة التدريع، لذلك أمكن تحطيم أغلبها، كما احترق عدد كبير من عرباتنا، واضطرت فرق العاصفة القريبة إلى الانسحاب أمام عنف هجوم الدبابات وأخيراً تمكنت مدفعية الفرقة والمدفعية ٨٨ مم المضادة للطائرات من إيقاف مدرعات العدو جنوب الخط «بوران - آجنى»، ودمرت المدفعية وحدها ٢٨ دبابة، ودمرت المدافع المضادة للطائرات دبابة ثقيلة وسبع دبابات خفيفة.

وأصدرت أوامرى للفرقة المدرعة بالاندفاع لضرب جنب ومؤخرة العدو المتقدم جنوب آراس، ولكن الفرقة ٢٥ بانزر اصطدمت جنوب «أجنبيز» بقوات متفرقة للعدو، ونشبت معركة عنيفة بين الدبابات، وتمكنت البانزر من تدمير سبع دبابات ثقيلة وستة مدافع مضادة للطائرات للعدو، وتم اختراق موقع الأعداء وبلغت خسائرنا ثلاث دبابات نوع ٤ وستة نوع ٣ وعدد من الدبابات الخفيفة، ووصلت الفوضى بين صفوف مدرعات العدو إلى حد أنها بالرغم من تفوقها عددياً، انسحبت مرة أخرى داخل آراس وتوقف القتال بعد هبوط الظلام، واستعدنا السيطرة على الموقف شمال غرب «وايلى» تماما.

ويعلق« ليدل هارت »فيقول:

اضطر «جـوديريان»، يوم ٢٢ مـايو، عندما تحـول واندفع شـمالاً من «إيفـيل» صوب «بولونى » و «كاليه» و «دنكيرك»، إلى التمهل بسبب القيود التى فرضتها عليه أوامر «فون كـلايست»، ثم توقف «فيلقا جوديريان» و «رايـنهاردت» يوم ٢٤ بأوامر من هتلر، وكانا يبعدان عشرة أمـيال من «دنكيرك»، وهى الميناء الوحيد الباقى الذى يمكن أن يهـرب منه الجـيش البـريطانى بحـراً، ولكن هذا الأمـر ألغى بعـد ذلك بيومين، ولكن الفرصة كانت قد فاتت لمنع الجيش البريطانى من الهرب من الفخ فقد توفر الوقت اللازم لإنشاء دفاع قوى حول الميناء.

فى ٢٢و ٢٣ مايو، تقدم «رومل» حول المشارف الغربية «لآراس»، وتحت ضغط هجومـه الكاسح، اضطرت القوات البريطـانية إلى الانسحـاب فى ليلة ٢٣ مايو إلى خط القناة وهى تمتـد عبر «لاباسـيه» و «بيثـون» وتصب فى البحـر عند «الجرافلين» جنوب «دنكيرك».

وفى ٢٤ مايو، أصدر هتلـر أوامره بتمركز قـوات البانزر على خط تلك القناة، وأمضى «رومل» اليومين التـاليين فى إعادة تنظيم فرقتـه التى أصيبت بخسائر كـبيرة عند هجوم الدبابات البريطانية. فى ٢١ مايو وعندمـا أصدر «هتلر» أوامره بالهجوم للمرة الثانية كان الإنجليز قد قرروا الانسحاب بحراً من «دنكيرك».

وكان القـسم الأكبر من القوات المحـتلة لخط القناة ينسحب بالفعل إلى الشـمال ليدعم الخط فى بلجيكا لأن مجموعة جيوش «فون بوك» كانت تضغط بشدة هناك، مما أدى إلى تحطيم الجيش البلجيكى واستسلامه فى اليوم التالى.

* عبور قناة لاباسيه

ويتابع «رومل» مذكراته فيقول:

فى عصـر يوم ٢٦ مايو، وصل إلى قـيادتى تقـرير من الطيران يقـول إن العدو

شوهد فى شمال القناة وهو ينسحب نحو الشمال الغربى، وعلى الفور طلبت من الفيلق السماح لى بتكوين رأس جسر عبر القناة فى هذا المساء، ووافق قائد الفيلق على هذا بسرعة.

ونجحت الكتيبة ٣٧ استطلاع فى دفع دوريات مدرعة حتى القناة نفسها، وذلك بمساندة المدفعية فى دفع دوريات مدرعة حتى القناة نفسها وذلك بمساعدة المدفعية. ولكنها تكبدت خسائر كبيرة بسبب نشاط القناصة، ولكن مقاومة العدو العنيفة منعتنا من إنشاء رأس جسر، ولكن الفرقة السابعة أحرزت نجاحاً باهراً فى هذا المساء عندما تمكنت من دفع عناصر من رجالها عبر قناة لاباسيه، ونجح الرجال فى تثبيت أقدامهم على الضفة الشمالية.

وأمرت الكتيبة ٦٣٥ مهندسين ببناء جسر يحمل ١٦ طن فى القطاع الذى تحتله كتيبة كرامر بالقرب من الجسر المنسوف عند «كونيش»، وبما أن قناصة الأعداء استمروا فى ضرب قواتنا من اليسار مع قتلهم لرجالنا الواحد تلو الآخر، حركت بنفسى مدفعاً ٢٠ مم مضاداً للطائرات وبعدها دبابة بانزر ٤، وأمرتها بقصف كل بناء يبعد ٣٠٠ إلى ٦٠٠ ياردة غرب نقطة العبور للكتيبة الثانية، وبعد ذلك نعمنا بشىء من الأمان ثم تقدمنا بعد يومين مرة ثانية عبر القناة.

وأثناء اشتباكنا مع هذه الأوكار، قام المهندسون بوضع القواعد على الضفة الشمالية بجهد كبير، ووصلت أنباء تفيد بأن قوة كبيرة من مدرعات العدو هاجمت رأس الجسر الذى شيدناه، وألقت بكتيبة «كرامر» مرة أخرى إلى القناة، واتخذت الدبابات البريطانية الثقيلة مواقعها على شاطئ القناة، وأخذت تضرب مواقعنا برشاشاتها ومدافعها. وكان هناك خطر شديد من احتمال تحرك الدبابات البريطانية غرباً بجوار شاطئ القناة لمهاجمة كتيبة «باخمان»، التى لم يكن لديها أى أسلحة مضادة للدبابات، عدا البنادق المضادة للدبابات، كما كانت مواقعها تفتقر للعمق

وكان الموقف متأزمـاً للغاية، وضغطت على المهندسين لكى يضاعفـوا من سرعتهم فى إتمام عملهم بأى طريقة حتى أتمكن من إرسال عدة مدافع ودبابات عبر القناة.

وأثناء عملية العبور، أمرت إحدى دباباتنا البانزر ٤ بالتحرك لمسافة ٥٠ ياردة نحو الشرق بجـوار الضفة التى تحتلهـا من القناة، ثم تفتح نيرانهـا فى الحال على دبابات العدو المهـاجمة من «لاباسـيه»، وتمكنت نيران هذه الدبابة من إيقـاف نيران دبابات العدو الأمـامية، وبعـد ذلك بقليل اشتركت إحـدى دبابات البانزر ٣ على الضـفة البعـيدة ثم مـدفع هاونزر الذى أمكن نقله عـبر القناة، وأدى كل هذا إلى إيـقاف هجوم العدو نهائياً.

وبعد ذلك بدأ العمل فى تقوية الجسـر حمولة ١٦ طناً، وأخذت قافلة طويلة من العربات فى العبور، وتمكنـا بمعاونة المدفعية من الاستيـلاء على قرية «جيفنش» ذات الموقع الحاكم، ثم أحضرت كتـيبة «كرامر» إلى نقطة العبور الغربية، وفيـما بعد عبر المشاة لمهاجمة العدو بالقرب من كانـتلكس، وانتهت هذه العملية عند الظهر بتوسيع رأس المعبـر إلى الخط بين «كانتلكس» و «جيفـنشى»، وبعد قتال عنيف سـقط عدد كبـير من البريطانيين فى الأسر، ولقـد صدرت أوامر الفـيلق بوضع اللواء الخامس البانزر تحت قيادتى للهجوم على «ليل».

وبعـد ذلك بوقت قصـير، وصل الجنرال «هاردة» قـائد اللواء الخامس البـانزر، ومعه قادة آلياته وقدم لى تقريراً عن موقف قواته.

وكان لواء البنادق قد عبـر إلى الضفة الشمالية بالفـعل ولكن بدون عرباته، وكان فريق بانزر ٢٥ يقف فى حالة تأهب بالقرب من «جيفنشى»، وكانت قوة ضخمة من المدفعية والمدفعيـة المضادة للطائرات الخفيفة والثقيلة قد احتلت مـواقعها على الضفة الشمالية، بينما كـانت مدفعية العدو تضرب مواقعنا ضرباً عنيـفاً فى منطقة العبور، لأن المنطقة التى تحتلها قواتنا على الضفة الشماليـة كانت ضيقة للغاية، فأمرت البانزر بتوسيع رأس المعبر بالهجوم على «لورجى» على بعد ٢ ميل شمال القناة.

وبعـد ذلك بدأ اللواء الخامس بانزر فى التـحرك عـبر جـسر «كـونيش»، ولكن العـبور كـان أبطأ مما كنا نتـوقع لتعطل الـكثيـر من العربان الـثقـيلة على المداخل، واضطررنا لسـحبهـا، وأصدرت أوامرى للواء بـالتحرك بكل مـا لديه من الدبابات ويعبر إلى الضفة الشمالية.

فى ذلك الوقت، تقدم البانزر ٢٥ للأمـام ووصل إلى مشارف «لورجى»، وأثناء تقدمه اشتبك مع الخطوط الدفاعيـة القوية للعدو فى قتال عنيف غالى الثمن، ولكنه نجح فى اختراقها، وانسـحبت المدفعية المعادية، وفرت بأقصى سرعـتها أمام هجور المدرعات الألمانية واستمر هجوم البانزر، وتمكن بقوة نيرانه من فتح ثغرة واضحة فى جبهة الأعداء، ومرت عبرها الفرقة المدعمة باللواء الخامس بانزر.

وعند الغروب وصلنا إلى مزرعـة تبعد نصف ميل شرقى «فورن»، وكـان القتال دائراً فى «فورن» نفسـها، وبالرغم من حلول الظلام، فقد أمرت البـانزر ٢٥ بمتابعة هجومه وسد المنفذ الغربى للمدينة والطـريق إلى مدينة «أرمنتير»، وكان على الفرقة إقامة موقع دفاعى دائرى بالقرب من «لوم» حتى وصول التعزيزات التى سأرسلها.

* حصار ليل:

وأثناء ليل يوم ٢٧ مايو، تقـدم «روثنبورج» بعيـداً إلى الشمال، وقـد أظهر خط تقدمه العربات المحتـرقة التى حطمتها قواته، لذلك أمرت الفرقـة السادسة والسابعة بالدفاع عن الأرض التى استولينا عليها، وكان على الكتيبة ٣٧ أن تتقدم إلى «فورن» على أن تظل تحت أوامـرى المباشـرة، وبعد إصـدارى للأوامر ذهبت إلـى «فورن» للأشراف على تنفيذها.

وفى يوم ٢٨ مايو، جـاءت إشارة من «روثنبرج» عن وصوله إلى هدفـه بالقرب من «لوم»، وبهذا تكون «ليل» قد عزلت من ناحية الغرب، فـأمرت فى الحال كتيبة

الاستطلاع بالتحرك مع إحضار عربات تموين البانزر إلى الحدود الشمالية الغربية، لأندفع بهما إلى «لوم» قبل الصباح، ثم اندفع البانزر إلى «لوم» واحتل المخرج الغربى «لليل»، وبعد ذلك بقليل نشبت معركة عنيفة عند المخرج الغربى «لليل»، بعد أن حاولت وحدات العدو شق طريقها نحو الغرب بمساندة الدبابات والمدفعية، وكان جزء من كتيبة الاستطلاع والسرية الثقيلة قد احتلت مواقع دفاعية على جانبى «أرمنتيير - ليل»، وفى الصباح الباكر، بدا لى أن قوات العدو التى تواجهنا غرب ليل أخذت تعزز قواتها تدريجيا، فطلبت من المدفعية قصفها بسرعة، وقررت بعدها سحب الفرقة السادسة والسابعة من مواقعها السابقة، جنوبى «أنجلوس» و «فورن»، وضمها إلى خط الدفاع العام، شمال وجنوب «لوم».

* اصطياد نصف الجيش الفرنسى الأول

ويعلق «ليدل هارت »فيقول:

وأدى إقفال «رومل» للطريق المتجهة غرباً من «ليل» إلى اصطياد حوالى نصف الجيش الفرنسى الأول، وبعد فشل الفرق الواقعة فى الشرك فى فتح طريقها، اضطرت للاستسلام فى ٣١ مايو.

وفى نفس الوقت تمكن البريطانيون وبقايا الجيش الأول السابع الفرنسى من الوصول إلى «دنكيرك»، حيث كونوا رأس شاطئ وغطوها بسلسلة من أعمال إغراق الأراضى المنخفضة، ولقد تمكنوا من الصمود مدة كافية لإجلاء حوالى ٣٣٨ ألف جندى، من بينهم ١٢٠ ألفاً من الفرنسيين، وذلك عن طريق البحر إلى إنجلترا فى الفترة ما بين ٢٦ مايو و٤ يونيو، ولم يسقط فى الأسر سوى بضعة آلاف، وهم المؤخرة الفرنسية التى غطت الانسحاب بإقدام وشجاعة.

ولكن أثناء الحملة الخاطفة، التى دامت ثلاثة أسـابيع، أسر الألمان أكثر من مليون أسير، ولم يكلفهم هذا سوى ٦٠ ألفاً فقط من الخسائر.

وقد لحـقت هزيمة نكراء بالجيوش الفرنسـية والبلجيكيـة، وخسر الفرنسـيون ٣٠ فرقة، أى حوالى ثلث قوتهم، كما خسروا مساعدة ١٢ فرقة بريطانية لهم، ولم يبق فى فرنسا سـوى فرقتين بريطانيتين، وكـان فى ذلك الحين يجرى إرسال فرقـتين غير كاملتى التدريب.

وبعد أن تمكنت فرقة «روميل» فى «ليل» من عزل انسحاب الفرنسيين نحو البحر، وضعت فى الراحة لبضعة أيام، ثم تحركت جنوبا للاشتراك فى المرحلة الأخيرة من الحملة.

* * * *

الفصل الثالث
الاختراق على نهر السوم

* بداية الانهيار

ويعلق «ليدل هارت » فيقول:

بدأت مجموعة جيوش «بوك» هجومها من الجناح الأيمن على طول نهر «السوم»، ولم تدخل جيوش «رونشتد» المعركة إلا بعد ذلك بأربعة أيام فى مواجهة الاين، فتقدم بوك بثلاثة فيالق مدرعة، فدفع اثنين منها فى حركة كماشة ضد قطاع «أميان - بيرون»، وفى الوقت نفسه دفع فيلق «هوث» فى أقصى اليمين بين «أميان» و «إيفيل»، أما الفيلقان الباقيان فقد تجمعا تحت قيادة «جوديريان»، وتقدمت هذه المجموعة شرقاً إلى قطاع الأيزين القريب من «ريثيل» جنوب غرب «سيدان».

وفى أقصى اليمين، استطاعت قوات الهجوم الوصول فى ليل ١٨ يونيو إلى نهر «السينى» جنوبى «رون»، ويرجع ذلك إلى حد كبير لاختراق فرقة «رومل» جبهة الأعداء بعد قتال عنيف دام يومين، وبعدها عبر السين فى أعقاب القوات المنسحبة، ولكن الهجوم الرئيسى بمجموعة «كلايست» المدرعة كان يسير ببطء وقوبل بمقاومة عنيفة لأنه اتجه صوب باريس نفسها، وكان على العكس من هذا ما حققته مجموعة «جرديريان» أثناء سيرها السريع بعد أن عبرت «الإيزن»، وعليه قد نقلت مجموعة «كلايست» شرقا لتساند الاختراق عند «الإيزن»، الذى أصبح الهدف الرئيسى.

وفى هذا الوقت، بدأت المقاومة تنهار فى كل مكان، واضطر الفرنسيون لطلب الصلح ليلة ١٦ يونيو.

وقد استغل «جورديان» بنجاح الاختراق على «الإيزن» لصالحه، ولكن هجوم «رومل» فى الجانب الآخر هو الذى سبب بداية الانهيار.

وقد وجه «رومل» ضربته للقطاع ما بين «لونجيريه» و «هانجست»، وكانت المنطقة هناك مسطحة ومليئة بالمستنقعات، وقد نسف الفرنسيون الجسور الخاصة بالطريق البرى عبر «السوم» عند «هانجست» بالقرب من «لونجيريه»، ولكنهم لم ينسفوا الجسور الخاصة بالسكة الحديدية، ولا حتى الجسرين الخاصين بالسكة الحديدية والطريق سوياً باعتبارهما قريبين من مواقعهم، وقد دفعوا غالياً ثمن إهمالهم هذا.

وأخذ «رومل» يضرب المنطقة هناك بصورة مستمرة ليلاً ونهاراً بالمدفعية والرشاشات ليضمن عدم قيامهم بأية محاولة جديدة لنسف هذه الجسور قبل أن يشن هجومه فى ٥ يونيو، وفى وقت مبكر من الصباح تمكن «رومل» من الاستيلاء على الجسور الأربعة وكانت لاتزال فى حالة سليمة، وبمجرد رفع القضبان منها، استطاعت الدبابات والعربات المرور عبر النهر وحزام المستنقعات.

*** عبور نهر السوم:**

ويتابع «رومل» مذكراته فيقول:

تقدمت مع الملازم لوفت وعربة إشارتى إلى نقطة قيادة المدفعية حيث شاهدنا انطلاق الهجوم الكبير عبر «السوم»، وبدأ القصف التمهيدى فى موعده بالضبط، وكان منظراً رائعاً من نقطة مراقبتنا الحاكمة.

وتحركنا بعد هذا إلى نقطة عبور الكتيبة الثانية من الفرقة السادسة، وهناك وصلتنا أنباء بأن جسور السكة الحديدية والطريق قد سقطت كلها فى أيدينا وهى بحالة سليمة، وكان جزء من كتيبة المهندسين يعمل بنشاط فى خلع القضبان الموجودة على جسر السكة الحديدية، وتمهيد الطريق لتحضيره لمرور الفرقة وعرباتها.

وأصدرت أمراً للكولونيل «روثنبرج» بمتابعة التقدم عبر واد واسع إلى نقطة خلف التلة ١١٦ ليتخذ مواقعاً للهجوم عند «ليكسنوا»، وهى على بعد ٤ أميال بعد «السوم».

وبحلول الساعة التاسعة، كان الهجوم نحو الجنوب الغربى قد تقدم كثيراً، واستخدمنا كتيبة بانزر بأكملها للقضاء على قوة الأعداء فى «هانجست»، والتى منعتنا وقتاً طويلاً من إقامة الجسر هناك، وكانت أوامرى تقضى بضرب العدو فى المشارف الغربية فقط دون الاشتباك لاحتلال القرية نفسها، وكان تطهيرها سيتم فيما بعد بواسطة سرية المهندسين المدرعة، وفى نفس الوقت وصلت قوة من المدافع الذاتية، تحت قيادة الكابتن «فون فيتر»، وضربت المشارف الغربية «لهانجست»، ثم وجهت كل القوات إلى رأس المعبر لتتخذ مواقعها استعداداً للهجوم.

وقررت تطهير «هانجست» لأنها كانت تضايقنا كثيراً، فوضعت فرقة الدراجات تحت قيادة الكابتن «فون هاجن»، وقد نجحت فرقة الدراجات فى هجومها وحققت هدفها.

وبدأت مدفعية الأعداء الثقيلة فى قصف منطقة عبورنا «للسوم»، وسقطت قذائفها بغزارة على جانبى الطريق الذى تتقدم عليه الفرقة ببطء ولكن بثبات وكانت الخسائر قليلة، واستمرت رؤوس المعابر غرب «السوم» فى استقبال الوحدات، مما أدى إلى ازدحامها فى وقت قصير.

وأصدرت أوامرى للمدفعية المضادة للطائرات لمساعدة الفرقة أثناء انطلاقها من نقط تجمعها، ثم تتقدم على وثبات للأمام وراء القوات المتقدمة وبعد الهجوم يحتل المشاه المناطق التى تم الاستيلاء عليها، ثم توضع المدفعية ووحدات المدفعية المضادة للدبابات والمدفعية المضادة للطائرات فى مواقع بعمق حتى توفر أقصى معاونة من الضرب ضد أى هجوم من الغرب أو الجنوب أو الشرق.

وتحركت الدبابات للهجوم، وهجمت الأسلحة المختلفة بطريقة مثالية كما لو كانوا يحاولون تنفيذ مشروع فى أثناء السلم، ودافعت قوات المستعمرات التى كانت تواجهنا والتى تحتل مواقع فى الغابات الصغيرة تعاونها أعداد كبيرة من مدافع

الميدان والمضادة للدبابات، ولكن الدبابات وكتيبة الاستطلاع تمكنت من ضرب هذه الغابات بسيل من نيرانها أثناء عبورها، وقد استطاع البانزر القضاء على العدو بطريقته المألوفة. وتحركت كتيبة دبابات نحو غرب «ليكسنوا»، بينما تقدم «روثنبورج» بالقسم الأكبر للأمام بحذاء سور قلعة «ليكسنوا»، وقد لفتت العربات المدرعة المتقدمة أنظار الأعداء إليها فسمحت لوحدات المشاة القائدة بالوصول.

وتقدمت الدبابات، وهى تقاتل وتطلق نيرانها بدون توقف، حول أطراف القرية، حتى وصلت السهل الواسع إلى الجنوب، وأمكننا الفوز على جميع قوات العدو وأكرهناها على الانسحاب، وأسرنا عدداً كبيراً من الجنود السود.

وبما أن هدفنا كان المنطقة فى شرق «هورنوا»، لذلك قررت الاستمرار فى الهجوم، وأصدرت أوامرى للإسراع بعبور جبل «ليفابيل» و «كانب أميينور»، واستطاعت فرقة البانزر أثناء مرورها فى غابة «رينكورت» تدمير جمع كبير من قوات العدو بنيران دباباتها، وانهالت على الفرقة أثناء هجومها من الجنوب الغربى نيران شديدة من مدفعية الأعداء، ولكنها لم تتمكن من صد الهجوم.

وعلى جبهة واسعة، وإلى عمق كبير تقدمت الدبابات تتسابق مع المدافع المضادة للطائرات ومدافع الميدان المقطورة، ثم أصدر الفيلق أمراً بعدم التقدم عبر جبل «ليفابيل» حتى لا تتعرض الفرقة لهجمات قاذفاتنا المنقضة، وأدى هذا الأمر إلى اشتباكنا فى معركة عنيفة مع قوات كبيرة للأعداء وخاصة على يميننا، لظهور مدرعات العدو التى أمكن تدميرها بسرعة بواسطة المدفع ٨٨ مم المضادة للطائرات أو المدافع ٨٨ مم المضادة للدبابات. وأجلينا مواقع العدو فى الجنوب والشرق والغرب بنيراننا، فأدى هذا إلى منعهم من التفكير فى الهجوم، وبعدها رجعت إلى رئاستى.

وفى صباح ٦ يونيـو، بدأ الهجوم وتقدمت خلف البـانزر، أما الفرقة فـتحركت على مواجهة ٢٠٠٠ ياردة متغلغلة ١٢ مـيلاً، واشتبكت الدبابات مع قوات العدو مما أدى إلى إبطاء التقدم، فسمح للمشاة بمتابعتها والمحافظة على الإتصال بالوحدات الأسهل حركة.

وتقدمت الـفرقة المدرعـة دون مقـاومة جنوباً على جـبهة واسـعة وعـبر طريق «كولييـرز - أيبلبزر» على بعد ٢٠ ميلاً بعـد السوم، حيث أوقفنا عدداً كـبيراً من المدنيين على الطريق، ورأينا فى الخلف سـحباً كثيـفة من الغبار تقـترب، وهى تدل على تقدم الفرقة السادسة.

* رومل يخترق جبهة الجيش الفرنسى العاشر

ويعلق «ليدل هارت» بقوله:

فى ٧ يونيو، اندفع «رومل» متقدماً أكثر من ثلاثين ميلاً، فأدى ذلك إلى تشتيت جبهة الجيش الفرنسى العاشر، وكان يدافع عن النقطة الممتدة من «أميان» إلى البحر، وكان يوجد ضمن قوات هذا الجيش فرقتان بريطانيتان، وهما الفرقة ٥١، هايلاند، والفرقة الأولى المدرعة، وكانت الفرقة ٥١ الموجودة بالقرب من ساحل البحر.

ويتابع «رومل» مذكراته فيقول:

وافق الجنرال «هوث»، قـائد الفيلق على الهـجوم الذى أمرت به يـوم ٧ يونيو، وأنه من الممكن التـقدم حتى «روان» فى اليـوم نفسه، ثم تحـركنا إلى جنوبى «ثيلوا لافيل»، حيث أصدرت أوامرى للرتل الموجود على اليسار ببدء الهجوم.

وبعد أن اجتـزنا عدة عقبـات ناتجة عن أخطاء تحديد الطريق والتصـحيح البطىء على الخريطة، اندفع هجوم البانزر بسهولة إلى الأمام.

واستولت الفرقــة ٢٥ بانزر على «تباب ميزفال»، بعد «الســوم» بمسافة ٤٥ ميل، فأصدرت أمراً للكتيبة ٣٧ باســتطلاع المنطقة فى الجنوب الغربى حتى نهر« آنديل»، على بعد ٧ أميال من «ميزفال»، على جانبى قرية سيجى، ثم ترسل كل قواتها إلى «ميزانجفيل» كخطوة تالية.

وبعد تأكدى من احتلالها للتباب الهامة حول «ميزفال»، ذهبت إلى سرية الكابتن «شولنز» المدرعــة، وأصدرت لهــا الأوامر بالاندفاع إلى الأرض المغطــاة بالغابات، غرب «سانوت».

وكان ظهور القوات الألمانيــة على الطريق الرئيسى من باريس إلى دييب، بالقرب من «سانوت»، قد أضاع كل أمل أمام القوات الفرنسية، فقد استولينا على أكثر من أربعين عربة، كما أن سرية «شولنز» المدرعة استولت على مستودع كبير للذخيرة فى الغابات شــرق «سانوت»، وبعــد قتال ضــار فى بعض النقط، وقع فى أيدينا ٣٠٠ أسير، ثم غنمنا ١٠ عــربات قتال و١٠٠ شاحنة، ووصلنا إلى المقــر الجديد لرئاسة الفرقة فى« ماركوكيت».

ويعلق« ليدل هارت» فيقول:

كانت القــوات البريطانيــة تحتل منطقة نهــر «الأنديل» بدون عمق، فــقد أرسلت بسرعة قوة جــديدة هى عبارة عن تسع كتائب مشــاة من جنود المواصلات لمواجهة الأزمة الناشئة عن الاختراق الألمانى، وقد احتلت خطاً يمتد ٦٠ ميلا من دييب إلى نهر «السينى» لتغطيــة «روان»، ولكنها كانت تفتقر لمساندة المدفعــية، ولا يوجد لديها إلا القليل من المدافع المضــادة للدبابات، أما الفــرقة الأولى المدرعة الــتى كانت فى الراحة فى الخلف، فــقد جمــعت لواء يقدر قوته بتــسعين دبابة وذلك لتــقوية قلب الخط، ولكن «رومل» اخــتــرق خط «الأنديل» فى اليــوم التــالى عند نقطة تتــوسط الجزءين الرئيسيين لهذا اللواء المدرع، فــاضطر إلى الانسحاب بعد ذلك جنوباً ونجح فى الهرب عبر «السينى» عند «جايلون» قبل أن يقفل الفخ.

* الهجوم على روان

ويقول «رومل» فى مذكراته:

وفى يوم ٨ يونيو، قمت بزيارة رئيس عمليات الفيلق، وأخبرته بالموقف، وأبلغته بعض التعديلات فى الخطة، التى كانت تجهز حينئذ للهجوم على «روان»، فاقترحت أن تتقدم الفرقـة السابعة البانزر إلى نقطة تبعد ٤ أمـيال شرق «روان»، حيث تتظاهر بالهجوم المباشر على المدينة بمساعدة المدفعية، ثم تتحول الفرقة بأجمعها إلى الجنوب الغربى وتقـوم بهجوم كاسح للاستـيلاء على جسور «السـينى» عند «إيلبوف»، ١٥ ميلاً غرب «روان»، فيـعزل بذلك منحى السين، ووافق رئيس العمليات على هذه الخطة.

وتحركنا نحو الهدف، وكانت الطائرات المعادية تغير على ارتفاع منخفض، ولكنها لم تنجح فى صد هجـوم الكتيبـة، لأن جهازنا المضـاد للطائرات كان قـوياً للغاية، وتحركنا عبر المشارف الجنوبيـة «لأرجيل»، ولـم نجد أى أثر لقوات العدو فى المدينة، فأمـرت بحشد أكـبر قوة مـن الفرقة والسـير بسرعـة للوصول «لسـيجى»، وهناك تعرضت سرية البانزر الموجودة فى المقدمة لنيران معادية، والتى ردت عليها بقوة.

وأثناء الاشتباك القصير، نسف العدو الجسور فوق نهر «الأنديل»، وراقبنا العملية كلها من نقطة تبعد عدة مئات من الياردات، وبسرعة دفعت مدفعية الهاوتزر القريبة منى للأمـام لتـفـتح النار فـى أرض مكشـوفـة، وفى هذا الوقت وصلت فـرقـة الدراجات، بينـما راحت المدافع المضادة للـطائرات تحتل مواقع للـضرب، وبذلك أخلينا الطريق واختبأت العربات قرب جـسر السكة الحديدية، ووجدت منطقة على النهر تصلح لعـبور الدبابات، تبعـد ٤٠٠ ياردة جنوب «سيجى» يمكن عـبورها فى الغالب خوضاً، فـأحضرت جزءاً من سرية البانزر على الفور، وأرسلتهـا عبر النهر لتساند المشـاة التى كانت قد عبرت لـلضفة الأخرى، وفى الوقت نفسـه تقدم عدد كبير من الجنود البريطانيين الذين خاضوا النهر فاستسلموا.

وفى هذه اللحظة، تلقيت إشـارة لاسلكية تقول إن فرقة الاسـتطلاع تحت قيادة الملازم «سـوفانت» قـد نجحت فـى منع العدو من نسف الـطريق وجسـور السكة الحديدية فى «نورمانفيل»، ثم احتلت الجسرين وأنشأت رأس معبر عبر النهر.

ونتـيجة لـذلك أنهيت القـتال عند «سـيجى» وحـولت كل القوات نحـو الجنوب بأقصى سرعة لعبـور «الأنديل» عند «نورمانفيل»، وعبرت الجسر مجمـوعة اقتحام الفرقـة واستمرت فى التـقدم نحو الغرب، وبعـد ذلك احتللنا «سيجى» من نـاحية الغرب، ووقع فى أيدينا مائة أسير بريطانى.

وهبط الليل ببطء، ووصلتنى إشـارة تفيـد بأن القول الموجـود على اليـمين قد وصل إلى تقاطع الطرق، على مسافة خمسة أميال شرق «روان»، وأنه اتصل بالقول الذى على اليسار، فتحركت بسرعة إلى الفرقة ٢٥ بانزر لأصدر لهم الأمر بالهجوم نحو جسـور «السين»، وبعد خمسـة عشر دقيقـة تحرك القول على اليسـار كحرس مقدمة نحو السين، وكان يتكون من الفرقة ٢٥ بانزر وكتيبة الدراجات.

وأثناء عبورنا للطريق الرئيسى من «روان» إلى «بونت سـان بيير»، عند المشارف الشرقيـة «لبوس»، تعرضت مؤخرة الفـرقة ٢٥ بانزر على مسافـة حوالى مائة ياردة للنيران من دبابة العـدو أو مدفع مضاد للدبابات، ولم يسمـع رجال دباباتنا صوت إطلاق النيران لضجيج مـحركاتها، فقررت تنبيـه رجال الدبابات لهذا الخطر المحدق على الجانب الأيمن، فأمـرت أقرب سيارة مرعـة بفتح نيرانها على العـدو بالأخيرة الكاشفة، مما نبه رجالنا إلى فتح نيران دباباتهم بسرعة، وبذلك أمكنها إسكات مدفع العدو، ثم تـابعنا التقدم فى طـريقنا فى الظلام، وعند ليزاثكس تحـولنا جنوباً، وفى منتصف الليل بلغنا قـرية «سوتفيل»، وكنا أول القـوات الألمانية التى تصل «للسين»، ولم يكن هناك أى أثر لقـوات العدو، وظهـر لنا أن الاستـيلاء على جسـور السين أصبح مؤكداً لأنها تبعد تسعة أميال فقط.

وفى الموعد المحدد لوصول مجموعـات الاقتحام إلى «ايلبوف»، انتظرنا الأخبار بأعصاب متـوترة ولكن لم يصلنا أى خبر، فشرعت فى التـحرك على رأس الفرقة ٢٥ بانزر إلى «أيلبوف» لأراقب سـير الأمور، وقـررت الوصول بقواتى عند الفـجر إلى التباب الموجودة على إحدى الضفتين.

وعند وصولى إلى «أيلبوف» رأيت الفوضى سـائدة بين عرباتنا فى أحد الشوارع الضيقة شمالى «السين»، فاضطررت إلى السيـر مترجلاً حتى أصل إلى رأس الكتيبة السابعة للدراجات، وهناك وجدت مجموعات الاقتحام التى لم تقم بعد بمحاولاتها لاحتلال الجـسور، فأمرت قائد الكتيـبة بالهجوم فوراً على الجسـور، ومرت دقائق ثمـينة أثناء تشكيل مجـموعـات الاقتـحام، وأخـيراً بدأت أولى المجـموعـات فى التحرك، وقبل أن تتحرك بلحظة، نسف العـدو الجسر، كما حدث بعد ذلك نفس الشىء مع المجموعة الثانية، وأخذ الفرنسيون ينسفون كل جسورهم على السين.

وقررت الانسحاب من شـبه الجزيرة الطويلة التى تقدمنا فيـها، وتحركت القوات بسرعة، ولحـسن الحظ كان يغطى حوض «السين» فى ذلك الوقت ستارة كثـيفة من الضباب، فأمنتنا من نيران العدو على الضفة المقابلة.

بدأت الفرقـة فى تطهير الأراضى التى اجـتحناها، بينمـا سقطت «روان» فى يد الفرقة الخـامسة بانزر، وصدرت التعليـمات فى وقت متأخر من عـصر هذا اليوم بالاستـعداد للتقـدم نحو الهافـر، وفى المساء وصلت أوامر الفـيلق، وكانت الخطة تقضى بالاندفـاع بسرعة إلى الشـاطئ عبر الهافـر لعزل فرقـتين أو ثلاثة من المشاة البريطانية والفرنسية وكتـيبة أو اثنين من الدبابات، وأصدرت أوامرى للفرقة ٢٥ بانزر بالتقدم إلى القطاع الواقع جنوب غرب بيسى، وكان علـى كتيبة الاستطلاع المدرعة احتلال المشارف الشرقية «ليفـتون» بأسرع وقت، ٢٢ ميلا شمال غرب «روان»، ثم الاستمرار فى التقدم نحو البحر، وقررت متـابعة كتيبة الاستطلاع بالجزء الأكبر من الفرقة بأسرع ما يمكن، ثم أتابع التقدم نحو البحر.

* وصول قوات روميل إلى البحر

تحركت شمالى «روان» إلى «بارنتين»، وأصدرت أوامرى للفرقة بمتابعتى، وأبلغنى قائد كتيبة الاستطلاع بوجود عمليات نسف فى الطريق شرق «يفتون» علاوة على أسره لعدد من البريطانيين بعرباتهم وبدونها.

ولقد وصلتنى إشارة لاسلكية من الماجور «هايد كامير» تتضمن مشاهدته لعربات الأعداء تتحرك غرباً خارج الغابة قرب «سان سونس»، ويعتقد أن هذه القوة على وشك الوصول إلى يفتون، فأصدرت أوامرى لكتيبة الاستطلاع بإقفال الطريق الرئيسى من سانت سونس إلى «يفتون» على الفور، ثم فتح نيرانها على قوة الأعداء المتحركة فى اتجاهنا، كما أمرت بإحضار مدفعية ثقيلة وأخرى خفيفة مضادة للطائرات، وتحركت معهما بأقصى سرعة صوب «يفتون»، ووصلت إلى منحنى الطريق الشرقى للمدينة ثم وصلت المدفعية المضادة للطائرات، وفى الحال احتلت مواقعها بأقصى سرعة، وأصدرت لها الأوامر بتغطية الطريق بنيران كثيفة، وبعدها ظهرت لنا عربات كثيرة للعدو متقدمة على الطريق.

ولدى اقترابنا من الطريق الرئيسى المؤدى من «كانى» إلى «فيكامب»، وصل عداء من فرقة الاستطلاع وأخبرنى بأن الكابتن «فون لوك» شاهد قافلة من الشاحنات على الطريق الرئيسى، فتقدمنا على الفور إلى الطريق، فرأينا عدداً كبيراً من العربات تقف على الطريق، فأمرت الدبابات والسيارات المدرعة والمدافع المضادة للطائرات الخفيفة بضربها، وبعد وقت قصير جاءتنا قوات كبيرة من الفرنسيين والبريطانيين وهى تعدو مستسلمة، وعند استجوابهم علمنا أنهم مقدمة الفرقة ٣١ الفرنسية، وبعد أن دمرنا القافلة المعادية هذه تابعنا تقدمنا مرة أخرى بسرعة كبيرة نحو البحر دافعين أمامنا رأس حربة للفرقة، أما مجموعة إشارتى فتقدمت عبر «تبيتس»، حتى وصلت إلى البحر، على بعد ١٠ أميال شرق «فيكامب» و٦ أميال

غرب «فـيليت»، وعلى القرب منا وصل «روثنبورج» مندفـعاً بدباباته عبـر الشاطئ حـتى بلغ حـافة الماء، وتحـقق هدفنا، إذ قطعنا الـطريق على العـدو إلى «الهافـر» و«فيكامب»، وبعد قليل أدركنا قائد اللواء، الكولونيل «فيرست»، ومعه قائد فرنسى وعدد من الضباط الفرنسيين، وكـان الكولونيل الفرنسى مذهولاً لسرعة تقدمنا، إلا أننا لم نستطع الحصول منه على أية معلومات.

ووردت إشارة بأن كتـيبة الاستطلاع تصادف ضغطاً شـديداً من العدو على تبة شرقى «فيكامب»، فتحركت إلى «فيكامب»، ولكن فى هذه الأثناء استطاعت الكتيبة أن تسيـطر على الموقف وقامت مـجموعـة اقتـحام تحت قـيادة الملازم «سـافانت» بالاستيلاء على موقع المدفعية الساحلية المعادية التى كانت تضرب الكتيبة بشدة.

وبعد وصول سـريتا الباتزر وكـتيبة الدراجات إلـى كتيبة الاسـتطلاع، قررت أن أسير عبر المشارف الشرقـية «الفيكامب» حتى أصل إلى التباب جنوب المدينة، وكنت أرغب فى منع وحدات العـدو، التى كانت لاتزال داخل المدينة، من الهـرب نحو الجنوب، ثم الاستيلاء على الميناء فى أقرب وقت، وأدى هذا الـتحرك إلى الاشتباك مع العدو أكثر من مرة، واضـطررنا أكثر من مرة لتغيير خطتنا، وأخـيراً تقدمنا عبر «تورفيل» مندفعين بسرعة على الطريق الرئيسى من الجنوب إلى «سان ليورنارد».

ثم أصدرت الأمـر إلى الكابتن «فون هانجن» بالتوجـه مع ستة دبابات لاحـتلال الطريقين المؤديين من «فـيكامب» إلى الجنوب عـبـر «سان ليـورناردو» ووقف المرور عليهما، ويكون الدفاع هناك من جميع الجهات، وقد تحقق هذا بدون قتال.

وقررت العودة مع الدبابات حتى أكون موجوداً فى صباح اليوم التالى فى رئاسة الفرقة، وفجأة فتحت علينا النيران من قرية أمامنا مباشرة من مدفع مضاد للدبابات وأصيبت الدبابة القائدة فى جنزيرها، ومـرت عدة دقـائق ولم تفتح دباباتنا نيـرانها فقـفزت من عـربتى وجريت إلى الدبابة بـانزر ٣ التى كانت على الجـسر شـمالى

الطريق، وهناك قابلت قائد الدبابة مستفسراً عن عدم فتحه نيرانه فى الحال وتركه لدباباته، ثم أمرت الدبابة بانزر ٢ بفتح النيران على الفور من مدفعها ورشاشها على موقع مدفع العدو المضاد للدبابات بغرض إعطاء الفرصة لكل القول للخروج من المضيق الذى يمر به الطريق فى هذا المكان متجهاً إلى اليسار.

وأخيراً فتحت النيران، وسببت قذائف البانزر ٢ من عيار ٢٠ مم إلى إسكات العدو، ثم تحركنا ومعنا سرية البانزر.

* حصار سان فاليرى

وفى ظهر اليوم التالى ١١ يونيو، تحركت الفرقة من «فيليت» وتقدمت على الساحل إلى «سانت فاليرى»، وأخذت معى قيادتى التكتيكية وتحركت مع فرقة البانزر، وعند التباب البعيدة ميلاً شرقى «فيليت»، فتح علينا العدو النار من المدفعية المضادة للدبابات، فاتجهنا نحو الجنوب الشرقى، ولكن نيران العدو زادت من حدتها وانضمت إليها المدفعية الثقيلة، بحيث أصبح التقدم مستحيلاً فى كثير من الأحيان، وبالقرب من «ليلولو» اتضح أن البريطانيين أقاموا خطاً دفاعياً قوياً وكانت المقاومة شديدة.

وفى نفس الوقت، اندفع البانزر متقدماً إلى الأرض المرتفعة التى تقع شمالى غربى «سانت فاليرى» مباشرة واستخدم العدو كل مدفع موجود لمحاولة إخلاء قواته عن طريق البحر.

وقد حاولنا جهدنا فى حمل العدو على الاستسلام، وتمكنا فى الساعات القليلة التالية بالفعل من إقناع حوالى ألف جندى بالاستسلام، كان أغلبهم من الفرنسيين، ولم تكن نسبة البريطانيين كبيرة.

وفى المساء، أرسلت عدداً كبيراً من الأسرى الذين يتكلمون الألمانية إلى داخل «سانت فاليرى» نفسها المليئة بالقوات المعادية لكى يقنعوهم بالاستسلام، ولكن البريطانيين رفضوا كل اقتراح بالاستسلام، وانضم إليهم بعض الضباط الفرنسيين أيضاً، وأعادوا إلينا مبعوثينا بدون نتيجة.

وعليه أمرت الفرقة بالضرب بشدة، وقامت دبابة ماركة ٤ بتدمير المانع الرئيسى فى الميناء، وبعد ربع ساعة أمرت بتوجيه كل نيران الفرقة على الجزء الشمالى من المدينة، وبالرغم من عنف القتال فى عصر هذا اليوم فالبريطانيون المستميتون لم يستسلموا، وفى نفس الوقت وصلت المشاة للتباب غرب «سانت فاليرى».

وفى المساء سحبت الدبابات من الخطوط الأمامية، واحتلت المدافع المضادة للطائرات الخفيفة والثقيلة مواقعها، وصدرت الأوامر للمشاة بمتابعة إطلاق النيران للإزعاج طول الليل لمنع العدو من إخلاء قواته.

* اشتباك قوات رومل بالسفن الحربية للعدو

وأثناء تقدمى عبر الحقول رأيت قواتنا فى كل مكان وقد احتلت مواقعها بعمق كبير، كما احتلت المدافع المضادة للدبابات والطائرات مواقعها هى أيضا، فأصدرت أوامرى لفرقة البانزر بالتحرك، على أن تبقى تحت قيادتى المباشرة لأواجه أى محاولة للإفلات من جانب العدو بسرعة.

وبلغت باللاسلكى أن العدو يحاول الهروب فى زوارق صغيرة بحماية السفن الحربية إلى عدد من الناقلات تبعد من ألف إلى ألفين ياردة من الساحل شرقى «سانت فاليرى». وعندما وصلت فرقة البانزر إلى مواقعها القديمة التى كانت تحتلها فى اليوم السابق، نشب قتال عنيف فى نفس الوقت بين المدفعية المضادة للطائرات عيار ٨٨ مم وبين سفينة حربية معادية ، واستدعينا قاذفاتنا المنقضة بواسطة

اللاسلكى، وبعد قليل قابلت مـراقب أمامى لمدفعية عيـار ١٠٠ مم، فأمرته على الفور بتوجيه نيرانه على الطرادة الاحتياطيـة، ولم تلبث أن اشتعلت النيران فيها بعد إصابتهـا إصابات عديدة من نيراننا، واضطر بحـارتها إلى توجيههـا للساحل حيث تعثرت هناك فى القاع الصخرى.

وفى ذلك الوقت جهـزت قيادتى التكتـيكية حيث وضعـتها فى المنازل الأمامـية للمدينة، وكانت أوامـر «روثنبورج» تقضى بالسير بفـريق البانزر على الطريق المؤدى إلى الوادى والاقتراب تدريجياً من المدينة التى كانت لاتزال تخترق فى عدة نقاط.

وتحركت الدبابات متـمهلة على الطرق الضيقة مـستترة بالأحراش حـتى اقتربت من المنازل الأمامـية، وأخـيراً دخلت الحى الغـربى للمدينة، وقد حـاولنا فى هذا الوقت إقناع العدو بضرورة الاستسلام واجتياز الجسر الخشبى الصغير نحونا.

وفى أول الأمر استسلموا فرادى، ثم ما لبثت أن ازدادت كثافة الطابور، وبدأت فى تطهير المدينة بيتاً بيتاً وشارعاً شارعاً.

* أسر كبار الضباط الفرنسيين

جاء إليّ ضابط صف، وقال إن قـائداً فرنسياً كبيراً قـد أسر فى الجانب الشرقى للمدينة وهو يريد مـقابلتى، وبعد قليل وصل الجنرال «أيـهلر» الفرنسى وهو يرتدى بزة عسكرية عادية، وسـألت الجنرال عن الفرقة التى كان يقـودها، فرد على بألمانية ضعيفة: إنها ليست فرقة فأنا قائد الفيلق التاسع.

وطلبت من قائد الفيلق أن يعود لمركزه ويصـدر أوامره إلى القوات بالاستسلام، ثم طلبت من الجنرال أن يسلم نفسه وهيئة أركان حـربه فى ميدان «سانت فاليرى»، وصدرت الأوامر للمـدفعية بالتوقف عن قـصف «سانت فاليرى» والمنطقـة خلفها، بينما يسـتمر القصف على السـفن فقط، وأخطرنا الفرقة الخـامسة بانزر باسـتسلام

العدو فى «سانت فاليرى»، وكانت فى ذلك الوقت مشتبكة مع دبابات العدو بالقرب من «مانفيل».

وخلال الساعات القليلة التالية أسرنا اثنى عشر جنرالاً، من بينهم أربعة قادة فرق.

وقد كان من الصعوبة حصر العدد الكلى للأسرى وتقدير الغنائم، وقمنا بنقل ١٢ ألف أسير من بينهم ٨ آلاف بريطانى فى عربات الفرقة السابعة البانزر وحدها، ويقال إن عدد الأسرى فى «سانت فاليرى» بلغ حوالى ٤٦ ألفا.

تحركت إلى الهافر حيث فتشت المدينة التى وفقنا للاستيلاء عليها دون إراقة الدماء، ونحن الآن نشتبك مع أهداف أخرى فى عرض البحر بمدافعنا البعيدة المدى، واليوم أشعلنا النار فى ناقلة.

واليوم ١٦ يونيو ١٩٤٠، سنعبر «السين»، ويبدو أن الحرب تتحول تدريجيا إلى احتلال يكاد يكون سلبيا لفرنسا كلها، وذلك بعد سقوط باريس وفردان والاختراق الكبير لخط «ماجينو» بالقرب من «ساربروكن».

* * * *

الفصل الرابع
المطاردة إلى شيربورج

* فرقة روميل تجتاز السين

يقول «ليدل هارت» فى تعليقه:

بعد استراحة قصيرة وإعادة للتنظيم، تحولت فرقة «روميل» مرة ثانية إلى نهر «السين» جنوبى «روان»، وكانت عمليات العبور هناك قد انتهت فى ٩ يونيو فى أعقاب الجيش الفرنسى العاشر الذى كان مضطرباً جدا لعبور الألمان بهذه السرعة وبدون قتال يذكر، ولم يلبث أن انسحب الجيش العاشر نحو الغرب إلى خط «الديزل»، وانسحبت القوات التى تجاوره نحو الجنوب، واندفع المشاه الألمان نحو الجنوب فى اتجاه نهر «اللوار» لاستغلال هذه الثغرة الجديدة فى الجبهة الفرنسية.

وفى ١٦ يونيو، بدأ الجيش الفرنسى انسحاباً جديداً، كما صدرت الأوامر للقوات البريطانية المشاركة له بالانسحاب «لشيربورج» ليمكن من ثم إخلاؤها بحراً إلى إنجلترا.

ويتابع «روميل تدوين» مذكراته:

وفى ١٧ يونيو ١٩٤٠، استأنفت الفرقة سيرها إلى جنوبى السين، وبدأت أولا بالاتجاه إلى منطقة «ليغل»، وكانت تعليمات الفرقة السابعة بانزر تقضى بالاندفاع لبلوغ طريق «تونانت سيبسى»، وبعد أن تصل تدعم بلواء سنجر، ثم تندفع صوب «شيربورج» لتستولى عليها، وبلغنا من فرق الاستطلاع الجوى أن سفن حربية وسفن نقل موجودة فى شيربورج، مما رجح أن عمليات الإخلاء تجرى بالفعل.

وقمنا بالتقدم فى قولين إلى أن بلغنا طريق «تونانت سيبس»، فأصدرت أوامرى باستمرار الهجوم حول جنوب «سيبس»، وسارت الأمور بسرعة وعلى ما يرام حتى «مونتميرى»، وهناك أسرنا ٢٠ جندياً، ثم استمر القول فى سيره نحو «بوس»، وفى فراتشفيل تلقيت تقريراً بأن دبابات العدو تحتل المداخل، وتقفل الطريق إلى «بوس»، فأمرت بالالتفاف نحو الشمال على الفور حيث صادفنا بعض الجنود الفرنسيين على الطريق فأسرناهم، ووجدنا بينهم عدة سيارات محملة بالضباط، وكان أحدهم يتكلم الألمانية، فاستخدمناه كمترجم.

ومن ثم اصطدم رأس القول مع راكبى الدراجات المعادية، وبسرعة تم القضاء عليهم، وخلفهم بمسافة بسيطة اصطدمنا بقول فرنسى كان يستعد للتحرك، إلا أن ظهورنا فاجأهه تماما، ولم يبد عليه التلهف للقتال، وبدأ القائد الفرنسى فى المفاوضات مع الكابتن «لوك»، قائد الكتيبة ٣٧ استطلاع، وبعدها بقليل ذهبت للأمام بنفسى لأرى سبب التوقف، وقال الكابتن الفرنسى إن المارشال «بيتان» عرض الهدنة على ألمانيا، وأصدر تعليماته بهذه الهدنة للقوات الفرنسية لوقف القتال، وأخبرت الكابتن الفرنسى بواسطة المترجم أننى لم أتلق أى معلومات عن هذه الهدنة، وأن الأوامر الصادرة لى تقضى بالاستمرار فى التقدم، وأضفت أنه لن نطلق النار على أية قوات فرنسية تستسلم، ثم طلبت من الكابتن الفرنسى إخلاء الطريق وتحريك قواته إلى الحقول بعد نزع سلاحهم، وبدا على الكابتن الفرنسى التردد فى تنفيذ هذا الأمر، وعلى كل حال أمرت القول بالتقدم فوراً، واندفعنا مارين بالقول الفرنسى، وصادفنا قوات فرنسية أخرى وكنا نشير لهم بمناديل بيضاء ليعلموا بأن الحرب انتهت بالنسبة لهم، ولم نلق أى مقاومة جدية بعد ذلك، فقررت الاستمرار فى التقدم لأصل إلى «شيربورج».

بدأت كـتيبـة الاستطلاع ٣٧ الـسير إلى «شـيربورج»، وكـانت الأوامر تقـضى بالمحافظة على السـرعة، ووصلنا الطريق الرئيسى فى دقائق قليلة حـيث تلاقينا مع سرية هانكة المدرعة التى انضمت إلينا، وكانت القوات الفرنسية معسكرة على جانبى الطريق وكنا نلـوح لهم أثناء مـرورنا بهم، وكـانوا يتطلعـون إلينا فى ذهول عندمـا يلاحظون أن قولاً ألمانياً يمر بهم فى هذه السرعة الكبيرة.

* روميل يتعرض للقتل:

عند المشارف الغربية «لفليرز» مررنا بساحة كـبيرة مزدحمة بالجنود، وفجأة اندفع أحد المدنيين نحو سيارتى وبيده مـسدس يريد إطلاقه على، ولكن القوات الفرنسية أمسكت به ومنعته من تنفيذ غرضه.

وساد الظلام، ولاحت لنا نيـران ضخمة مـشتعلة أمامنا وكـانت فى الغالب من مخـازن ومستـودعات البتـرول التى نسفهـا العدو فى «ليـساى»، وفى هذا الظلام الحالك تابعنا تقدمنا مسـرعين، وعند منتصف الليل عبرت كتيـبة الاستطلاع ميدان السوق فى «لاهاى دبيـويز»، وتابعت كتيـبة الاستطلاع تقـدمها بقـيادة الملازم «أيزر ماير» ثم تحولت إلى الطريق الجـانبى إلى «بولفيل»، وفى هذه اللحظة اصطدم رأس القـول بحاجـز يدافع عنه العـدو وتعـرض لقصف شـديد من المدفـعيـة والمدافع الرشاشة، وتـأكد لنا أن هذا الحاجز تحـتله قوة كبيـرة للعدو، وكان القمـر ساطعاً، ولكنى قررت عدم الهجوم فى الحال بقواتى المنهكة، فـأمرت كتيبة الاستطلاع بإنهاء القتال مع العدو وعدم الهجوم عليه حتى تباشير الفجر.

فعدت بنفسى إلى المؤخرة مع الملازم «هايزبيرج»، وكـانت نيران مدفعية الأعداء لا تنقطع على الطريق، مما اضطرنا للقـيام بأكثـر من التفاف، وأثنـاء ذلك كان علينا فتح عيوننا جيداً حتى لا نصطدم بمشاة العدو.

وبعد ذلك بحوالى نصف ساعة صادفتنا فرقة من راكبى الدراجات كانت تستعد للتحرك إلى الجبهة، وعليه تابعنا رحلتنا على متن دراجة.

وبعد سير طويل قابلنا الكولونيل «كبسلر» قائد الكتيبة الأولى من المدفعية، فأمرته بفتح نيرانه على جانبى الطريق مع ضرب أكثف غلالة يمكنه ضربها على المرتفعات المحيطة «بشيربورج»، على أن يركز على منشآت الميناء نفسها، ثم اتجهنا بسرعة إلى المؤخرة، وأمرت بقية الكتائب بشن هجوم على التبة الواقعة على بعد ألف ياردة غربى الميناء الحربى، وبعدها بقليل بدأت النيران السريعة للمدافع ٣٧ مم تنهال على «شيربورج»، وأنزل العدو مناطيده بسرعة، وظهر كما لو أن الموقف يتطور لصالحنا.

ولكن هذا الموقف الذى كان فى صالحنا تحول فجأة لصالح العدو عندما فتحت كل حصون «شيربورج» نيرانها من كل عيار، فكونت غلالة كاسحة ضد المنطقة التى نحتلها، وانضمت إليها السفن الحربية البريطانية بمدافعها البحرية الثقيلة، أما المواقع التى تحتلها مدفعيتنا والمدفعية المضادة للطائرات فقد لقيت اهتماماً خاصاً من العدو مما زاد من خسائرها، كما أن مقر قيادتى تعرض للقصف الشديد، فاضطررنا إلى نقله إلى مكان آخر، واستمر القصف السريع من الحصون لمدة ساعة، وأدركت أن الموقف قد يتأزم، لو قام العدو بهجوم قوى بالمشاة من «شيربورج»، لذلك حاولت جاهداً إرسال التعزيزات وأهمها الألاى السابع بنادق والألاى ٢٥ بانزر، وعندما علمت بوصول رئاسة الفرقة إلى «سوتفيل»، قررت أن أقوم بقيادة باقى العمليات من هناك.

وقررت اعتماد خطتى الأصلية فى الهجوم والتى تقضى باندفاع الألاى السابع بنادق تسانده الدبابات عبر «هنيفل» إلى« كيركفيل»، فإذا سقطت التباب جنوب «كيركفيل» فى أيدينا يصبح من السهل ضرب ميناء «شيربورج» والمدينة نفسها، حيث يمكننا فيما بعد، عزل القطاع الشرقى من دفاعات «شيربورج» بلواء سنجر الذى

كان منتظراً وصوله فى اليوم التالى، وفى الصبـاح وصل قادة الفرق حيث استمعت لتقاريرهم، ثم أصدرت لهم أمراً بالهجوم.

* رومل يحصل على خرائط العدو

بعد رحـيل القادة بقليل حصلت على عـدة خرائط كبـيرة ذات أهمية كـبرى، فدرستها بكل عناية، واتضح لى أن القصر الذى اتخذناه مقراً لنا، كان ينزل فيه قائد «شيـربورج»، وعثرنا عـلى مجمـوعة كاملة من الخـرائط فى أدراجه السـرية تعين تحصـينات «شيربورج»، وتبـين لى أنه ليس من الحكمة القـيام بالهـجوم على طريق «تونفيل»، لأن العدو يغطيها بنيران حصون عديدة.

وفى صـباح يوم ١٩ يونـيو، تحـركت للأمـام ومعى الكابـتن شربليـر والملازم «هاوزبيرج»، حيث أرسـلنا عدداً من الأسرى إلى «شيربورج» يحـملون منشورات بالفرنسية تطالب القوات هناك بالاستسلام بدون قيد أو شرط.

وأرسلت إشارة لاسلكية إلى الماجور «هايد كامير» آمـره فيها ببدء الهجوم، وفى هذه اللحظة وصل الكولونيل «فيرست» من الناحية الشرقـية «لكيركفيل»، يحمل نبأ تفاوض «فون بيسمارك» مع وفد من المدينة، فذهبت فوراً إلى نقطة تبعد نصف ميل إلى الشمال من حصن «ديكونليف»، وعلمت أن المفاوضات قد بدأت، وكان الميناء الحربى لايزال فى أيدى العدو الذى لم يكن يـبدو عليه نية الاستسـلام، وعليه قمنا بفتح النيران على كل شيء يتحرك فى هذه المنطقة.

أمـا الحصـون الموجـودة على البحـر فـتوقـفت عن الضـرب، ورفضت قلعـة «كيوكنيل» الاستسلام، ولكن قائدها أبلغنا بأنه لن يضرب ما لم نضربه نحن، ولكنه لن يستسلم إلا بأوامر من القيادة، أما الحصن المركزى فكان ساكناً.

ولقد أعطيت مهلة ساعة لاستـسلام المدينة، وبعد مرور ساعة على المهلة المعطاة ولما لم يصل الرد، بدأت القاذفات المنقضة الهجوم بكل دقة على الحصون البحرية،

وسجلت إصابات مباشرة ضد الحصن المركزى، كمـا فتحت المدفعية نيرانها القوية، وتعرض الميناء الحربى لسيل من القنابل، وأصدرت الأوامر لآلايات البنادق باحتلال المدينة أثناء القـصف، وعندمـا اختـفى الميناء الحـربى كله تحت سـحابة من النيـران والدخان، تحولت المدفعـية إلى حصن «كيركفـيل» لإجبار حاميتـه على الاستسلام بسرعة.

وبدأت مفاوضات الاسـتسلام بسرعة معقـولة، واستسلمت المدينة، وأصدرت الأوامر بوقف إطلاق النـار، ثم تقدمت مع هيئـة أركانى إلى داخل «شـيربورج». وبسقـوط «شيـربورج»، انتهت الحـرب فى الغرب بالنسـبة للفـرقة السابـعة بانزر، وصدرت لها الأوامر بالتحرك جنوبا.

أخيراً ساد السـلام، ونحن الآن على مسافة ٢٠٠ ميل من الحـدود الأسبانية، ونأمل أن نصل إلى هناك بسرعة، بحيث يصبح كل ساحل الأطلنطى فى أيدينا.

* * * *

الباب الثانى

الحرب فى أفريقيا

الفصل الأول
هزيمة الجنرال جرازيانى

* تسليح الجيش قديم والمشاة مترجلة

فى فبراير ١٩٤١ ، ألقى «الدودتشبى» خطاباً قال فيه إن إيطاليا دفعت إلى ليبيا جيشاً تعداده ثلاثمائة وسبعة وعشرون ألفا من الجنود، وأربعة عشر ألفاً من الضباط، وقد تم تجهيزه بكميات كبيرة من العتاد فى الفترة ما بين ١٩٣٦، ١٩٤٠ .

ولكن الحقيقة أن هذا الجيش لم يصل بأى شكل من الأشكال إلى المستوى التى تفرضه الحرب الحديثة، فقد كان مجهزاً ليواجه حركات تمرد القبائل فى المستعمرات، والتى خاض غمارها «جرازيانى» ضد «السنوسيين والنجاشى»، فكانت دباباته وعرباته المدرعة بسيطة التدريع ومحركاتها ضعيفة ومدى عملها قصير، أما المدفعية فكان مرماها قصيرا، بالإضافة إلى افتقاره للمدفعية المضادة للدبابات وللطائرات، أما أسلحته الصغيرة فكانت قديمة لا تلائم ظروف الحرب الحديثة .

وكانت الكارثة الكبرى أن معظم وحدات الجيش من المشاه التى تسير على الأقدام، وهذه القوات المترجلة تصبح غير ذات قيمة إذا قابلت عدوا ميكانيكياً، وخاصة فى صحراء شمال أفريقيا، ونخرج من هذا كله إلى أن العيب الرئيسى لجيش «جرازيانى» الإيطالى، أثناء محاربته للبريطانيين، انحصر فى كون أغلب تشكيلاته كانت مترجلة .

* الإداريون يعملون على أسس نظرية

وقد بدأ جيش «جرازيانى» تحركه فى سبتمبر ١٩٤٠، فى وقت لم يكن لدى البريطانيين أى قوات تستطيع إيقافه قبل الإسكندرية، وبدأت التشكيلات الإيطالية

تقدم من منطقة البردية ودخلت الحدود المصرية عند السلوم ثم تقدمت على الطريق الساحلى إلى «سيدى برانى»، ولم تحاول القوات البريطانية الضعيفة صد التقدم أو حتى الدخول فى معركة حاسمة ولكنها انسحبت بمهارة نحو الشرق.

وبعد وصول جرازيانى لسيدى برانى، أخذ يعزز المنطقة التى احتلها، ويمد طريقاً معبداً بجوار الساحل، ثم بدأ فى تشييد قاعدة له هناك، مع تخزين الإمدادات وإحضار التعزيزات وتنظيم موارد المياه، وكان ينوى متابعة الهجوم نحو الشرق من هذه القاعدة الجديدة.

وقد ترك «جرازيانى» تنظيم الشئون الإدارية للإداريين والمستخدمين المدنيين ليفعلوا كل شىء بطريقتهم النظرية فى الإمداد، فأدى هذا إلى الإبطاء إلى حد خطير، وقد يؤدى هذا إلى كارثة مروعة، لأنه لو وجد رجل فى الجانب المعادى ينفذ خططه بأسلوب أكثر نشاطاً، فسوف يسبق الخصم.

* وقوف جرازيانى فى سيدى برانى

ومضت الأسابيع والشهور وبقى «جرازيانى» جامداً فى موقعة عند «سيدى برانى»، مما أتاح لأعدائه البريطانيين الفرصة ليستعدوا لمواجهة أى تقدم آخر للإيطاليين مع تجهيز دفاع قوى عن مصر، فحشدوا قواتهم من كل أنحاء الامبراطورية البريطانية، وأهم من هذا كله إحضارهم للقوات الميكانيكية إلى الجبهة فى مصر، وكانت المدرعات البريطانية متفوقة للغاية على المدرعات الإيطالية من حيث النوع والتسليح والسرعة.

وبالرغم من أن الجيش البريطانى كان أقل عددا من الجيش الإيطالى، إلا أنه كان أفضل فى العتاد، وكان البريطانيون، طيلة الحرب فى شمال أفريقيا، يسيطرون على الخط الحديدى من الساحل حتى «مرسى مطروح»، وبذلك أمكن استخدامه فى جلب العتاد للجبهة من مصر.

وفى نهـاية نوفمـبر، بدأ الجنرال «ويـفل» هجومـه فجـأة، وقد مـهد الطيـران للهـجـوم، حيث قـامت الطائرات بضـرب المواقع الإيطـالية فى «سـيـدى برانى» ومطاراتهم الأمامية، كما قامت الطرادات البريطانية بضرب «سيدى برانى» من ناحية البحـر، وقد بدأ الهجوم فى ضـوء القمر بعـملية التفـاف على المواقع الإيطالية فى «سيدى برانى» بواسطة قوة ضاربة مؤلفة من فرق بريطانية وأسترالية وفرنسية وبولندية وهندية، وقد تمكـنت من التغلب على المواقع الإيطاليـة بعد قتـال قصيـر وأسرت ۲۰۰۰ منهم.

وتقدمت المشـاة البريطانيـة من الشرق تساندها الدبابات الـثقيلة حـيث هاجمت المواقع الإيطاليـة فى «سـيدى بـرانى»، ومرة أخـرى تدخلت الطرادات البـريطانيـة بمدافعـها الثقـيلة فى المعركة، وإنقض كل هذا على الإيطاليـين كالصاعـقة، إلى أن أبيدت تماما الفرق المشاة الثلاث الإيطالية الموجودة فى منطقة «سيدى برانى».

وتابع «ويفل» هجومـه، فاصطدم مع فرقة القـمصان السوداء، التى اسـتسلمت بعد معركـة قصيرة، وفى يوم ١٦ ديسمبر وصل «ويفل» إلى الحدود الليـبية ودحر قوات «جراريانى» فى «كابوتزو».

* طبرق لا تصمد سوى أسبوعين

ويتابع «رومل» مذكراته فيقول:

استـمر الجـيش البريطانى فى تـقدمه، وفى ٨ يـناير ١٩٤١ تم حصـار طبرق، وبالرغم من دفاعاتهـا المتينة وحاميتـها المؤلفة من ٢٥ ألفاً والمعززة بوحدات المدفـعية القوية والمؤن الوفيرة، إلا أنها لم تصمد سـوى أسبوعين فقط، وبعدها انهار الدفاع كله تحت ضغط الهجوم البريطانى وكان أساسه دبابات المشاة.

ويعلق «ليدل هارت» فيقول:

وقد بدأ الهجـوم فى ٢١ يناير، وفى اليوم التالى كانت المقاومة قـد انتهت تماما، وتـم أسر ٣٠ ألفاً ومعهم ٢٣٦ مدفعاً.

ويتابع «رومل» مذكراته فيقول:

بعد سقوط «طبـرق»، دخل البريطانيون «برقة» حيث خاضوا معـارك قصيرة فى «درنة» و«المخيلى»، وفى ٧ فـبراير سـقطت بنغازى فى أيدى البريطـانيين، واندفع طابور بريطانى مدرع حيث تقدم عبر «مسوسى»، ولم يلحظ الإيطاليون ذلك، وبلغ الساحل عند نقطـة تبعد ٣٠ ميـلاً جنوبى غربى «بنغـازى» واشتبك مع بقـايا جيش «جرازيانى»، وانتهى الاشتـباك بتدمير ١٠٠ عربة قتال مـدرعة إيطالية مع أسر ١٠ آلاف إيطالى.

* السلاح الجوى الإيطالى يخسر طائراته

وفى ٨ فبـراير،احتلت القوات البريطانيـة العقيلة، وبذا توقـفت عند الحدود بين «برقة» و «طرابلس»، بعد أن أبيد جيش جرازيانى تماما.

كمـا نزلت بالسلاح الجـوى الإيطالى هزيمة قاصـمة على أيدى السـلاح الجوى البريطانى، حيث خسر معظم طائراته ومنشآته الأرضية.

* انهيار الجيش العاشر معنوياً وإدارياً:

ويتابع «رومل» مذكراته فيقول:

كانت الهزائم الإيطاليـة المنكرة تتعلق بمعنوياتهم، فهى قد فقـدت كل ثقة لها فى سلاحها، كـما تعرضت لمركب نقص خطير بقى مسيطراً علـيها طيلة الحرب، وهو أن الحكومة الفـاشية لم تعزز قواتـها فى شمال أفريقـيا بالعتاد اللازم، ومن الـناحية النفسـية نجـد أنه من سوء الحظ أن تنتـهى أولى معـارك الحرب بمثل هذه الهـزيمة المنكرة، التى تدفع بالرجال إلى فقدان الثقة بأنفسهم.

* * * *

الفصل الثانى
الجولة الأولى

★ بعثة إلى أفريقيا:

فى يوم ٦ فبراير، أبلغنى الفيلد مارشال «فون براد شيتش» بمهمتى الجديدة بعد تأزم الموقف بالنسبة لحلفائنا الإيطاليين فى شمال أفريقيا، ولذلك اتجهت النية لإرسال فرقتين ألمانيتين، إحداهما مدرعة والأخرى خفيفة، لمساندتهم فى ليبيا، وكان عليّ أن أتولى قيادة فيلق أفريقيا الألمانى، وأن أسافر فى أقرب فرصة إلى ليبيا لاستطلاع الأرض، على أن تصل طلائع القوات الألمانية إلى أفريقيا فى منتصف شهر فبراير، بينما سيتم تحرك الفرقة الخامسة الخفيفة فى منتصف أبريل والفرقة ١٥ بانزر فى نهاية مايو.

وقد اشترطت القيادة الألمانية، لتقديم هذه المساعدة، أن تتعهد الحكومة الإيطالية بالدفاع عن طرابلس فى منطقة خليج «سبرته» على خط يتجه نحو الجنوب بالقرب من البوبرات، وذلك لتأمين الأراضى اللازمة لاستخدام الطيران الألمانى فى أفريقيا، وكانت القوات الإيطالية المحملة فى شمال أفريقيا ستوضع تحت قيادتى.

فى صباح يوم ١١ فبراير، قدمت نفسى للجنرال «جارونى» رئيس أركان القيادة العليا فى روما، حيث عرضت عليه خطة نقل الدفاع من طرابلس إلى منطقة خليج «سبرته»، وقد وافق على ذلك، وصدرت التعليمات للجنرال «روانا»، رئيس أركان الجيش الإيطالى، بمرافقتى إلى ليبيا، وعند العصر طرت إلى صقلية حيث قابلت الجنرال «جايسر» قائد الفيلق العاشر الجوى الألمانى، وكانت آخر الأخبار الواردة من أفريقيا سيئة للغاية، فقد استولى «ويفل» على «بنغازى» ودمر آخر فرقة مدرعة

للإيطاليين جنوبى المدينة، وكان على وشك الدخول إلى طرابلس، ولن تتمكن القوات الإيطالية من المقاومة لمدة أكثر، ولما كانت أولى الفرق الألمانية لن يتم تجهيزها فى أفريقيا إلا فى منتصف شهر أبريل، لذلك فإن مساعدتها ستصل متأخرة وغير ذات قيمة إذا ما استمر العدو فى تقدمه.

وعليه فقد طلبت إلى الجنرال «جايسلر» أن يهاجم ميناء «بنغازى» فى نفس الليلة ويرسل بقاذفاته فى الصباح لمهاجمة القوافل البريطانية جنوبى غربى المدينة، ولم يوافق «جايسلر» فى أول الأمر، ولم أصبر على هذا، فاتصل العقيد «شماندت» بمقر قيادة الفوهرر وتلقى تعليماته بالموافقة، وبعدها بساعات قامت أولى القاذفات الألمانية فى مهمتها لضرب قوافل التموين البريطانية المتجهة إلى «بنغازى».

وفى الصباح، اتجهت مجموعتنا الاستطلاعية جواً من صقلية إلى طرابلس، وعندما قدمت نفسى للجنرال «جاريبولدى»، الذى تسلم القيادة من الماريشال «جرازيانى»، وأعلمته بمهمتى، لاحظت أن حماسه فاتراً أثناء شرحى لخطة الدفاع عن خليج «سبرته»، وبدا لى أنه لم يقتنع، فقد كان منهاراً للغاية بسبب الهزيمة، فضغطت عليه بقدر ما أستطيع وأفهمته أننا لن نتمكن من مساعدتهم ما لم يصمدوا فى الدفاع عن «سبرته».

وبعد حثى للإيطاليين، قاموا فى ١٤ فبراير بتحريك أولى فرقهم نحو «سبرته»، وفى نفس اليوم وصلت إلى ميناء طرابلس أولى الوحدات الألمانية، ونظرا لخطورة الموقف طلبت منهم الإسراع بالنزول والاستمرار ليلاً على أضواء المصابيح، وكان عليّ أن أقبل المخاطرة للتعرض بكل بساطة لهجوم جوى للعدو.

ولكن أظهر بمظهر قوى، أصدرت أوامرى للورش بصنع عدد من الدبابات الهيكلية حيث حملتها على سيارات فولكسواجن وكانت تبدو حقيقية بالفعل.

وفى ١٧ فبراير، زاد نشـاط العدو للغاية وانتابنى القلق من أن يستـأنف هجومه على طرابلس، وزاد من هذا الـشعـور عندمـا تأكـدنا فى ١٨ فبـراير من وجـود وحدات بريطانية جـديدة بين «العقيلة» و «أجدابية»، ولكى أشعـرهم بنشاطنا قررت دفع الكتيـبة الثالثة اسـتطلاع للأمام ومعـها كتيـبة سانتـا ماريا والكتيبـة ٣٧ المضادة للدبابات إلى المنطقة المحيطة «بالنوفيلية» للاتصال بالعدو.

* الاصطدام الأول:

وفى ٢٤ فبـراير حدث أول صـدام بين القوات الألمانيـة والبريطانيـة فى أفريقـيا ودمرنا للعدو عـربتى استطلاع وعربة نقل وسيارة وأسـرنا ثلاثة جنود بريطانيين من ضمنهم ضابط، ولم تحـدث بيننا أى خسائر، وفى نفس الوقت استـمر تحرك باقى الفرقة الخامسة الخفيفة إلى الجبهة حسب الخطة.

* عاصفة رملية تضرب رومل:

فى هذه المرحلة يتـمكن العـدو من وقف إمداداتنا، وفى ١١ مـارس تم إنزال الألاى الخامس فى طرابلس، وفى ١٣ مارس نقلت مقـر قيادتى إلى مسراته وذلك للاقتراب من الجبهة، وكان هدفى أن أطير إليها وبرفقتى رئيس عملياتى، ولكن بعد إقلاعـنا صادفـتنا عاصـفة رمليـة فأجـبرت الطيـار على العودة، فـاضطررت إلى الاستـمرار فى رحلتى إلى مطار مـسراته بالسـيارة، وأدركنا أننا لم نقـدر قوة هذه العاصفة، فقد حجبت سحب التراب الأحـمر الضخمة الرؤية تماما وجعلت السيارة تكاد تزحف.

وفى ١٩ مارس سـافرت بالطائرة إلى مـقر قيادة «هـتلر» لأقدم له تقريراً كـاملا وأتلقى التـعليـمات منه، وهناك أنعـم على الفوهرر بوسـام أوراق الغـار للصليب الحديدى، وذلك لمجهودى أثناء عـمليات الفرقة السابعة البـانزر فى فرنسا، وأبلغنى

القائد العام للقوات البرية عدم توجيه ضـربة حاسمة فى الوقت الحاضر فى أفريقيا، وعلينا ألا نتوقع أى مدد إلا فى نهـاية مايو وبعد وصول الفرقة الخامـسة عشر بانزر حيث يمكن مهاجـمة العدو وتدميره حول «إجدابيـة»، وربما يمكن الاستيلاء على «بنغازى»، وأوضحت له عدم إمكان الاستـيلاء على «بنغازى» وحدها دون إحتلال «برقة» بأسرها، ولا يمكن أيضا الاحتفاظ بمنطقة «بنغازى» بدون ذلك.

* رومل يستولى على العقيلة:

كنت قد أمـرت الفرقة الخامـسة الخفيـفة قبل سفـرى بالاستعداد للهـجوم على «العقيلة» والاسـتيلاء على مطارها وحصنها الصغـير ثم طرد حاميتهـا الحالية، وقد قامت قوات مختلطة من الألمان والإيطاليـين قبل ذلك بوقت باحتلال واحة «مرادة» الموجودة فى الجنوب، وكان علينا إمداد هذه القوة، ولكن قوات العدو فى «العقيلة» أزعجت قوافل تموينا، لذلك فبعد عودتى إلى أفريقيا، قامت الكتيبة ٣ استطلاع فى ساعة مـبكرة من يوم ٢٤ مارس باحتلال الحصن ونقط الميـاه والمطار فى «العقيلة»، وبعـد الاستـيلاء على «العـقيلة» أبلغنا سـلاحنا الجـوى بأن نقط الإنذار البريطانيـة تنسحب نحو مضيق «مرسى البريقة».

* الإغارة عبر برقة:

كان المضيق الواقع فى «مرسى البريقة» هو الهدف الأول لهجومنا الذى سيبدأ فى أيار ضد العدو حول «إجـدابية»، وبعد انسحاب العدو من «العـقيلة»، احتل مواقع فى المرتفعات الحاكمة فى «مـرسى البريقة»، وجنوبى الملاحة فى بير «الصويرة»، ثم بدءوا فى تدعيم مواقعهم. وعليه، فكان أمامى إما أن أنتظر بقية قواتى التى ستصل فى نهاية مايو، وهذا يعنى فسح المجال أمام العدو لتحصين مواقعه لدرجة أنه يصبح من الصعب طرده منها، أو أن أقـوم بالهجوم على الفور بالقوات المحـدودة المتوفرة لدى فأسـتولى على موقع «مرسى البـريقة» قبل أن يتم تجـهيزه، وقررت الهـجوم

فورا، وتحـركت قواتنا فى ٣١ مـارس ضد المواقع البريطانيـة فى «مرسى البـريقة»، ودارت معركة وحشية فى معاطن «جيوفر»، ثـم قامت قوات الفرقة الخامسة الخفيفة بعد الظهر بمهاجمـة مواقع «مرسى البريقة» نفسها التى دافع عنهـا البريطانيون بشدة ولم يلبث أن توقف هجومنا.

وفى ساعة متأخرة من الليل، دفعت الكتـيبة المزودة بالمدافع الرشاشة الثامنة عند هذه النقطة حيث قامت بهجوم جرىء عبر الكثبان الرملية.

وتمكنت من دفع العدو إلى الوراء نحو الشرق، واسـتولت على مضيق «مرسى البريـقة»، وفى أول أبريل، أصـدرت الأمر لقواتى بـالتجمـع فى «مرسى البـريقة» ومعاطن «جيوفر».

وأظهـرت تقارير السـلاح الجوى ودوريات الاسـتطلاع، نيـة العدو بالتـراجع، فـقررت أن أغـتنم هذه الفرصـة، فأصـدرت أوامـرى بالهجـوم على «إجدابيـة» والاستيلاء عليها، وهكـذا قامت الفرقة الخامسة الخفيفة مـتقدمة على جانبى الطريق الساحلى، وبعد مـعركة قصيـرة استولت على «إجدابية» فى عـصر اليوم ذاته، ثم اندفعت قواتنا الأمامية بسرعـة إلى منطقة زيتونة، وفى الوقت نفسه اصطدمت فرقة البانزر بالدبابات البريطانية حـيث دارت معركة قصيرة وأسفرت النتـيجة عن احتراق سبع دبابات للعدو، ولم نخسر نحن سوى ثلاثة، وعند حلول الظلام استولينا على الأرض المحيطـة بإجدابيـة ولمسافة ١٤ مـيلاً نحـو الشرق ومن ثم لحـقتنا الـقوات الإيطالية.

* رومل يستولى على برقة بضربة واحدة:

كان واضحاً أن البريطـانيين كانوا يريدون تفادى هذا الاشتباك وأى اشتـباك مهما كان، لذلك عزمت على الانطلاق فى عصر هذا اليوم فى أعقاب العدو والاستيلاء على «برقة» كلها بضربة واحدة، فقمت بإرسـال مقدمة فرقة آريتى المدرعة الإيطالية

إلى «بنغازى»، وأمرت بدفع كتيبة الاستطلاع للأمام على الطريق الرئيسى إلى «بنغازى».

وفى المساء ذهبت لأراقب سير الأمور فى جبهة الكتيبة الثالثة والتى تقدمت نحو «بنغازى» وعندما لحقت بها فى منطقة «مجرون»، أخبرنى «فون ويخمار» أنه لم يصطدم حتى الآن مع أى قوات بريطانية، وقد أخبره قسيس إيطالى قادم من هناك بأن الإنجليز أخلوا المدينة بالفعل، وبناء على طلب «فون ويخمار» أرسلت الكتيبة المذكورة لاحتلال «بنغازى».

* رومل يستولى على السلطة فى شمال أفريقيا:

كنت منذ البداية قد عزمت على الحصول على أكبر قدر ممكن من الحرية الاستراتيجية والتكتيكية، ولذلك قررت ألا أتخلى عن هذه الفرص الذهبية وأن أستغلها، وكان الجنرال «جاريبولدى» القائد العام الإيطالى لايريد أن يتصرف قبل أن تصله أوامر من روما، وهذا يعنى ضياع الوقت الثمين بدون أن نفعل شيئاً، لذلك قررت عدم قبول مثل هذا الموقف، فأخبرته بأنى سأستمر فى العمل الذى أراه مناسباً وتحت أى ظروف، وقررت التصرف بنفسى بالأسلوب الذى أتبعه حتى هذا الوقت، وفى هذه اللحظة وصلتنى رسالة من القيادة العليا الألمانية تمنحنى الحرية الكاملة فى اتخاذ القرارات اللازمة، وأدى هذا إلى الوصول إلى النقطة الحاسمة، وبذلك انتهت المناقشة فى الاتجاه الذى أردته لها.

* قوات رومل تطارد الإنجليز إلى طبرق:

أصدرت تعليمات للجنرال «فون برتيوتيز» قائد الفرقة ١٥ بانزر، بتولى قيادة قوة مطاردة لمتابعة الإنجليز إلى «طبرق»، ووضعت تحت قيادته كتيبة الاستطلاع الثالثة وكتيبة المدافع الثامنة والكتيبة ٦٠٥ المضادة للدبابات، وكان استيلائى على «برقة» قد

أصبح تاماً، ولكنى كنت لا أزال أعتقد أنه لابد من مطاردة العدو، لأن استمرارنا فى الضغط عليه سيضطره للاستمرار فى الانسحاب.

* الهجوم على طبرق:

فى ٩ أبريل، وصل تقرير مفاده أن العدو حشد قوات كبيرة حول «طبرق» وهو يقوم بتحميل المعدات فى عشر سفن موجودة فى الميناء، ولسوء الحظ كانت طائراتنا مشغولة للغاية ولن يتمكن سوى عدد بسيط من المشاركة بالمعركة.

وعند الظهر وصل قائد فرقة برسكيا فأخبرته بنواياى، المتضمنة الهجوم على «طبرق» من الجنوب بفرقة بريسكيا ثم يليها فرقة تريتتو لإبقاء قوات العدو فى أماكنها مع إثارة سحب كثيفة من الغبار، بينما تقوم الفرقة الخامسة الخفيفة بالالتفاف من جنوب «طبرق» عبر الصحراء لمهاجمتها من الجنوب الشرقى.

وعند العصر وصلت ومعى الدينجر إلى «التميمى»، حيث تحتل قواتنا الأمامية مواقعها، حيث أطلعت الجنرال «فون بريتوينز» على خطة الهجوم على «طبرق»، وفى نفس الوقت قدرت أن الفرقة الخامسة الخفيفة تحركت بالفعل صوب التميمى، وسرت فى اتجاه المخيلى لمقابلة الفرقة الخامسة الخفيفة، ولكن بعد أن اجتزنا ٣٠ ميلاً ضربتنا عاصفة رملية أجبرتنا على العودة إلى «درنة».

وانتظرنا هدوء العاصفة ثم أقلعنا مرة أخرى، فوجدنا الفرقة الخفيفة لاتزال فى مكانها، فأصدرت أوامرى للفرقة بالتحرك عند المساء عبر «التميمى» على أن تصل عند الفجر إلى منطقة «الغزالة» التى اخترتها لتهجم منها هذه الفرقة.

وفى العاشر من أبريل تحركت باتجاه «طبرق»، حيث وجدت الكتيبة الثالثة استطلاع على مسافة تبعد ٣٠ ميلاً غربى الحصن، ولسوء الحظ ظهر أنها لم تبدأ بعد التفافها نحو اليمين للقيام بهجومها، وقد أصدرت أوامرى للجنرال «فون

بريتوينز» بالهجوم فوراً بمحاذاة الطريق المؤدى إلى «طبرق»، ثم تحركت مرة أخرى نحو «طبرق»، فوجدت الوحدات القائدة من الكتيبة الثامنة مشتبكة مع العدو على مسافة عشرة أميال من «طبرق»، ولكن النيران الشديدة للمدفعية البريطانية الموجودة فى طبرق عطلت تقدمها.

وتحركت جنوباً فى عربتى المدرعة، ماموث، واتجهنا شرقاً للاقتراب من طريق «طبرق العضم» وقد لاحظنا تقدم الدبابات البريطانية والسيارات المدرعة على مرتفع، وظهر لنا أن الكتيبة الثالثة لم تحتل العضم بعد، بينما كانت المدفعية البريطانية تضرب بشدة وحدات الفرقة الخامسة الخفيفة الواقفة على الطريق، وهناك قابلت الكونت «شويرين» حيث أصدرت له أمراً بالاقتراب من شرق «طبرق» لمنع الإنجليز من اختراق الحصار، ثم رجعت إلى «عكرمة» لإحضار قوات أخرى، فأرسلت فرقة البانزر لمهاجمة «طبرق» من الجنوب الشرقى.

وفى عصر هذا اليوم، سقطت «العضم»، فطلبت من الفرقة الاستمرار فى المطاردة إلى «البردية»، بينما كانت القوات الأخرى تصل تباعاً، وفى يوم ١١ أبريل تم حصار «طبرق»، وبدأ الهجوم بالطائرات المنقضة على مواقع العدو الدفاعية، والتى كانت مجهولة لدينا.

وفى ١٢ أبريل استولينا على «البردية»، بينما وصلت إلينا قوات أخرى، فقررت البدء فى أول هجوم على الحصن فى عصر هذا اليوم، وفى نفس الوقت تسلمت فرقة بريسكيا الناحية الغربية من «طبرق»، وبدأت الهجوم فى عصر هذا اليوم.

وبدأت الفرقة الخامسة الخفيفة هجومها، ثم اتجهت شمالاً فى «المأموث» خلف مدرعاتى بينما كانت مدفعية العدو تقصف منطقة تقدم مدرعاتنا، ولكنها لم تكبدنا سوى خسائر بسيطة، وعند وصول فرقة البانزر للثغرة توقفت لتعرضها لنيران شديدة من المدفعية، وأخيراً توقفت المدرعات أمام خندق مضاد للدبابات، وبعد ذلك

توقفت جميع المدرعــات، فقد اتضح لنا أن دفاعات «طبرق» كــانت ممتدة فى جميع الاتجاهات أكثر مما قدرنا، وحتى ذلك الوقت لم نحصل على تخطيط لمواقع «طبرق» الدفاعية الموجودة فى حوزة الإيطاليين.

وقــررت أن أحاول من جــديد خلال أيام قليلة وذلــك عندما يصلنا مــزيد من المدفعية وفرقة آريتى المدرعة، وبذلك لا أترك للعدو أى فرصة لتدعيم دفاعاته.

* مبادئ الحرب الخاطفة:

واتضح لى بعد أن فشلت الفرقة الخامســة فى هجومها على «طبرق» أنها فقدت ثقتها فى نفسها وسادتها روح التشاؤم.

ولم يصلنى أى خــبر عن فــرقة آريتى المدرعــة، فقــررت أن أعود لإحضــارها بنفسى، ورأيت مقدمــة هذه الفرقة على مسافة ٢٢ ميلاً غــربى «العضم»، فأمرت قائدها الجنرال «بــالداساى» بحشــد قوته فى المنطقة شــمالى «العــضم»، وبعد ذلك بدأت الكتيبــة ٨ هجومها وكــان هدفها تدمير الخندق المضــاد للدبابات وعمل رأس جسر داخل النطاق الدفاعى البريطانى، بينما كانت المدفعية الألمانية والإيطالية تقصف بمهارة، وقامت مدفعية الكتيبة الثــالثة عشر المضادة للطائرات بقصف تجمعات العدو مباشرة، وقد نجحت بذلك نجاحاً باهراً.

وفى نفس الوقت علمت باستقرار الوضع فى مواجــهة «السلوم»، فاستولينا على «السلوم » و «كابتزو»، وكان البريطانيون فى حالة سكون شبه تام.

وحددت يوم ١٤ أبريل لبدء هجوم الفرقة الخامســة الخفيفة، وأصدرت تعليماتى لجراتى وللكتــيبة الثــامنة عشر المضــادة للطائرات بالعمل فى المعــاونة القريبة للفــرقة الخامسة الخفيفة.

وبدأ الهجوم بمســاندة قوية من المدفعية وفى الوقت المعــين بكل دقة، وبعد قليل أخطرنا «بوناتش بأنه يتقــدم بدرجة معقــولة، ثم رجعت إلى رئاسة الفيــلق فوجدت

تقريراً من الفرقة الخامسة الخفيفة مفاده أن هجومها قد توقف لأن اختراقها كان على جبهة ضيقة فى خطوط الأعداء، وبعدها بفترة قصيرة وصل الجنرال «سترايخ» والعقيد «أولبريخ»، والذى قال إنه وصل بالفعل بمدرعاته إلى نقطة تبعد ميلين ونصف جنوبى المدينة، ولكنه تعرض هناك لقصف شديد من المدفعية البريطانية فاضطر إلى الانسحاب إلى خط بمحاذاة رئاسة الفيلق، وقال إن عددا كبيرا من المشاة قد أصيب، فأمرته بالتقدم فى الحال لفتح ثغرة فى خط الأعداء لتخليص المشاة، وقررت بدء الهجوم بعد وصول فرقة آريتى، ولسوء الحظ اتضح أنها لم تفعل أى شىء، فحثثتها على التحرك بأقصى سرعة.

* رومل يوقف الهجوم على طبرق:

وعدت عند الظهر، فعلمت أن الفرقة الخامسة الخفيفة لم تفعل شيئاً وذلك لشدة نيران العدو المركزة عليها، وتحت هذه الظروف لم يكن أمامى إلا وقف الهجوم على «طبرق» ثم أحاول الاتصال بكتيبة «بوناث» لإخراجها من مأزقها.

ثم ذهبت إلى فرقة آريتى وأبلغتهم قرارى الأخير، وأمرتهم باحتلال القطاع جنوب الفرقة الخامسة الخلفية، ورافقتهم بنفسى، وقد علمت أن جنوب شرق قصر «الجلجا» قد قصفته المدفعية البريطانية الموجودة فى «طبرق» ودبت الفوضى بشكل يفوق الوصف، وكان الظلام على وشك الحلول لذلك لاقى قائد الفرقة صعوبات جمة أثناء محاولته السيطرة على وحداته وتحريكها إلى مواقعها الجديدة.

ولم نتمكن من الاتصال مع كتيبة «بوناث»، وفى ذلك الوقت كان القسم الأكبر من الكتيبة قد قضى عليه، وكان المقدم «بوناث» نفسه قد لقى مصرعه فى هذه المعركة.

* الإيطاليون يخذلون روميل:

وكان هدفى بعد ذلك الاستيلاء على «التل» و «رأس المدور» مستخدماً فى ذلك قسماً من فرقتى آريتى وتريتو وعدد من السرية الألمانية وبمساندة قوية من المدفعية.

وفى يوم ١٦ أبريل دفعت بكتيبة مدرعة من فرقة آريتى لمهاجمة التبة ١٨٧، وتقدمت على يسار الهجوم، وبدلاً من أن يتوقف الإيطاليون جنوبى التبة وينزلوا ليستكشفوا الأرض أمامهم، اندفعوا إلى أعلى نقطة فى التبة ١٨٧ حيث توقفوا هناك، ولم يمض أكثر من دقائق حتى بدأت المدفعية بقصف التبة، فانسحب الإيطاليون بأقصى سرعتهم ليتوقفوا فى الوادى بعد أن سادت بينهم الفوضى والارتباك، فحاولت إقناع قائد الدبابات الإيطالى بالتقدم إلى رأس المدور فى تشكيل مفتوح، ولكننى لم أنجح.

وفى هذه الأثناء، كان الملازم «برندت» يراقب سير المشاة الإيطالية، الذى تم فى بداية الأمر بنظام ممتاز، ولكن الإيطاليين تحولوا فجأة وهربوا فى فوضى كبيرة نحو الغرب، فأمرته باللحاق بهم لمعرفة سبب هذه الفوضى، وبعد نصف ساعة ظهر «برندت» وقال لى ان أحد الإيطاليين أخبره أن العدو هاجمهم بالدبابات، واضطررت إلى التحرك ومعى ثلاثة مدافع مضادة للدبابات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولم أتمكن من إقناع رجال الدبابات الإيطالية بمرافقتنا، ولكن هذه المدافع نجحت تحت قيادة «برندت» فى تدمير عدد من حاملات البرن البريطانية.

أما الكتيبة الإيطالية التى لم يكن بحوزتها أى أسلحة مضادة للدبابات قد سقطت فى الأسر بالكامل فى ذلك الوقت، وقد نجح مساعدى الرائد «شريبلر» فى الإفلات من الأسر ثم قام باحتلال المرتفعات حول «عكرمة» مع ما تبقى من الإيطاليين، فأرسلت إليه سريتين من المشاة لتعزيز قواته.

وقـررت مهـاجـمة «رأس المدور» لأن البـريطانيـين بتـحكمـهم فى هذه النقطة يستطيعون تهـديد خطوط مواصلاتنا عبر «عكرمة»، وعليـه قمت بمحاولة أخرى فى يوم ١٧، ولم ينجح الهجوم مرة أخرى لأن القوة المهاجمة تجاهلت تعليماتى، والتى تقضى بالتـقدم من مانع طبـيعى إلى آخر ثم تنتظر فى كل مـرة حتى تعاونهـا نيران المدفعية على التقدم، ولكن قادة السرايا تجاهلوا هذه التعليمات واندفعوا بغباء عنيد نحو العدو.

وأخيرا ظهر لنا بوضوح أنه لا يوجـد أى أمل فى اختراق مواقع العدو الموجودة فى مواجهتنا وذلك لحـالة الإيطاليين السيئة فى التدريب ومعداتهم القـديمة العديمة القيمة، فقررت إيقاف الهجوم لحين وصول قوات أكبر.

ويوم ١٩ أبريل تحركـت «للبردية»، ووجدت أن قـواتى لم تحتل الحـصن بعد، وهناك قمت بتـقليد المقـدم «فون ويخمـار» صليب الفارس، ثم أصـدرت أوامرى لسرية ألمانية باحتلال «البردية» علـى الفور، وقد سقط الحصن بالكامل وتم أسر ٥٦ فرداً وفريق التدمير الذى أرسله الإنجليز للحصن فى هذه الليلة.

* تعرض روميل لضرب الطائرات البريطانية:

وأثناء عـودتنا، وعلى مسـافة حـوالى عشرة أمـيال غـرب «البردية»، تعـرضنا لهجـمات من الطائرات البـريطانية مرتين، وفى هذه اللـيلة قررت العودة إلى مـقر قيادتى، فتحولت جنوباً قبل أن أصل إلى «طبرق» لأتخطاها عبر الصحراء.

وكان الظلام حـالكاً، وحاولنا الاستـعانة بالنجوم لـتحديد مكاننا، ولكن الغـيوم غطت السماء فاضطررنا للتوقف فى مكاننا بقية الليل لحين حلول الصباح.

* روميل يضع خطة للهجوم على طبرق مرة ثانية:

وأخيـراً وصلت من القـيادة العليـا الإيطالية خطط الدفـاع عن طبرق، وكـانت تشمل خرائط مفصلة عن مواقع التحصينات ورسومات تبين أماكن خنادق الدفاع،

وكـان كل هدفى فى هذا الحـين سـحب القـوات المحملـة التى تحاصـر «طبـرق» لاستـغلالها فى المعارك المتـحركة، وعليه طلبـت من القيادة العليا الإيطاليـة إرسال فرقتين مشاة إضافيتين.

وأخذت أعمل فى الأيام الـتالية فى خطة الهجوم عـلى «طبرق»، وقررت وضع الجزء الأكبـر من فرقة بريسكيا فى مواقع ثابتـة على الجبهة الشرقـية «لطبرق»، وبذا أتمكن من سحب الكتيبة الثانية مدافع ماكينة وأستغل جزء من فرقة ترينتو فى احتلال «البردية» و «السلـوم» إذا أمكن، وبذلك أخلى كتيـبة كتائبى الألمانيـة، وكان سيـقوم بالهجوم الرئيـسى الفرقة الخامسة عـشر بانزر مع تدعيمها بوحـدات من فرقة آريتى المدرعة، وكان محور الهجوم الرئيسى سيكون عبر رأس المدور إلى داخل الدفاعات الثابتة، وأثناء الهجوم الرئيـسى تقوم الفرقة الخامسة الخفيفة بهـجوم ثانوى على الجبهة الجنوبية الشرقية، وقررت القيام بهذا الهجوم فى نهاية أبريل أو فى أوائل مايو.

فى صبـاح ٢٢ أبريل، اجتاح العـدو مواقع الكتيـبة فابريس فى التـبة ٢٠١، ثم تقدم نحـو «عكرمة»، فـأنذرت الفرقـة الخامسـة عشـر بانزر على الفور، وأمـرتها باحتـلال الطريق الرئيسى شرقى مـوقع صيانة الطـريق رقم ٣١، وبعد ذلك بوقت قصير وصلت أنباء تفيد بأن هناك اشتباكاً بالمدافع الرشاشة أمام عكرمة.

وعلية انـطلقت إلى هناك بأقصى سـرعتى، ومـررت فى الطريق بالكتيـبة ٦٠٥ المضادة للدبابات فأخذتها معى، وعند وصـولى علمت بأن العدو أسر بالفعل قيادة فابريس، بينما هاجمت ستة دبابات بريطانيـة مواقع المدفعية الإيطالية ودمرت المدافع وأسرت رجالـها وقد عدلت خطتى، التى كـانت تتضمن الهجـوم بالفرقة الخـامسة الخفـيفة من الجنوب الـشرقى على «طبرق»، لأن الفـرقة لم تكن لديهـا الميل لهذه العملية بسبب الأرض المفتوحة التى سيتم الهجوم فيها وكانت خالية من السواتر.

* رومل يوقف القتال:

فى حوالى الساعة السادسة من يوم ٣٠ مايو، بدأ الهجوم على «رأس المدور» بواسطة طائرتنا المنقضة، وكان الهجوم على خط الدفاع الخارجى قد نجح نجاحاً تاماً، فأمكننا اختراق خط العدو إلى عمق وصل لميلين شمال وجنوب «رأس المدور» مباشرة.

وفى حوالى الساعة التاسعة، هوجمت التبة الرئيسية فى «رأس المدور» من الخلف وسقطت فى يد كتيبة «فويجستبرجر»، وأمرت فرقة« آريتى» بالتحرك ليلاً للاقتراب من مجموعة «كيرشهايم»، وفى صباح الأول من مايو، تحركت شرقاً نحو رئاسة «كبرشهايم»، فقابلت جزءاً من فرقة «آريتى» وكان المفروض أن تكون قد احتلت بالفعل المواقع التى سقطت فى أيدينا قبل ذلك، وعندما قامت المدفعية البريطانية بضرب المنطقة كلها، زحف الإيطاليون تحت عرباتهم وفشلت كل المحاولات التى بذلها ضباطهم لإخراجهم من تحت العربات.

وبعد فترة تحركت إلى منطقة الهجوم، وركبت فى المرحلة الأولى وترجلت فى المرحلة الأخيرة وذلك لأكون فكرة كاملة عن الموقف، وعند وصولى أصدرت أوامرى باحتلال المواقع التى سقطت فى أيدينا على الفور لتأمين الجبهة ضد أى مفاجآت غير سارة.

ولكن فى اليوم التالى، ٢ مايو، اتضح لى أننا لسنا على درجة كافية من القوة للقيام بالهجوم الكبير الذى سيؤدى إلى سقوط الحصن، ولم يبق أمامى سوى الاكتفاء بما حققته بالفعل، وهو القضاء على مواقع العدو فى «رأس المدور» التى تهدد خطوط مواصلاتى.

* معركة الحدود:

بعد أن توقفت عملية حصار «طبرق»، قررت الحفاظ بمواقعنا فى منطقة «السلوم»، فقمت بتوزيع الواجبات للقوات الألمانية الإيطالية فى شمال أفريقيا.

وأصدرت تعليماتى بتنظيم خط دفاعى عند «الغزالة» لتكون على أهبة الاستعداد، وفى الساعات الأولى من صباح يوم ١٥ مايو، قام البريطانيون بهجومهم على قواتنا المترجلة بالقرب من «السلوم»، كما هاجموا مواقعنا القوية فى ممر «حلفاية»، ثم تقدمت المدرعات البريطانية بعد ذلك من منطقة «حباطه» حيث انتشرت على طول الحدود ثم اتجهت إلى الشمال الغربى، ثم شمالاً صوب «كابتزو»، وتكبدت قواتنا خسائر جسيمة، وارتدت بانتظام تحت ضغط العدو نحو الشمال.

وأرسلت على الفور كتيبة مدعمة بالمدفعية المضادة للطائرات تحت قيادة المقدم «كرامر» لمساعدة «هيرف»، وكان على قوتى «هيرف» و «كرامر» الالتقاء ليلة ١٥ - ١٦ مايو غربى «سيدى عزيز» وذلك لمنع الإنجليز من تحقيق هدفهم وهو القضاء على قوة «هيرف».

وفى الليل دفعت قوة «هيرف» نحو قوة «كرامر» لمنع العدو من اصطياد القوتين على انفراد فى الصباح، ولكن القوتين فشلتا فى التقابل، وفى صباح يوم ١٦ مايو، وصل «كرامر» بقوته إلى منطقة «سيدى عزيز»، فأوقف العدو الهجوم وانسحب نحو الجنوب.

* رومل يعيد الإستيلاء على الحلفاية:

وفى الأيام القيلة التالية، انسحب الإنجليز إلى داخل الحدود المصرية، وتجمد الوضع مرة ثانية، أما حاميتنا فى «نقب الحلفاية» فقد دمرها العدو واستولى عليها، وفى يوم ١٨ مايو عدنا إلى موقعنا السابق فيما عدا هذه النقطة.

وبعـد ١٧ مـايو، راح الإنجليـز يحـصنون مـواقـعـهم فى «حلفـاية» مع نشـر مجمـوعات قتال قـوية مكونة من الدبابات والمدفعيـة والمدافع المضادة للدبابات فى الأماكن التى استولوا عليها، وبما أننى كنت غيـر مستعد لإبقاء «نقب الحلفاية» فى يد العدو، فقد أصدرت تعليماتى لقوة «هيـرف» بوضع خطة للهجوم المضاد لاستعادة «النقب».

وبعد أن قمنا بـدعم قواتنا فى منطقة (السلوم- الحلفاية- البـردية) وأخذنا نبنى التحصينات فى منطقة ممر «الحلفاية» بأقصى سرعة، وأقمنا عدة نقط قوية على طول الحدود المصرية، وأثناء تـفتيشى فى منطقة الدفـاع فى «البردية» عثرت على كـميات ضخمة من العـتاد المتروك فى المواقع، وقد تركها جيش «جـرازيانى» أثناء انسحابه، وكان هذا العتـاد فى حالة ممتازة ومعد للاسـتعمال، فأصـدرت أوامرى بجمع كل المدافع الإيطاليـة المهجـورة واسـتخدامـها فى تقـوية الجبـهة فى منطقـة (السلوم- الحلفاية- سيدى عمر).

كنت قلقاً جـداً للموقف الاسـتـراتيجى الصعب النـاجم عن واجبنا المزدوج فى الحفاظ على حصـار «طبرق»، والاستعداد لمواجهة الهـجوم البريطانى الرئيسى الذى سيجرى من قـواعدهم فى مصر، إلا أننا كنا على استعداد لبـذل أى مجهود لطرد الإنجليز من «طبرق»، وطالبت بإرسال غواصـات ألمانية وزوارق طوربيد لتعمل ضد المواصلات البحرية الإنجليزية إلى «طبرق».

وفجـأة وصل الجنرال «جاوزى» قادماً من القـيادة العليا وبرفـقة عدد كبـير من أركان الحرب لمعـرفة إذا كان ممكناً اسـتخدام قوات أكبـر فى أفريقيا للهـجوم على مصر؟ وقـد تلقى الجنرال جاوزى أوامر صـريحة بعدم العمل تحت قـيادتى، ولكن عندما قلت له بلهجة لا تقبل النقاش بأن قيـادة كل القوات فى أفريقيا محصورة بى شخصياً، وافق.

الفصل الثالث
الهجوم الإنجليزى صيف عام ١٩٤١

* معركة باتل أكس:

فى بداية شهر يونيو، كانت الدلائل تشير إلى أن هناك هجوماً بريطانياً كبيراً متوقعاً على جبهتنا فى طبرق، وكان من المنتظر أن يبدأ هذا الهجوم فى منتصف الشهر.

وفى يوم ١٤ يونيو أصدرت أمراً بتحريك عدة وحدات من الفرقة الخامسة الخفيفة وبعض الوحدات الإيطالية إلى مواقعها الجديدة، وكانت تعليماتى تقضى بأن تكون على استعداد للتدخل فى جبهة «السلوم».

وحدث هجوم العدو فى ١٥ يونيو، وتقدم العدو على جبهة واسعة فى كل من السهل الساحلى وأعلى الهضبة، فاضطرت نقطنا الخارجية إلى التراجع باتجاه الجنوب الشرقى وإلى الجنوب من السلوم، وقد بدأ الهجوم بالدبابات على «كابتزو» وكانت أوامرى للفرقة ١٥ بانزر بألا تقوم بهجومها المعاكس إلا بعد جلاء الموقف، وفى نفس الوقت كانت الفرقة الخامسة الخفيفة قد وصلت وحداتها المتقدمة إلى جنوب «جمبوت».

وكان العدو يحشد قوات كبيرة بين «سيدى عمر» و «كابتزو» للقيام بهجوم مركز نحو الشمال للقضاء على الفرقة ١٥ بانزر، وحتى أكون مستعداً لأى احتمالات، أمرت حامية البردية باحتلال المداخل الشرقية والغربية للمدينة، ولسوء الحظ لم تكن هناك قوات كافية لاحتلال دفاعات البردية، وفى هذه الأثناء قام العدو بهجمات متعددة على نقب الحلفاية من الأمام والوراء محاولاً فتح الطريق، ولكن الرائد

«باخ» ورجاله قاتلوا ببسالة، وفى وقت قصير كانت القوة البريطانية تشكو من خطورة موقفها وفداحة خسائرها.

وعند العصر، طوق البريطانيون «كابتزو» وبدأ فى الهجوم على الجبهة الجنوبية للبردية، وفى وقت متأخر من الليل اقتحم البريطانيون «كابتزو» حيث دارت معركة عنيفة بين المدرعات، اشتبك فيها ٨٠ دبابة من الفرقة ١٥ بانزر مع حوالى ٣٠٠ دبابة بريطانية، وكانت تهاجم بعناد فى اتجاه الشمال.

*** روميل يضع خططه:**

أصدرت الأمر إلى الفرقة ١٥ بانزر وكتيبة من الفرقة الخامسة الخفيفة باحتلال المواقع أثناء الليل جنوبى البردية والقيام منها بهجوم معاكس نحو الجنوب، ثم أصدرت أوامرى للقوة الأساسية للفرقة الخامسة الخفيفة بالهجوم فى الصباح من نقطة قرب «سيدى عزيز» إلى «سيدى سليمان» للوصول إلى «نقب الحلفاية»، وبذلك يتم عزل الإنجليز عن قواعدهم فنكرههم على الانسحاب، بينما تتقدم فى الفجر الفرقة ١٥ بانزر جنوباً على جانبى «كابتزو» لتجميد القوة البريطانية الأساسية.

وقد شنت الفرقة ١٥ بانزر هجومها على «كابتزو» حيث نشبت معركة عنيفة بين الدبابات، وبعد قليل أخبرتنى الفرقة ١٥ المدرعة أنها اضطرت لوقف القتال والهجوم على «كابتزو»، بينما ظل العدو ثابتاً لا يتزعزع ولم يبق من الـ ٨٠ دبابة التى دخلت بها الفرقة المعركة إلا ٣٠ فقط، أما الباقى فقد احترق فى ميدان المعركة.

اشتبكت الفرقة الخامسة الخفيفة أثناء سيرها نحو «سيدى سليمان»، باللواء السابع المدرع البريطانى فى المنطقة غرب سيدى عزيز وأسفرت المعركة عن نجاح الفرقة الخامسة الخفيفة فى شق طريقها إلى منطقة شمال شرق «سيدى عمر»، حيث تابعت تقدمها نحو «سيدى سليمان»، وكانت هذه هى نقطة التحول فى المعركة، فعلى

الفور أمـرت الفرقـة ١٥ بانزر بالخروج بكل دباباتهـا من المعركـة مع ترك أقل قوة تستطيع المحافظة على المواقع شمالى «كابتـزو»، والتقدم على الجناح الشمالى للفرقة الخامسة الخفيفة نحو «سيدى سليمان».

وبدا أن العدو ليس على استـعداد لترك زمام المبادرة يفلت منه بهـذه السهولة، فقد حشد أغلب مـدرعاته شمالى «كابتزو» ليشن هجوماً قـوياً فيخترق خطوطنا فى الشمال عبر الفرقـة ١٥ بانزر، ولكى أفرض على العدو أسلوب القتال الذى أريد، أمرت الفرقة الخامسـة الخفيفة والفرقة ١٥ بانزر ببدء هجومهـا على «سيدى سليمان» قبل أن يبدأ العدو هجومه.

وقـررت تضيـيق الخناق عليهم وذلـك بالاستـمرار فى التـقدم إلى «حلفـاية»، فأصدرت أوامرى للفرقتين الخامسة الخفيفة و١٥ بانزر بالتوجه إلى «حلفاية» ومنع أى محـاولة تقوم بها المدرعـات البريطانية للاختـراق نحو الشـمال، وكان البـريطانيون يقاسون من أزمة حادة فى الوقود والذخيـرة فقررت إكراههم على القتال فى مواقع ثابتـة حيث أستطـيع تدمير قـواتهم، وبعد قـليل أضرم العـدو النيران فى مـخازنه الموجودة فى «كابتزو» وانسحب تاركاً العربات المهجورة تملأ الصحراء لنفاد وقودها.

ووصلت الفرقتـان الخامسة الخفيـفة و٥ بانزر إلى «نقب حلفاية»، وإستمـرت معركة السلوم ثلاثة أيام، انتهت بانتصـار كامل لنا، وقد خسر البريطانـيون أكثر من ٢٢٠ دبابة، كما أن خسارتهم فى الأفراد كانت هائلة، أما قواتنا فقد خسرت ٢٥ دبابة.

* التعاون التام بين المدرعات والمدفعية:

كانت النقطة الحرجة فى هذه المعركـة هى «نقب الحلفاية»، وقد دافع عنها الرائد «باخ» ورجاله ضد الهـجمات العنيفـة للعدو، كما أن كتـيبة مدفـعية الرائد «باردى» قامت بأعمال مجيدة خلال هـذه المعركة، وبذا أظهرت أن القوات الإيطالية يمكنها أن تقاتل ببسالة عندما تكون قيادتها جيدة.

وفى المنطقة شمالى «سيدى عمر» فشلت الوحدات المدرعة فى منع تقدم الفرقتين الخامسة الخفيفة والخامسة عشر بانزر، ويرجع ذلك للتعاون الرائع بين قواتنا المدرعة والمدفعية المضادة للدبابات والمضادة للطائرات، لذلك أمكن تدمير العدو بسهولة.

وقد ساهمت الحاميات التى تدافع عن النقط القوية فى السلوم بنصيب كبير من انتصارتنا، فبعضها نجح فى صد كل هجمات الأعداء، بينما قاتل البعض حتى آخر طلقة وآخر رجل.

وكان المفروض زيادة العناصر الألمانية إلى أربع فرق ميكانيكية والإيطالية إلى فيلق مدرع بالإضافة إلى فرقتين أو ثلاثة محملة، ولو وصلت هذه النجدات إلى أفريقيا فى خريف عام ١٩٤١ مع ضمان إمدادها وتموينها، لاستطعنا صد هجوم الإنجليز فى الشتاء الذى تم فى «برقة»، وكنا سنصبح بعد ذلك على درجة من القوة تكفى لأن نتمكن من تحطيم الإنجليز فى «مصر» فى ربيع عام ١٩٤٢، وبعدها نتقدم إلى «العراق» ونعزل بذلك «الروس» عن «البصرة»، وكان هذا سيمثل ضربة استراتيجية قاصمة لخطط روسيا وإنجلترا معاً، وقد وصلتنى أولى التهانى بترقيتى إلى رتبة جنرال البانزر.

* * * *

الفصل الرابع
حملة الشتاء
بقلم الفريق فرينز بايرلاين

* السباق مع الإنجليز بالنسبة للوقت:

لسوء الحظ لا توجد سلسلة متكاملة من كتابات «رومل» عن مرحلة الحرب فى أفريقيا خلال شتاء ١٩٤١ - ١٩٤٢، وبدون الاستناد لهذه الفترة لا يمكن تقدير المشاكل التكتيكية والاستراتيجية فى أفريقيا ومقدرة «رومل» فى القيادة، ولذلك رأيت من الضرورى تلخيص العمليات من المصادر المتوفرة عنها.

فى ربيع عام ١٩٤١، ذهل العالم كله من العمليات الألمانية الإيطالية فى أفريقيا والتى أسفرت عن استيلاء الألمان على« برقة»، واستطعنا الاحتفاظ بالمواقع الإيطالية المستردة بالرغم من الهجمات الشديدة من العدو، ودعمنا الدفاع عنها بإنشاء خط دفاعى ممتد من «السلوم» إلى «البردية»، ولكن من ناحية ثانية فشلنا فى الاستيلاء على «طبرق» بالرغم من كل الجهود التى بذلناها، وقد تم خلال شهر سبتمبر تقوية جبهة الحصار حول «طبرق» مع تحديد نقطة لبدء عمليات الهجوم، واستلزم ذلك زيادة التحركات البحرية الإيطالية عبر البحر الأبيض إلى أفريقيا لنقل الأسلحة والمعدات اللازمة للهجوم، وكعادتهم ظل الإيطاليون دون المستوى المطلوب، وقد نجم عن ذلك أنه فى نهاية سبتمبر وصلت ثلث القوات والإمدادات التى كنا نحتاجها، وكانت هذه عقبة مرعبة فى سباقنا مع العدو بالنسبة للوقت، فاضطررنا لتأجيل هجومنا على «طبرق» إلى شهر أكتوبر.

وبما أن الوقت كان ضيقاً، اضطر «رومل» فى بداية أكتوبر إلى إعلام القيادة العليا بأن لديه قوات كافية للهجوم، ولكن القيادة العليا لم تدرك قيمة عامل الوقت ولم

تفهم وجهة نظرنا، لذلك كانت غير مطمئنة لقرارنا، وقد لفتت نظرنا إلى التفوق الجوى البريطانى واقترحت تأجيل الهجوم للسنة القادمة، ولم يوافق «رومل» على ذلك وأجابهم بأن أى تأجيل سيؤدى إلى قلب ميزان القوى لغير صالحنا، ولذا فإن الهجوم أصبح حيوياً ويجب أن يتم فى أقرب وقت ممكن، فوافقت القيادة العليا على القيام بالعملية فى موعدها المحدد، وفى هذا الوقت كانت قوة «رومل» المدرعة مؤلفة من ٢٦٠ دبابة ألمانية و١٥٤ دبابة إيطالية.

* الهجوم البريطانى:

فى سبتمبر، اكتشفت مخابراتنا تحرك فرقة من جنوب أفريقيا وأخرى نيوزيلندية من «دلتا النيل» إلى «مرسى مطروح».

وفيما بعد، ومن الوثائق التى وقعت فى أيدينا، علمنا الهدف الرئيسى للجيش الثامن البريطانى، فقد كان هدفه تدمير القوات الألمانية والإيطالية لفك الحصار عن «طبرق» ثم استغلال هذا النجاح بالتقدم للاستيلاء على «طرابلس».

* بدء معركة الكروسيدر:

لم تدرك القيادة العامة لجيوش البانزر أن العدو شن هجومه بالفعل إلا فى عصر يوم ١٨ أكتوبر، بعد أن بدأت العمليات فعلاً، وأمام ضغط قوات العدو المتفوقة، انسحبت نقطنا الساترة من خط يمتد من «بير الجوبى» و «سيدى عمر».

وهكذا، ونتيجة للظروف الراهنة قرر «رومل» إلغاء الهجوم على «طبرق»، لأن العدو قد سبقه فى انتزاع المبادرة وعلى الفور أمر فيلق أفريقيا بشن هجوم على الحشود التى كانت تتحرك شمالاً عبر «قبر صالح».

وتقدمت المدرعات الإنجليزية نحو منطقة «طبرق» واشتبكت مع قواتنا الساترة يوم ١٩ أكتوبر، ووصل القول الأيسر إلى «بير الجوبى» وبعد معركة عنيفة تمكن من طرد

فرقة آريتى المدرعـة، وفى اليوم التالى استـمر فيلق أفريقيـا فى ضغطه على الجناح الأيمن للعدو، فدمر عددا كبيـراً من دباباته، كما نجحت الفرقة ١٥ و٢١ بانزر فى شق طريقها بالقتال إلى المنطقة الممتدة ما بين «قبر صالح» و «سيدى عمر».

وكانت خطة «رومل» تقـضى بحشد كل التـشكيلات الميكانيكية فى قـوة واحدة ومهاجمة العدو لتدمير تشكيلاته إلى أن يتم القضاء على القوة الإنجليزية بأسرها.

وقد وقع الإنجليز فى الفخ، فاندفعـوا بلواءاتهم المدرعة إلى المعركة فى وحدات منفصلة حيث تمـكنا من الانتصار عليهم بسهـولة، إلى أن اشتبكنا فى أكبـر معارك المدرعات فى شمال أفريقيا وتمكنا من تدمير أغلب قوة العدو المدرعة.

وفى صباح يوم ٢١ أكتوبر، تقدم فيلق أفريقيا على مؤخرة المدرعات الإنجليزية، وبعد قـتال عنيف استـولى على المرتـفع القريب من «بيـر السيوف» جـنوب «مدق كابتزو»، فاحتل موقعاً هناك للدفاع الخفيف الحركة لمواجهة تجدد هجوم العدو.

وفى الليلة السابقة، كان العـدو قد قام بهجوم محدود من «حـامية طبرق» على القطاع الجنوبى الشـرقى، ثم تلاه هجوم عـنيف تسانده ٥٠ دبابة ثقـيلة، فاسـتطاع اختراق حلقة الحصـار واجتياح مواقع المدفعية التابعـة لفرقة «بولونا»، ولكننا استطعنا السيطرة على الموقف بعـد ذلك، إلا أن هذا القطاع من الجبهة ظل إحـدى مصادر قلقنا.

وفى يوم ٢٢ أكتـوبر، أصدر «روميل» أوامره بالقيـام بالعمليات المتحـركة جنوب «مدق كابتزو»، وفى الليلة السابقة قاد الجنرال «كروويل» الفرقة ١٥ بانزر، وتقدم إلى الشرق دون أن يشـعر به العدو، ثم قام بإعـادة تشكيلها بعمق فى مواجـهة أجناب العدو الممتدة لمسـافة كبيرة، بينما قامت الفرقـة ٢١ بانزر وهاجمت أطراف ومؤخرة قوة العدو التى كانت تهاجم «بير السيـوف»، ثم تابعت هجومها أثناء الليل فاجتاحت رئاسة اللواء الريطانى الرابع المدرع، وأسرت قائد اللواء وبعثرت قواته.

أما فى مـواقعنا على الحـدود المصرية الغـربية، فقـد قام العدو بحـركة التـفاف للهجـوم على مؤخـرة جبهـتنا فى «السلوم»، وقد صـمدت مواقـعنا هناك، لكن القوات النيوزيلندية استولت على حصن «كابتزو».

* معركة الدبابات: توتنسونتاج:

فى يوم ٢٣ نوفـمبـر، كانت الأوامر تـقضى بتـدمير قـوات العدو الضـاربة ثم الهجوم بكل القوات الألمانية والإيطالية الميكانيكية، وتأخرت وصول هذه الأوامر، مما اضطر الجنرال «كروويل» للعمل على مسؤوليته، وعليه فقد غادر رئاسته ليقود بنفسه المعركة القادمة الحاسمة، ولكن القوات النيوزيلندية قامت بمفاجأة مركز رئاسته وقواته الفرعية، إذ استطاعوا التقـدم من «سيدى عزيز» دون أن يشعر بهم أحد وتمكنوا من أسر كل رئاسة فيلق أفريقيا بعد أن دافعت عن نفسها بقدر ما أمكنها، ولحسن الحظ استطاع الجنرال «كروويل» الهرب من هذا المصير، وكنت أنا معه.

وكانت خطة الجنرال «كـروويل» تقضى بمهـاجمة العدو مـن الخلف، ولكنه قرر ضم فرقة آريتى المدرعة أولاً حـتى يتسنى له استعمال كل المدرعـات الموجودة معه فى مجهود واحـد مركز، وتحركت الفرقة ١٥ بانزر نحـو الجنوب الغربى فرأت قوة كبـيرة من مدرعـات العدو حول «سـيدى مفـتاح» فـهاجمـتها على الفـور، وكان الاشتباك عنيفاً بين الدبابات، ثم اكتشـفنا قوات أخرى من المركبات الميكانيكية وعدد كبـير من الدبابات والمدافع، فـقام الجنرال «كروويل» بحـركة التـفاف واسعـة حول العدو، وبعد قـتال مستمـر وصلنا فى عصر هذا اليوم إلى نقـطة جنوب شرق «بير الحياد»، فأصبحنا فى مؤخرة العدو.

وكـانت قد وصلت قـوة رأس الحربة لفـرقـة آريتى تساندها ١٢٠ دبابة، وقـام الجنرال «كروويل» على الفور بشن هجـوم موحد نحو الشمال على مـؤخرة العدو بالقوات الألمانية والإيـطالية المدرعة، وبدأ الهجوم بنجـاح، ولكنه ما لبث أن اصطدم

بستارة قوية من المدفعية المضادة للدبابات، فاستحال التقدم فى مواجهة هذا الحاجز المميت من النيران، وتحطمت دباباتنا الواحدة تلو الأخرى، فاضطررنا للإجابة بكل ما لدينا من مدفعية لإسكات مدفعية العدو، وحتى وقت متأخر من هذا اليوم لم ننجح إلا فى فتح ثغرات قليلة فى هذه الجبهة القوية.

وكانت أهم نتائج هذه المعركة، القضاء على التهديد المباشر لجبهتنا فى «طبرق» وتدمير قسم كبير من مدرعات العدو والقضاء على روحه المعنوية عندما حطمنا جميع خططه.

ويعلق ليدل هارت بقوله:

قرر الجنرال «نوررى» قائد الفيلق ٣٠ بعد هذه الهزائم سحب بقايا قواته جنوباً نحو منطقة «قبر صالح»، لأنه فقد ثلثى دباباته، وأن المائة والخمسين الدبابة الباقية كانت مبعثرة بدرجة كبيرة وليس من السهل السيطرة عليها فى هذا الموقف.

*** الإغارة داخل الحدود المصرية:**

وجد «رومل» من الأفضل مفاجأة العدو بالانطلاق لمساعدة جبهته فى «السلوم»، وفى نفس الوقت يوجه ضربة إلى أكثر أجزاء العدو حساسية وهى خطوط مواصلاته الحيوية، وعليه تقدم فيلق أفريقيا ومعه فرقة آريتى عبر الصحراء نحو «سيدى عمر»، وبعد سير سريع وصلها فى المساء، وقاد «رومل» الفرقة ٢١ بانزر فى خط مستقيم عبر الفرقة الرابعة الهندية إلى منطقة سيدى سليمان لإغلاق ممر «حلفاية»، وأمر الفرقة ١٥ بانزر بالهجوم على «سيدى عمر»، وكان على إحدى وحدات القتال المختلطة الاستيلاء على مركز التموين فى «مادلينا»، بينما تقوم المجموعة الأخرى بتدمير المعسكرات المحيطة «بحباطة».

وفى وقت متأخر من يوم ٢٤ نوفمبر، تحرك «رومل» إلى الفرقة ٢١ بانزر وقادها بنفسه إلى مواقع العدو فى «نقب حلفاية».

أما الفرقة ٢١ بانزر فلم تنفذ التعليمات الصادرة لها، لحدوث خطأ، فقد أصدر أركان حرب الجيش الموجود فى المؤخرة أوامره بالتقدم شرقاً، وتقدمت الفرقة من مواقعها فى «نقب الحلفاية» إلى «كابتزو» حيث اشتبكت فى قتال عنيف وغالى الثمن مع النيوزيلنديين، وقد فشل الهجوم الذى قامت به وحدات فيلق أفريقيا على «سيدى عمر».

ويعلق ليدل هارت فيقول:

أوشكت ضربة «رومل» الجريئة أن تحسم المعركة وتؤثر على نفسية القائد البريطانى، فالهزيمة الساحقة التى أصابت مدرعاته فى المعركة حول «سيدى رزق» جعلت كاننجهام يفكر فى التخلى عن الهجوم والانسحاب عبر الحدود ليعيد تنظيم قواته، ولكن ميله للانسحاب لم يرض «أوكلنك» الذى قدم فى هذه اللحظة بطريق الجو من القاهرة.

وفى اليوم التالى، قام «رومل» بهجومه الاستراتيجى بفيلق أفريقيا، ونشر الذعر والفوضى عند ظهوره فجأة فى المناطق الخلفية، وهذه الأنباء الخطيرة زادت من مخاوف «كاننجهام» بالطبع ولو أن قرار الانسحاب تم لحققت ضربة «رومل» هدفها.

ولكن فى يوم ٢٦ قرر« أوكلنك» الاستمرار فى الهجوم وعين ريتشى قائداً جديداً للجيش الثامن بدلاً من «كاننجهام».

وفى صباح يوم ٢٤ نوفمبر، أخطر «رومل» رئيس عملياته المقدم «ويستفال» بقراره فى الهجوم إلى «سيدى عمر»، وحاول ويستفال الاعتراض لافتا نظر «رومل» بخصوص الإنجليز الذين كانوا يعيدون حشد قواتهم جنونى «بير الجوبى»، ولكن

«رومل» لم يترك أى مجال للنقاش وانطلق بسيارته إلى «سيدى عمر» بصحبة الجنرال جاوزى رئيس أركان حربه.

وعندما تقدم الإنجليز، بعد أن تولى «أوكينلك» القيادة ونظم قواته من جديد، وهاجموا المنطقة العزلاء تقريباً فى «سيدى رزق»، وقام «ويستفال» بمحاولات يائسة للاتصال «برومل» كما أرسل عدة طائرات للبحث عنه، ولكنها لم تجده، وعندما أصبح الموقف متأزماً جنوب «طبرق» قرر ويستفال أن يتولى القيادة بنفسه، فقرر استدعاء الفرقة ٢١ بانزر إلى «سيدى رزق».

وبالرغم من أن الفرقة السابعة المدرعة البريطانية والفرقة الأولى لجنوب أفريقيا قد أصيبتا بخسائر باهظة إلا أن بقية الفرق وحامية «طبرق» بقيت كلها سليمة ونشطة،لذلك اضطر «رومل» للتخلى عن عملياته ضد مراكز الإمداد فى «مادلينا» و«حباطة».

وحشد «رومل» جميع قواته الخفيفة الحركة ضد فرق النيوزيلنديين، وفى يوم ٢٥ نوفمبر نشبت معركة عنيفة فى «طبرق»، حيث وقعت قواتنا الساترة بين قبضتى كماشة أحدهما قادم من الجنوب الشرقى والآخر من داخل الحصن نفسه، واستطاعت مجموعة «بوتشر» صد معظم هذه الهجمات بكل قواتها وأمكن إيقاف اختراق العدو بواسطة هجوم إيطالى مضاد، ونظراً لحراجة الموقف، اضطر «رومل» لإيقاف عملياته على جبهة السلوم وعاد بكل فرقه سريعاً إلى مركز المعركة فى طبرق.

وفى يوم ٢٨ نوفمبر، كانت الفرقة ٢١ بانزر تسابق الريح على جانبى الطريق الساحلى إلى «جمبوت» لتصل إلى المنطقة جنوبى زعفران، بينما تحركت الفرقة ١٥ بانزر على «مدق كابتزو» والتى كانت أطرافها مهددة دوماً بالقوات المعادية الخفيفة الحركة، وبعد أن تمكنت الفرقة من شق طريقها قتالاً عبر الهضبة وجدت نفسها مرة ثانية عند حلول المساء فى أرض معاركها القديمة فى «سيدى رزق».

وأصدر «رومل» تعليماته للجنرال «كروويل» لعمليات اليوم التالى، وكانت الخطة تقضى بمحاصرة الفرقة النيـوزيلندية التى تمكنت من الاتصال بحامية «طبرق»، وذلك بتـضييـق حلقـة الحصـار حـول «طبرق» مـرة أخـرى، وحشـد كل إمكانيـاته من التـشكيلات لـهذه العـمليـة وركز كل ثقله فـى الهجـوم على الجناح الغـربى لمنع النيوزيلنديين من الانسحاب إلى «طبرق».

وقامت الفرقـة ٢١ بانزر بتضييق حلقـة الحصار من الشرق بقـيادة الجنرال «فون رافنشتين»، الذى وقع فى قبضـة النيوزيلنديين، وفى نفس الوقت دافعت الفرقة عن نفسها من الجنوب تجاه الهجمات العنيـفة للعدو، وفى نفس المساء تحركت الفرقة ١٥ بانزر شمالاً واحتلت «تبة الدودة » الهامة، ولكنها خسرتها مرة ثانية أثناء الليل.

وفى صباح الثلاثين من نوفمبر، دفع العدو بقوات مدرعة ضخمة ومعها حشود من المشاة حيـث هاجم ستارتنا الجنوبية، واسـتطعنا صدها على طول الخط، ولكن الفرقة ١٥ بانزر فشلت فى احتلال «بلحامد» أو الاتصال بالفرقة ٩٠ الخفيفة، مما كان سيؤدى إلى عزل حـامية «طبرق» من جديد، ولم نتمكن من إغـلاق حلقة الحصار إلا فى اليوم التـالى عندما هجـمنا بعنف بعد أن أوقـفنا كل الهجـمات من الجنوب والشرق وقد نتج عن هجومنا هذا تدمير القسم الأكبر من الفرقة النيوزيلندية، وبذا أصبحت الحامية الإنجليزية فى «طبرق» منعزلة تماماً، يضاف إلى ذلك أن العدو تكبد خسائر بلغ من شدتها أنه فكر فى الانسحاب من المعركة مؤقتاً.

ولم يكن فى وسع «رومل» أن يعطى قـواته فترة من الراحـة التى كانت بحـاجة لها، لأن جبهتـه فى «السلوم» كانت تقاتل باستماتة للدفاع عن نفـسها ضد الهنود، كما أن خط إمدادها كان مهدداً باستمرار، كذلك «البردية» كانت فى موقف خطير للغاية، لذلك أرسل مجموعتى قتال مخـتلطتين من فيلق أفريقيا على «مدق كابتزو» والطريق السـاحلى لفـتح طرق المواصلات، ثم وضع القـسم الأكـبر من القـوات

الألمانية والإيطاليـة الميكانيكية جنوبى شـرقى «طبرق»، ومن هناك يمكنهـا الراحة ثم الذهاب بسـرعة إمـا إلى الجبـهـة فى السلوم أو إلى الجنوب ضـد القوة الرئيـسيـة الإنجليزية.

وأعادت تشكيلات العدو تنظيمها حيث حشدت قواتها على جانبى «مدق العبد» تغطيها ستارة ضخمة من السيارات المدرعة على الخط الممتد من «سيدى مفتاح» إلى «كابتزو».

وأثناء القتال العنيف الذى دام فـترة ما بين ١٨ نوفمبر وأول ديسـمبر، تمكنا من تدمير ٨١٤ مـركبة قتال مدرعـة وسيارة مدرعة للعدو، كـما أسقطنا ١٢٧ طائرة، ويزيد عدد الأسرى على ٩٠٠٠ من بينهم ثلاثة جنرالات.

لقد فشل هجوم مـجموعتى قتالنا المخـتلطتين على البردية والسلوم، وفى الرابع من ديسمبـر علمت رئاسة الجيش بالوضع الحقـيقى لموقف العدو، فقد كـان يحشد قوة جديدة حول «بيـر الجوبى» وذلك للالتفاف حول جبهـتنا والوصول إلى مؤخرتنا فيتم بذلـك حلقة الحصار حول «طبـرق تماماً»، وقرر «رومل» أن يقاتل هـذه الفرقة بكل ما لديه من إمكانيات قبل أن تكمل استعداداتها.

وكانت قـواتنا قد أصبـحت أضعف من أن تتمكن من الاسـتمرار فى حـصار «طبرق»، وأمر «رومل» بالاستـعداد للتخلى عن الجزء الشرقى من جبـهة الحصار، فتحـرك فيلق أفريقـيا غرباً عبـر الممر ما بين «الدودة» و «سيـدى رزق» إلى منطقة تجمعـه فى «العضم»، وكان الهجـوم على بير الجوبى سيتم بمعـاونة الفيلق الإيطالى الميكانيكى الذى كان يقترب من الشمال الشرقى، لكن حالة الإيطاليين لم تسمح لهم بالهجوم، لذلك أصبح على فيلق أفريقيـا أن يهجم منفرداً، وقد قام بالهجوم بالفعل فى منتصف يوم ٥ ديسمـبر، وقد اصطدم الفيلق بلواء الحـرس الإنجليزى، ثم بعد ذلك اصطدم بلواءات الفرقـة السـابعة المدرعـة التى استعـادت قواها، وبالرغـم من

ذلك فقد وصل الفيلق عند حلول الظلام إلى نقطة تبعد حوالى ١٠ أميال من «بير الجوبى»، وقام الإنجليز بهجوم من داخل «طبرق» فاستولوا على «خط التباب» الممتد من «الدودة» إلى «بلحامد»، فاضطررنا فى النهاية إلى التخلى عن القطاع الشرقى من جبهة الحصار حول «طبرق».

ويعلق ليدل هارت فيقول:

ونظراً لتفوق العدو الكبير بالإضافة إلى حالة الإرهاق المسيطرة على أفراد جيشنا، قرر «روملُ» التخلى عن «طبرق» نهائياً والقتال فى معركة انسحاب، نحو مواقعه فى الغزالة.

* الانسحاب من برقة:

وفى ليل ٧، ٨ ديسمبر، تخلص فيلق أفريقيا والفيلق الإيطالى من براثن العدو مع احتفاظهما بالجبهة الغربية لحلقة الحصار حول «طبرق»، وكانت قد وصلت وحدات من الفيلق ٢١ الإيطالى المشاة والفرقة ٩٠ خفيفة إلى موقع الغزالة.

وكانت جبهة السلوم التى أصبحت بعيدة ١٢٠ ميلاً عن القوة الرئيسية، ماتزال صامدة بالرغم من عدم تمكننا من تزويدهم بالمؤن والذخيرة.

وانسحبت قواتنا ببطء، واشتبكت فى عمليات محدودة، وقد بلغت فى بعض الأحيان درجة كبيرة من الخطورة ولكنها تمكنت من الوصول إلى خط الغزالة يوم ١٢ ديسمبر دون أن يتمكن العدو أثناء الانسحاب من عزلها أو إنزال الخسائر الكبيرة بها.

وفى ١٣ ديسمبر، قامت مشاة العدو بهجوم قوى واخترقوا الفيلق ٢٠ الإيطالى الميكانيكى ووصلت قوات استطلاع العدو إلى «بير تمراد»، وراء جبهتنا باثنى عشر ميلاً.

وفى مساء ١٦ ديسمبر، بدأ فيلق أفريقيا والفيلق الإيطالى الميكانيكى بقيادة الجنرال «كروويل» انسحابهما عبر الحافة الجنوبية لجبال «برقة» إلى «الأبيارى»، بينما تحركت التشكيلات الإيطالية المترجلة انسحابها عبر برقة على الطريق الساحلى، وانسحبنا نحو «إجدابية».

* وصول قافلة إيطالية تحمل الإمدادات لروميل:

وبحلول عيد الميلاد، كان التراجع إلى إجدابية قد تم دون أن يتمكن العدو من استغلال فرصة واحدة من الفرص العديدة التى سنحت له لتطويق القوات الألمانية.

واحتلت القوات الألمانية والإيطالية غير المحملة خطاً دفاعياً بنى على عجل إلى جانبى المدينة، بينما احتل فيلق أفريقيا والفيلق الإيطالى مواقعة حول إجدابية للدفاع الخفيف الحركة، وكان هناك انتصار واحدا كبير يمكن تسجيله قبل نهاية الانسحاب.

ففى ١٩ ديسمبر، وصلت إلى بنغازى قافلة بحرية من إيطاليا تحمل سريتى بانزر ومدافع وإمدادت، وكانت هذه أول السفن التى تصل منذ بدء الهجوم الإنجليزى فى منتصف نوفمبر يحمل أسلحة.

لم يكن معقولاً أن نبقى فى «إجدابية» وقتاً طويلاً بالنظر لحالة قواتنا وخاصة القوات الإيطالية، بالإضافة إلى العيوب التى تعانى منها شئوننا الإدارية، فقد كان علينا الاكتفاء بالقتال فى عملية تعطيلية هناك، ثم الانسحاب إلى «مرسى البريقة» بالقوة الرئيسية عندما يحين الوقت المناسب.

فى ٢٧ ديسمبر، قام اللواء ٢٢ المدرع البريطانى بالتقدم عبر «الحسيات»، بينما قامت قوات أخرى بشن هجوم على إجدابية، وبعد قتال عنيف بين المدرعات دام ثلاثة أيام تم تطويق العدو واضطر للقتال فى جبهة معكوسة، ولكننا تمكنا من تطويقه فى جميع الأنحاء.

ونتيجـة لهذه الهزيمة انسـحبت نحو الشمال فـئات من مجمـوعة المعاونة ولواء الحرس التى هاجـمت مواقعنا قـبل ذلك، وبذا زال الخطر المباشر على مـواقعنا فى «إجدابية»، واستغل «رومل» فتـرة الجمود هذه لإخلاء الموقع على الفور، وانسحب على عدة مراحل بدون أى اشتباك مع العدو إلى خط «مرسى البريقة».

وبينما كانت تسير هذه العمليات بنجـاح، أخذ الموقف فى جبهة الحلفاية والبردية فى التدهور، وبالرغم من الـدفاع المستمـيت للحاميـات التى أصبحت بعـيدة عن القوات الرئيسية ٤٥٠ ميلا.

وفى ٣٠ ديسمبر، شن العـدو هجوماً عنيفاً على «البردية» تسانده مدفـعية قوية والطائرات والبحرية، وتمكن من اختراق مواقـعنا على جبهة واسعة، وقد أدى هذا إلى سقوط آخر مـخازن الذخيرة فى أيدى العدو، ولذلك قام القـائد، بعد حصوله على موافقة الجيش، بطلب شروط الاستسلام.

أما فى منطقة «حلفاية»، فقد صمدت الحامية حتى يوم ١٧ يناير، ولكنها سرعان ما اضطرت للاستسلام حين نفدت منها الذخيرة وانعزلت عن منابع الماء.

* الهجوم المعاكس:

فى ٥ يناير، وصلت قافلة بحرية سـالمة إلى طرابلس حاملة ٥٥ دبابة و٢٠ سيارة مدرعة وبعض المدافـع المضادة للدبابات، وإمدادات أخرى مخـتلفة، وبدأ «رومل» على الفور التـفكير فى الهجوم مـرة أخرى، كما لو كـانت خطته لاستعـادة «برقة» جاهزة بالفعل.

فى يوم ٢٠ يناير، كان لدى فـيلق أفريقيـا ١١١ دبابة جاهزة للعمل فى الجبـهة و٢٨ فى المؤخرة، كما أن الإيطاليين جهزوا ٨٩ دبابة، فقام «رومل» بهجومه المضاد حسب الخطة.

وفى يوم ٢٢ يناير، سـقطت «إجدابية» وانـسحب العدو فى فـوضى، ثم اندفع فيلق أفـريقيا إلى الخط الممتـد من «عتبلات» إلى «سـاونو»، حيث طوق مجمـوعة القتـال التابعة للفـرقة الأولى المدرعة الإنجليـزية، وخسرت هذه الفـرقة ١١٧ دبابة وسيارة مدرعة و٣٣ مدفع وعربات عديدة وآلاف من الأسرى.

ولكن عملية التطويق لم تتم كاملة فتمكن قسم كبير من العدو من الإفلات فى إتجاه الشمال، وأثناء مطاردتنا لهم إلى «مسوس» دمرنـا ٩٨ مركبة قتال مدرعة و٣٨ مدفعاً فى هجوم عنيف، ثم سقطت قاعدة «ساونو» وبهـا كميات ضخمة من العتاد والحرس فى أيدى فيلق أفريقيا، واستطاعت القوات الألمانية وحدها استرداد «برقة».

* روميل يستولى على بنغازى:

لم يستطع «روميل» المجازفة بالاسـتمرار فى المطاردة إلى «المخيلى»، لأن خطوط مواصـلاته كانت معرضـة للتوقف من منطقة «بنغـازى» التى كانت لاتزال فى أيدى العدو، ولذلك قام بهجوم مفاجئ فى ٢٨ ينـاير على «بنغازى» نفسها، وقد تم عزل الحصن أولاً من الشمـال ثم من الجنوب، وقد تم الاستيلاء عليـه فى اليوم التالى، واستخـدمنا الكميات الكبيـرة من العربات والأسلحة والعتـاد التى وقعت فى أيدينا لتسليح وتحميل عدة وحدات.

وبعد هذا النصر، قـرر «روميل» البدء فى ضربة بعيـدة المدى فى إتجاه الشرق، وذلك بدفع مجمـوعتى قتال مخـتلطتين للهجوم بالمواجهة فى «برقـة»، وقد أعادت المجموعتان احتلال هذه المنطقة الشاسـعة يوم ٦ فبراير، إستثناء منطقة «ماروماريكا» فى الشرق.

وهكذا استطاع العدو أن يعيد القسم الأكبـر من قواته سالمة إلى المنطقة الممتدة ما بين الغـزالة وبيـر حكيم وطبـرق، حيث بـدأ فى إنشاء سلـسلة من التحـصـينات الدفاعـية، ولجأ جيش المحـور هو الآخر للدفاع، حين احـتل مواقعه على الحـافة

الشرقـية «لبرقة» بين « المخـيلى» و «تمراد»، ووزعت التشكيلات الميكانيكيـة الألمانية والإيطالية وراء الجبهة لاستخدامها فى الواجبات المتحركة.

وقد أنهت هذه الإجراءات حملة الشتاء، وبدأ الطرفـان فى الاستعداد للمعركة الحاسمة المنتظرة فى الصيف.

* * * *

الباب الثالث

الحرب فى أفريقيا

السنة الثانية

الفصل الأول
الغزالة وطبرق

* فترة الاستعداد:

بعد استعادة برقة فى أوائل ١٩٤٢ ظهرت مصاعب جسيمة تتعلق بالإمداد والتموين، وكان الخطأ فى هذا يعود إلى سببين أولهما عدم اكتراث القيادة العليا الألمانية للعمليات فى أفريقيا، بجهلها مقدار أهميتها العظمى، وثانيهما الطريقة الضعيفة التى اتبعتها البحرية الإيطالية فى معاركها ضد الأسطول البريطانى، كما أن الطائرات البريطانية كانت ترهقنا باستمرار. وفى مارس عام ١٩٤٢، وصل ١٨ ألف طن فقط من مستلزمات الإمداد لجيش البانزر فى أفريقيا البالغة ٦٠ ألف طن شهرياً، ولكن الموقف تبدل بسبب مجهود الفيلد مارشال كسلرينج، الذى تمكن سلاحه الجوى من السيطرة فوق أجواء البحر المتوسط فى ربيع العالم ذاته، ومكننا هذا المجهود من زيادة كمية شحنات العتاد المرسلة إلى طرابلس وبنغازى ودرنه، وبعد ذلك بدأ تدعيم وتسليح القوات الألمانية والإيطالية بأقصى سرعة. ومع كل ذلك، فقد كان واضحا أن إمدادات الجيش الثامن البريطانى كانت تصله بأسرع منا.

* خطة الهجوم لمعركة الغزالة:

كانت العملية الأولى للهجوم هى الهجوم بالمواجهة بواسطة فرق المشاه الإيطالية عند خط الغزالة ضد الفرقة ٥٠ البريطانية والفرقة الأولى لجنوبى أفريقيا ٤، وقد جهزنا قوة كبيرة من المدفعية لمعاونة هذا الهجوم، وكان من المقرر أن تتحرك المدرعات والعربات وراء الجبهة ليلاً ونهاراً لتوهم العدو بأننا نحشد دباباتنا فى هذه المواجهة.

وكان المفروض أن يؤدى هذا إلى أن تعتقد القيادة البريطانية أن هجومنا الأساسى يوجه إلى شمال ووسط خط الغزالة، وكنا نأمل أن نتمكن من إقناعهم بتجميع مدرعاتهم وراء موقع مشاتهم فى هذا القطاع، حتى ولو فشلنا فى إقناع البريطانيين بحشد دباباتهم كلها فى هذا القطاع، فإننا كنا نأمل فى إرسال ولو قسم من هذه المدرعات لتشتيت قوتهم الضاربة.

وقررت، بعد إمكانية تدمير القوات البريطانية فى الجزء الشرقى من برقة أن نستولى على «طبرق» بسرعة، ولكن «الدوتشى» قيد طريقتى فى العمل بالمنطقة التى تحدها الحدود المصرية الغربية. وكان مفروضاً قبل بدء الهجوم، أن تقوم قوات المظلات الألمانية والإيطالية باحتلال «مالطة» ومعها قوات محملة جواً، ولكن لسبب أجهله تخلت القيادة عن هذه العملية، ورفض طلبى فى الربيع السابق لقيام قواتى بهذه العملية.

واضطررنا أخيراً، خاصة بعد الزيادة الكبيرة فى قوة الجيش البريطانى، أن أحدد يوم الهجوم فى ٢٦ أيار ١٩٤٢.

* الصراع لكسب المبادرة:

اتخذت معركة التعرية فى الأسابيع الثلاثة الأولى شكلاً عنيفاً للغاية، وقد بدأت بداية سيئة بالنسبة لنا، ولكننا نجحنا فى القتال المائع الذى تلا هذا، بتحطيم التشكيلات البريطانية الواحد بعد الآخر باتباع طريقة الهجوم على أهداف محدودة واللجوء فى بعض الأحيان للدفاع.

* كيف دارت معركة الغزالة:

فى يوم ٢٦ مايو، وبعد تمهيد عنيف من المدفعية، قامت فرق المشاة الإيطالية تحت قيادة الجنرال «كروويل» بهجوم بالمواجهة على خط غزالة محاولين خداع

البريطانيين ليظنوا أنه هجومنا الرئيسى، فيدفعوا بمدرعاتهم إلى هناك، ولهذا الغرض ألحقت فرقة بانزر وفرقة من الفيلق ٢٠ الإيطالى بكل من التشكيلين القائمين بهذا الهجوم، وكانت هذه الفرق المدرعة ستعود إلى تشكيلاتها الأصلية فى مساء اليوم نفسه، ونتيجة لهذا انسحب العدو من النقط الخارجية، بعد مقاومة بسيطة، إلى خطوط المقاومة الرئيسية.

وفى نفس الوقت، كان على القوة الضاربة الرئيسية، المتكونة من فيلق أفريقيا والفرقة ٩٠ الخفيفة والفيلق ٣٠ الإيطالى، التجمع فى المناطق المحددة لتجمعها، وفى المساء يتحرك قسم من هذه القوة نحو منطقة الهجوم الإيطالى، وبعد أن شوهدت، كما هو المقصود، بواسطة الاستطلاع الجوى المسائى البريطانى، عادت منطلقة بأقصى سرعتها إلى مناطق تجمعها مرة أخرى.

وفى المساء أمرت ببدء عملية فينيسيا، فتحركت عشرة آلاف مركبة تابعة للقوة الضاربة فى ضوء القمر، وقبل أول ضوء بوقت قصير استرحنا لمدة ساعة على بعد حوالى ١٠ أو ١٢ ميلاً جنوبى شرقى «بيرحكيم»، ثم تحركت القوة الكبيرة مرة ثانية فى سحابة ضخمة من التراب والرمال واندفعت نحو مؤخرة البريطانيين، وبعد قليل أخطرتنى الفرقة ٩٠ الخفيفة بوصولها إلى العضم واستيلائها على الكثير من مخازن الفيلق ٣٠ البريطانى.

وفى نفس الوقت اصطدم فيلق أفريقيا باللواء البريطانى الرابع المدرع واللواء الهندى الثالث المحمل على بعد ستة أميال جنوبى شرقى «بير الهرمات».

ولسوء الحظ قامت وحداتنا المدرعة دون معاونة المدفعية بالهجوم، ودمرت الدبابات من الجانبين بالمدافع المضادة، وأخيراً تمكنا من دفع البريطانيين إلى الوراء نحو «مدق العبد» ولكن بخسائر فادحة، ومع هذا فقد هاجمنا البريطانيون بعد ذلك بقليل للمرة الثانية.

وبعد ظهر هذا اليـوم، وعلى بعد خمسة أمـيال شمالى شرقى «بيـر الهرمات» وجنوبى مـدق «كابنزو»، دارت مـعـركة عنيـفة بين الـدبابات، واشتـركت الفرقـة البريطانية الأولى المدرعة فى المعركة، وهاجـمت وحداتها المدرعة القوية من الشمال الشرقى، وركزت نيرانها على فيلق أفريقيـا ومدرعاته مع تدعيم قوى من المدفعية، ومرة أخرى تكبدت قواتى خسائر باهظة فى الدبابات وعمت الفوضى بين عدد كبير من فرقنا التى لاذت بالفرار نحو الجنوب الغربى بعيداً عن مرمى المدفعية البريطانية، أما فيلق أفريقيا فقد حافظ على جبهته الدفاعية نحو الشرق، وفى نفس الوقت قاتل ليفتح طريقه نحو الشمال، ودارت المعركة بعنف حتى حلول الليل، وفى هذا الوقت كان فيلق أفريقـيا قد وصل لنقطة تبعد ثمانية أمـيال جنوب وغرب «عكرمة»، ولكن لسوء الحظ أن معظم عـرباته غير المدرعة انفصلت عن فرق البـانزر، كما أن جزءاً من المشاة لم يتمكن من اللحاق بسيرها السريع.

وعند استـعادتى لسير العـمليات فى يومها الأول، تبـين لى أن خطتى، للتغلب على القوات البريطانيـة وراء خط الغزالة، لم تنجح، وكان التقدم نحـو الساحل قد فشل هو الآخر، وبذلك لم نتمكن من عزل الفـرقة ٥٠ البريطانية، والفرقة الأولى لجنوبى أفريقـيا عن باقى الجيش الثامـن، وكان السبب الرئيسى هو تقـديرى الخاطئ لقوة الفرق المدرعة البريطانية، وقـد أدى ظهور الدبابة الجرانت، التى استخدمت فى هذه المعركة للمرة الأولى، إلى تكبيـدنا خسائر فادحة فى دباباتنا، ونتج عن هذا أن أصبحت كل قواتى مشتبكة فى قتال يائس ضد عدو فائق.

وكانت الخطة فى اليوم التالى تقضى بحشد القوات للهجوم من الناحية الشمالية، وكنت قد عزمت على سحب الـفرقة ٩٠ الخفيفة، التى تتـعرض لضغط شديد من العدو فى منطقة «العضم» وإلحاقها بفيلق أفريقيا فى الغرب لزيادة قوتى الضاربة.

وفى فجر يوم ٢٨ مايو، قمت باستطلاع المنطقة بمنظار الميدان لأرى ما يجرى فى المنطقة المحيطة بنا، فإلى الشمال الشرقى منا رأيت قوات بريطانية تتحرك فى اتجاه الشمال الغربى، وحتى ذلك الوقت لم نكن على اتصال بوحدات جيش البانزر المختلفة، وبعد الفجر بقليل بدأت الدبابات البريطانية بإطلاق نيرانها على نقطة مراقبتى وعرباتى، وتساقطت القنابل من حولنا وطار زجاج عربة القيادة، ولحسن الحظ تمكنا من الخروج من مرمى المدافع البريطانية، وفى الصباح ذهبت إلى الفيلق ٢٠ المحمل الإيطالى وأمرتهم بالتحرك شمالاً فى أعقاب فيلق أفريقيا.

ولم تتمكن الفرقة ٩٠ الخفيفة من تنفيذ الأوامر بالسير إلى المنطقة شرقى فيلق أفريقيا وتدعيم قوته الضاربة، لأنها تعرضت لهجوم متتالى من قوات بريطانية كبيرة، ولكى تستطيع مواجهة هجمات العدو المنتظرة، اضطرت الفرقة لاحتلال خنادق فى دفاع دائرى على مسافة ستة أميال شرقى «الهرمات».

ولحسن حظنا، استطعنا فى الصباح أن نكون جبهة دفاعية لحماية قوافلنا، وكانت الجبهة تتألف من عناصر من فيلق أفريقيا وتمتد إلى شمال شرقى «بير الهرمات».

وأصبح وضع فيلق أفريقيا خطيراً أيضاً، فقد حشد العدو جميع مدرعاته تقريباً شمالى «مدق كابتزو»، وأخذ يشن هجمات مستمرة على الفيلق، وقد وصلت الأخبار من «ويستفال» أثناء الصباح تقول عن اضطراره لإصدار أمراً للإيطاليين بمهاجمة خط الغزالة، حتى لا يتمكن البريطانيون من استخدام تشكيلاتهم الموجودة هناك فى المعركة الدائرة عند مؤخرتهم، وقد أمكن للهجوم أن يتقدم بدرجة حسنة فى مواجهة مقاومة بريطانية ضعيفة.

فى هذه الأثناء وصلت إشارة تحمل أنباء خطيرة، وهى أن قسماً من الفرقة ١٥ بانزر قد انسحب من المعركة لنفاذ ذخيرته، ولهذا فقد كان من الضرورى أن نزودها بالإمدادات.

وفى وقت متأخر من عصر اليوم نفسه استطعنا أن نشق طريقنا بعدد كبير من العربات والمدافع المضادة للدبابات إلى تبة تبعد عشرة أميال شمالى «بير الهرمات».

وبعد حلول الظلام شققنا جنوبى غربى «بير الهرمات» حيث اجتمعنا بقواتنا وعلمنا أن البريطانيين أثناء غيابى قد اجتاحوا مركز قيادتى بعد أن استطاعت مجموعة حماية المركز أن تدمر عدداً كبيراً من الدبابات البريطانية، ولكن القوات البريطانية اندفعت نحوه واجتاحته وتابعت تقدمها إلى أن وصلت وحدات إمدادنا، وقد سببت فوضى كبيرة ودمرت عدداً من عربات الوقود والذخيرة، ولكننا نجحنا فى استعادة السيطرة على الموقف، وكذلك استرداد مواقعنا القديمة مرة أخرى أثناء الليل.

وفى وقت متأخر من مساء هذا اليوم جهزت قوات الإمداد لأسير بها بنفسى إلى فيلق أفريقيا فى صباح اليوم التالى، ونظراً لكون الأرض منبسطة ولعدم وجود نبات يمكن استخدامها فى الاستتار فقد كانت هذه الرحلة مخاطرة كبيرة.

ولكن لحسن الحظ، تمكنت الفرقة ٩٠ الخفيفة من التخلص من البريطانيين فى المساء وتحتل موقعاً قريباً من «بير الهرمات»، يضاف إلى هذا أن فرقة آريتى المدرعة وضحت لسد الثغرة بين الفرقة ٩٠ الخفيفة وفيلق أفريقيا، وهذه التحركات جعلت طرق قوات التموين أكثر أماناً.

وعند وصولنا لميدان المعركة علمنا أن فيلق أفريقيا قد هوجم مباشرة من المدرعات البريطانية فى الشمال والشرق، وكنا قد نجحنا فى حشد قواتنا على جانبى مدق العبد وأنشأنا خطاً دفاعياً قوياً، ولكن القوات الألمانية الإيطالية كانت قد تكبدت خسائر كبيرة، وكان طريق إمدادنا قد أوشك أن ينفصل بفعل الوحدات المحملة البريطانية جنوبى «بير حكيم»، وكان هجوم المشاة الإيطالية على خط الغزالة قد فتح طريقه إلى المواقع الرئيسية للبريطانيين ثم توقف فى مواجهة التحصينات الدفاعية

القوية لهـذه المواقع، وكان البـريطانيون قد حـشدوا لواءاتهم الثانـى والرابع والثانى والعشـرين المدرعين، كـما انضم اللـواء ٢٠١ الحرس إليهـم ثم ألقوا بهـذه القوة بأكملها عند جبهتنا فى هجمات مضادة قوية.

عند الفجر من يوم ٣٠ مايو، تحركت كل الفرق إلـى مناطقها المعينة لها من قبل وأخذت مواقعها الدفاعية، وقد انطلق هذا الهجوم يوم ٣١ مايو، وشقت الوحدات الألمانية الإيطاليـة طريقها ياردة فياردة ضـد أعنف مقاومة بريطانيـة يمكن تصورها، وكان الدفاع يدار بمهارة كبـيرة وقد قاتل البريطانيون كعادتهم حـتى آخر طلقة، كما أنهم استـعملوا فى هذه المعـركة مدفـعاً مضـاداً للدبابات من عيـار ٥٧ مم للمرة الأولى، ومع كل هذا فعند حلول المساء كنا قد اخترقنا المواقع البريطانية بعمق.

وفى اليوم التالى كان المدافعون سيتلقون آخـر ضربتهم، فبعد هجمات عنيفة من طائراتنا المنقضة اندفعـت المشاة مرة ثانية إلى مواقع البريطانيين، واجـتحنا الدفاعات البريطانية بمـشقة كبيـرة وأخيراً فى أوائل العصر كـان الموقع كله فى أيدينا، وتوقفت المقاومة البـريطانية، وأسرنا فى النهاية ثلاثة آلاف بريطانى، ودمـرنا أو استولينا على ١٠١ دبابة وسيارة مدرعة بالإضافة إلى ١٢٤ مدفعاً من جميع الأنواع.

وفى وقت متأخـر من يوم أول يونيو، وبعد سقـوط «غوط الأوالب»، هاجمت وحدات الاستطلاع البريطـانية الجبهة التى كانت تخفى مـواقعنا فى الشرق والجنوب الشرقى، وتبع ذلك ستارة عنيفة من المدفعية انصبت على نقطة ملاحظتى.

* النصر فى الصحراء:

وفى ليل ١، ٢ حـزيران، تقدمت فـرقتا ٩٠ الخـفيـفة وتريسـتا للهجـوم على «بيرحكيم»، وقد عبرنا حقول الألغام دون خسائر تذكر وتمكنا من عزل الحصن من ناحية الشرق.

وبعد أن رفض قائد الموقع طلبنا بالتسليم بدأنا بالهجوم عند الظهر، فتقدمت فرقة تريستا من الشمال الشرقى والفرقة ٩٠ الخفيفة من الجنوب الشرقى إلى المواقع والتحصينات وحقول الألغام التى كان الفرنسيون يدافعون عنها، وعند ضربنا التمهيدى للمواقع بدأت معركة شديدة الوحشية والقسوة واستمرت عشرة أيام كاملة، وقد توليت قيادة قوات الاقتحام بنفسى لمرات كثيرة، ولم أشاهد فى أفريقيا قتالاً بهذه الشدة.

وقامت الطائرات الألمانية منذ يوم ٢ يونيو حتى سقوط آخر المواقع الفرنسية فى ١١ يونيو، بألف وثلاثمائة غارة على «بير حكيم»، كما تعرضت المواقع الفرنسية للهجوم من الشمال بواسطة مجموعات قتال مختلطة تتبع تشكيلات متعددة، ومن الجنوب لهجمات الفرقة ٩٠ الخفيفة، ثم توقف الهجوم المتتالى باستمرار فى وجه النظام الدفاعى البريطانى البارع التصميم، المرة تلو الأخرى، وخلال الأيام القليلة الأولى لهجومنا على «بير حكيم» بقيت معظم القوات البريطانية فى سكون عجيب، وكان تحركهم الوحيد فى ٢ يونيو ضد فرقة آريتى التى قاومت بعناد، وبعد هجوم مضاد من الفرقة ٢١ بانزر تجمد الموقف مرة أخرى.

وفى ليل ٤، ٥ يونيو حركنا الفرقة ١٥ بانزر إلى مواقع جنوبى «بير الهرمات» حتى نستطيع هناك أن نهجم فى اتجاه الشمال الشرقى أو الجنوب الشرقى حسب اتجاه الهجوم البريطانى، وقد ظهرت أهمية هذا الإجراء فى صباح يوم ٥ يونيو.

فبعد ساعة من تمهيد عنيف بالمدفعية، تقدمت اللواءات المدرعة ٢، ٢٢ ومعها اللواءات العاشر الهندى، ٢٠١ حرس للهجوم على فرقة آريتى، وكإجراء خداعى أقاموا ستارة دخان وغلالة كثيفة من المدفعية فى قطاع الفرقة ٢١ بانزر التى كانت مجاورة لآريتى وإلى الشمال منها، وبعد ذلك بوقت قصير شنوا هجوماً عند هذه النقطة أيضا بواسطة اللواء الرابع المدرع والفرقة ٤٢ دبابات لتشتيت قواتنا وتفريقها.

وانسحبت فرقة آريتى مواجهة ضغطاً عنيفاً من البريطانيين الذين كانت قواتهم فى تلك المنطقة متفوقة على قواتنا بدرجة كبيرة، إلى أن وصلت المدرعات الإيطالية فى انسحابها إلى خطوط مدفعية جيشنا، حيث توقف الهجوم البريطانى عند مواجهة النيران العنيفة، وفى هذه الأثناء تحركت الفرقة ٨ البانزر إلى «بير الطمار» لتخفف من الضغط عن الإيطاليين.

ثم تحرك جيش البانزر من هذه المواقع بعد حماية جنبه الشمالى ليقوم بهجوم مضاد، واندفعت مجموعة قتال فولز تحت قيادتى، وقد وضعت على بعد ستة أميال شمال شرقى «بير حكيم» كاحتياطى للجيش، وهاجمت مؤخرة البريطانيين عند جسر «الفرسان»، واندفعت الفرقة ١٥ البانزر إلى المعركة على يسارنا، وكان هدفها عزل القوات البريطانية من الجنوب، وعند المساء كانت توجد فى ميدان المعركة أكثر من خمسين دبابة بريطانية محترقة.

وفى صباح اليوم التالى، تقدم الجزء الأكبر من الفرقة ٢١ البانزر وشنت هجوماً فى اتجاه الشرق، وأخيراً بدأ البريطانيون فى التراجع ببطء بعد معركة الدبابات العنيفة، وقامت مجموعة قتال فولز بسد مدق «أنور بك» نحو الغرب، وبذلك دفعت بالوحدات البريطانية نحو نيران قوات المحور المهاجمة، وبعد مدة بسيطة تعرضت مجموعة فولز لهجوم عنيف من الشرق، وقد نجح العدو فى الالتفاف من حولها نحو الجنوب فاضطررت للانسحاب أثناء الليل نحو «بير الهرمات».

ومرة ثانية، خاضت قوات المحور غمار المعركة ببراعة فائقة، أما البريطانيون فقد تعرضوا لضغط من ثلاث جهات وتكبدوا خسائر فادحة للغاية، وقد أسرنا أربعة آلاف جندى يتبعون غالبا للواءين ٢٠١ حرس و١٠ الهندى وذلك فى يومى ٥، ٦، وبهذا نكون قد أبدنا بذلك اللواء ١٠ هندى الذى كان قد وصل أخيراً.

وفى يوم ٦ يونيو استأنفت الفرقة ٩٠ الخفيفة هجومها ضد قوات الجنرال «كوينج» ونجحت مقدمة القوات المهاجمة فى الوصول إلى نقطة لا تبعد أكثر من نصف ميل عن مركز دفاعات «بير حكيم»، إلا أن الهجوم توقف هناك مرة ثانية، فقد فتحت على قواتنا عاصفة من النيران من النقطة المكشوفة الصخرية، واضطررنا فى المساء لوقف الهجوم مرة أخرى، ولكننا ضيقنا الخناق أكثر على «بير حكيم» فاستطاعت قواتى صد الهجمات المضادة الضعيفة التى قام بها اللواء ٧ المحمل البريطانى ضد الفرقة ٩٠ الخفيفة لفك الحصار عن الحصن.

وفى هذه الليلة، فتحت الفرقة ٩٠ الخفيفة الثغرات عبر حقول الألغام وظهرت عدة ممرات وتقدمت مجموعات الاقتحام تحت حجاب الظلام إلى مسافة الاقتحام بالفعل، وقد أمرت مجموعة قتال فولز بمعاونة هذا الهجوم.

وفى يوم ٧ يونيو سمع قصف عنيف من الجو وبالمدفعية واندفعت المشاة نحو المواقع الفرنسية، وقد فشل هذا الهجوم هو الآخر تحت عاصفة من نيران الأسلحة بمختلف أنواعها.

وفى يوم ٩ يونيو، سحبت مجموعة قتال أخرى من فيلق أفريقيا لمعاونة الهجوم على «بير حكيم»، ومنذ الصباح الباكر بدأت مشاتنا الهجوم فى موجات على دفاعات العدو، وعند منتصف اليوم تقريباً، اشتركت الفرقة ٩٠ الخفيفة فى الهجوم بالفعل، وقد تكبدت مجموعات اقتحامنا خسائر كبيرة لتعرضها باستمرار لقصف الفرنسيين الذين قاتلوا باستماتة حتى النهاية، ومع هذا فقد وصلت مجموعات اقتحامنا لمسافة ٢٢٠ ياردة من مركز الدفاعات.

وفى اليوم نفسه، حاول «ريتشى» القيام بهجوم خداعى ضعيف ضد وحدات الفرقة ٩٠ الخفيفة الساترة جنوبى «بير حكيم» مستخدماً فى ذلك بعض الكتائب المحملة وفرقة مدرعة من اللواء الرابع المدرع، ولكننا لم نجد أى صعوبة فى صده.

وفى اليوم التالى، ١٠ يونيو، نجحت مجموعة قتال فيلق أفريقيا أخيراً تحت قيادة العقيد «باد» فى اختراق مواقع العدو الأساسية شمالى «بير حكيم»، وقد رأت وحدات استطلاعنا قسماً من اللواء السابع البريطانى المحمل يتقدم نحو «بير حكيم»، ولكى أدعم موقفى ضد أى احتمال أمرت الفرقة ١٥ بانزر بالتقدم إلى «بير حكيم»، وتمكنت الغرفة ٩٠ الخفيفة فى الصباح الباكر من يوم ١١ يونيو احتلال «بير الحكيم»، وقد سقط فى الأسر حوالى خمسمائة فرنسى معظمهم من الجرحى.

وفى عصر يوم ١١ يونيو، حركت قواتى من «بير حكيم» نحو الشمال لحسم المعركة بدون توقف، وفى المساء وصلت الفرقة ١٥ بانزر والفرقة ٩٠ الخفيفة وكتائب الاستطلاع ٣ و٣٣ تحت قيادتى المباشرة إلى منطقة تبعد من ستة إلى عشرة أميال جنوبى غربى «العضم»، وقام «ريتشى» بتحريك لوائه المدرع الثانى لمواجهة هذا الخطر من نقطة جنوب عكرمة إلى منطقة حول «بير ليفة»، وبعد معركة عنيفة مع حشود المدرعات البريطانية التى تساندها مدفعية قوية، نجحنا فى الاستيلاء على المنطقة المحيطة «بالعضم» وجنوب مدق «كابتزو» قبل ظهر يوم ١٢ يونيو، وقد احتلت الفرقة ٩٠ الخفيفة «العضم»، وتكبد البريطانيون خسائر فادحة فى الدبابات وتركوا ٤٠٠ أسير فى أيدينا، وقد دافع اللواء ٢٩ الهندى عن نفسه بعناد.

وفى صباح اليوم ذاته، تحركت مجموعة قتال من الفرقة ٢١ بانزر شرقاً، وبذلك ضغطت من الناحية الأخرى على المدرعات البريطانية التى أصبحت محصورة بين فرقتى البانزر الألمانيتين، وقام «ريتشى» بإحضار اللواء ٢٢ مدرع من خط الغزالة إلى هذه المنطقة المزدحمة المحصورة، فأصبح استمرار هجوم الفرقة ١٥ بانزر فى اتجاه الشمال الغربى مؤدياً إلى نتائج باهرة، وأصبحت المبادرة فى أيدينا.

* مذبحة الدبابات:

وقد أمضيت اليـوم التالى، ١٣ يونيو، مع فيلق أفريقيا، وكـانت فرقته ١٥ بانزر تقوم بتطهير المنطقة الواقعة نحو الغـرب، وفى الوقت نفسه كانت فرقتا تريستا وآريتى الإيطاليتين تقومان بدفع البريطانيين نحو المنطقة الواقعة شمال مدق «كابتزو»، وبدأت الفرقة ٢١ بانزر هـى الأخرى فى التقدم أثناء المساء واندفـعت شرقاً خلال عـاصفة رملية عنيـفة حجبـت الرؤية تماماً فى بعض الأحيـان، وإستمرت مـذبحة الدبابات البريطانية وتحطم ما بقى منها الواحدة تلو الأخـرى في ميدان المعركة، وكان عددها حوالى ١٢٠ دبابة، وانهالت النيران المميتة من نـواحي متعددة على الفرق البريطانية المحشودة فـى مكان ضيق وبدأت قوتها فى الاضـمحلال تدريجيـا، وخفت وطأة هجماتها المضادة بتقس النسبة.

وقررت بعد ذلك أن أدخل المعـركة بكل قواتى الميكانيكية الألمانـية والإيطالية فى اليوم التالى أو الذى يليـه محاولاً الوصول إلى البحر، وكان الـقصد من ذلك إعادة الفرق البريطانيـة المتمركزة عند خط الغزالة نحو الغرب وتـدميرها، وكانت طائرات «كيسلرينج» فوق قوافلهم باستمرار وكان اللهب يغطى الطريق الساحلى.

فى ١٣ يونيو، كـانت فرقتا فيـلق أفريقيا متـمركزتين غرب مـدق «بير حكيم»، ومستعدتين للهجوم نحو الشمال، وكان على فرقتى آريتى وتريستا الإيطاليتين العمل بمثابة ستـارة لجناحهما الشـرقى المعرض، وتحركت الفرقـة ٩٠ الخفيفـة نحو الشرق لتضع نفسها فى وضع يسمح لها بتوجيه ضربة سريعة نحو مشارف «طبرق».

وفى الصباح التالى، ١٤ حـزيران، تحركت فرقتا البانزر الألمانيتـان نحو الشمال، وأمرت بالانطلاق بأقصى سـرعة لأن العربات البريطانية كـانت تتدفق بالآلاف نحو الشرق، وفجأة اصطدمنا بحزام عريض من الألغام، وأمرت آليات الاستطلاع على

الفور بفتح ممرات فى حقول الألغام، وفى نفس الوقت أمرت مدافعنا من عيار ١٧٠ مم بفتح نيرانها على الطريق الساحلى.

وفى وقت متأخر من عصر هذا اليوم، تحركت الفرقة ١١٥ للهجوم على التبة ١٨٧، وبالرغم من نيران الدبابات البريطانية ومدفعيتها المضادة للدبابات فإن الهجوم تقدم تدريجياً، وبدأ دفاع العدو فى الانهيار وازداد عدد الأسرى من الأعداء، وبحلول المساء وبعد قتال ناجح عنيف، وصلت فرقة البانزر الألمانية إلى المنطقة غربى «عكرمة».

ولم تعد الفرقة الأولى المدرعة البريطانية فى حالة تسمح لها بالاستمرار فى القتال فاضطرت للانسحاب أثناء الليل من ميدان المعركة.

وفى نفس هذه الليلة، استطاعت وحدات من الفرقة ٥٠ البريطانية أن تخترق جبهة الفيلق العاشر الإيطالى ثم هربت بعد ذلك نحو الجنوب.

وفى ساعات الصباح الأولى من يوم ١٥ يونيو، انطلقت وحدات الفرقة ١٥ بانزر عبر الطريق الساحلى نحو البحر، ولكن بالرغم من أوامرى المشددة لهم، لم يتركوا على الطريق سوى سبع دبابات فقط لقطعه، وبالطبع لم يجد البريطانيون وحلفاؤهم الجنوب أفريقيين أية صعوبة فى سحق هذه الدبابات القليلة واقتحام الستارة الضعيفة والإفلات من المصيدة، وبعدها بقليل أقفلنا هذه الثغرة نهائيا، وفى نفس الوقت بدأت الفرق الإيطالية ومعها اللواء الألمانى عمليات المطاردة على الطريق الساحلى.

وكنت قد سحبت بالفعل الفرقة ٢١ بانزر من منطقة «عكرمة» فى الصباح وأرسلتها شرقاً عبر «العضم» مع الفرقة ٩٠ الخفيفة ومجموعة استطلاع، ومرت مجموعة الهجوم المكلفة باجتياح موقع «العضم» بنقطتين قويتين فى «البطرونة

والحيطان» وهى فى تشكيل المعركة وتُبودلت النيران بعنف بين دباباتنا ودبابات الهنود المدافعين عن الموقع، وفى هذا المساء تم اجتياح «بطرونة»، وقد سقط معها ٨٠٠ أسير وعدد من المدافع والعتاد الحربى، وبالرغم من هجمات القاذفات البريطانية العنيفة وصلت الفرقة إلى «سيدى رزق» قبل حلول الليل، حيث توقف هناك التقدم مؤقتاً فى مواجهة نيران كثيفة من البريطانيين، ولم تنجح الفرقة ٩٠ الخفيفة فى هذا اليوم بالرغم من محاولاتها المتكررة فى الاستيلاء على «الحيطان» وهو الموقع الرئيسى فى «العضم».

وفى هذه الأثناء انسحبت بقايا الجيش الثامن البريطانى إلى منطقة الحدود المصرية، واتضح لى أن العدو كلف قوات «طبرق والحيطان» بالثبات لتعطيل قواتنا لحين إنشاء خط دفاعى جديد عند الحدود المصرية.

* معركة طبرق الثانية:

قررت فى هذه المرة مهاجمة الحصن واقتحامه تبعاً للخطة التى كنت قد توصلت إليها قبل ذلك فى عام ١٩٤١ والتى عرقلها هجوم «كننجهام».

وفى صباح يوم ١٦ يونيو، تحركت إلى الطريق الرئيسى الساحلى ثم عبرته نحو الغرب، وكان القتال فى الغزالة قد توقف أخيراً حيث أسرنا هناك ستة آلاف بريطانى آخرين، وبعد ذلك بوقت قصير قابلت قواتى المتحركة شرقاً من خط الغزالة، وأصدرت لها أوامر بالاندفاع بأسرع ما يمكنها إلى الحافة الغربية «لطبرق»، وزودناها بالعربات لنقلها للجبهة بالدور، وكانت إعادة تجميع قواتى لحصار «طبرق» هى أهم نقطة فى الوقت الحالى.

وكان الهنود لايزالون صامدين فى «الحيطان»، وفى ١٦ يونيو، لم تستطع الفرقة ٩٠ الخفيفة أن توسع الاختراق فى نطاق الدفاعات، والذى كانت قد مهدت له

مجموعات الاقتحام فى الليلة السابقة، واستسلمت بقية الحامية الهندية فى «الحيطان» مساء ١٧ يونيـو، وسقط فى أيدينا خمسمائة أسـير وكميات ضخمـة من الذخيرة، وكانت حـصون «الدودة وبلجامد» القـوية قد سقطت قـبل ذلك فى أيدينا فى اليوم السابق، وبمجرد سقوط الحيطان، أرسلت الفرقة ٩٠ الخفـيفة لمهاجمة النقط البريطانية القوية التى كانت لاتزال صامدة فى نفس المنطقة، وتم محـاصرتها ومن ثم اقتحامها ثم صار تحريك فيلق أفريقيا بأكمله ومعـه فرقة آريتى نحو «جمبوت» والمنطقة الواقعة جنوبها، وكـان السبب الرئيسـى فى هذه العملية كـان للعمل ضد السـلاح الجوى البريطانى الذى كان نشطـاً بشكل خطير بسبب ضرب مطاراته فى الجبـهة، وقررت طردهم من مطارهم فى «جمبـوت» وإخراجهم من المكان الوحيد الذى يسـتطيعون منه التدخـل فى هجومى على «طبـرق»، ولهذا فإن جـيشى قد تحـول شرقـاً مرة أخرى، وقد تأخرت فرقة آريتى التى كانت أوامرى لها تقضى بملازمتها لفيلق أفريقيا منذ البـداية، وفقدت اتصـالها مع باقى الوحـدات، وبعد قليل تمكنـا من الاتصال اللاسلكى مع فرقة آريتى وحركناها للانضمام إلى القوة الأساسية.

وفى هذا المساء،١٧ يونيو، حولت الفرقـة ٢١ بانزر إلى الشمال، وفى فجر يوم ١٨ يونيو، لاحت الـطائرات البريطانية مـرة ثانية فـوق الفرقة ٢١ بانـزر والتى كانت تتقدم شمـالاً، وبلغنا الطريق وخط السكة الحديدية بعد الظهر، وقـد عبرناه ودمرنا بعض وصلاته، وكانت الفرقة الرابعة قد أسرت أثناء الليل حوالى خمسمائة بريطانى وكان هذا العدد فى زيادة مستمـرة، وفى المطارات التى لم يتخل عنها البريطانيون، استـولينا على خمس عشـرة طائرة وكميـات وافرة من الوقود والزيوت التى نفـعتنا للغاية فيما بعد.

وانتهـت عمليات الـتطهير لـلمنطقة مـا بين «طبرق وجـمبوت» فى ١٨ يـونيو، وانتهت أيضاً التحركات اللازمة لإتمام حصار «طبرق».

وتحرك فيلق أفريقيا إلى مواقعه الجديدة عصر يوم ١٩ يونيو، بينما تقدمت الفرقة ٩٠ الخفيفة شرقا للاستيلاء على مستودعات البريطانيين الواقعة بين «البردية وطبرق»، يضاف إلى ذلك أن فرقة بافيا وفرقة ليتوريو المدرعة، كانت وحداتها قد بدأت في الوصول، وكان عليها ستر الهجوم على «طبرق» من اتجاه الغرب والجنوب.

* الاستيلاء على طبرق:

بعد انتهاء القصف الجوى، تقدمت مشاة فيلق أفريقيا والفيلق العشرين الإيطالى للقيام بعملية الاقتحام، وكانت الممرات عبر حقول الألغام قد تم تطهيرها فى الليلة الماضية، وبعدها بساعتين كانت مجموعة الاقتحام الألمانية قد نجحت فى دق إسفين داخل الدفاعات البريطانية، ، وهوجمت المواقع تباعاً بواسطة رجالى، وتم الاستيلاء عليها بعد قتال متلاحم وحشى عنيف للغاية.

وتمكن المهندسون من ردم أجزاء من الخندق المضاد للدبابات، وأصبح الطريق مفتوحاً، فأطلقت العنان لمدرعاتى.

وتقدمت برفقة مجموعة أركان حربى الميدانية، وعبرنا قطاع فرقة آريتى إلى قطاع الفرقة ١٥ بانزر، وبعدها بنصف ساعة عبرت الخندق المضاد للدبابات مع «بايرلاين» وقمت بالمرور على موقعين سقطا فى أيدينا، وفى نفس الوقت، كان فيلق أفريقيا يتعرض للهجوم من خارج القلعة من الدبابات البريطانية، واندلعت نيران معركة عنيفة بين الدبابات اشتركت فيها مدفعية الطرفين، وتقدم الهجوم الألمانى بالتدريج ووصل فيلق أفريقيا، بعد معركة قصيرة دمر فيها خمسون دبابة بريطانية، إلى مفارق الطرق عند «سيدى محمود» فى حوالى منتصف اليوم، وأصبحنا مسيطرين على مفتاح «طبرق».

ثم صاحبت تقدم فيلق أفريقيا من مفارق الطرق، واندلعت النيران الشديدة على القوات المهاجمة من حصن «بيلاسترينو» والمنطقة المحيطة به وعدة أوكار على سفح الجبل، وبدأت عدة سفن بريطانية فى التحرك إلى خارج الميناء، ويبدو أنها كانت تحاول ترحيل البريطانيين عن طريق البحر.

ووجهت المدافع على الفور نيرانها على هذه الأغراض، وتم إغراق ست سفن وتم التقاط أغلب الرجال الذين كانوا فوقها.

واستمر التقدم ووصلنا بعدها بقليل إلى المنحدر الذى يؤدى إلى الميناء، حيث ارتطمنا بنقطة بريطانية قوية، قاتلت بعناد وبسالة غريبة، وأخيراً نجح العريف «هوبر» ومعه ستة من رجال المدفعية المضادة للطائرات فى الاقتراب من الدشمة وقضى على حاميتها بواسطة القنابل اليدوية.

وعرضت «بيلاسترينو »الاستسلام فى المساء، واقتحم رجالى حصن «سولارو» وأغرقوا زورقاً آخر بالمدفعية فى الميناء، وعند حلول المساء كان ثلثا الحصن فى قبضتنا، وكانت المدينة والميناء قد سقطت بالفعل فى أيدى فيلق أفريقيا عصر هذا اليوم.

وفى الساعة الخامسة من يوم ٢١ يونيو، دخلت مدينة «طبرق»، وبعد ذلك تحركت على الطريق الساحلى نحو الغرب، وعرضت على قيادة اللواء ٣٢ دبابات الاستسلام، وأدى هذا إلى سقوط ثلاثين دبابة بريطانية فى حالة سليمة فى أيدينا.

وأعلن الجنرال «كلوبر»، قائد الفرقة الثانية لجنوب أفريقيا وقائد حامية «طبرق»، استسلام حصن «طبرق».

وقد اعـتبر سقـوط «طبرق»، الذى تم دون تدخل من الخارج، نهاية القـتال فى الجزء الشرقى من «بـرقة»، واعتبر كل واحـد من رجال فيلق أفريقـيا يوم ٢١ يونيو ذروة نجاحنا فى الحرب فى أفريقيا.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

فى اليوم التالى، سمع «رومل» من الراديـو ومن قيادة «هتلر»، أنه رقى إلى رتبة الفيلد مارشـال مكافأة له على انتصاراته، وكان عـمره ٤٩ سنة، ولم يتلق «رومل» عصا الماريشالية إلا عند مقابلته «لهتلـر» فى برلين فى شهر سبتمبر، وقد علق على هذا الحين قائلاً: «وددت لو أعطانى فرقة أخرى بدلاً منها».

* * * *

الفصل الثانى
المطاردة إلى مصر

* السرعة هى الهدف الأساسى لرومل:

كانت قولات تموينـنا تجابه صعاباً جدية نتيجة لتقدمنا داخل مصر، وطلبت من «الدوتشى» بعد سقوط «طبرق» مباشرة برفع الحظر عن حرية العمل لجيش البانزر والسماح لنا بالتقدم داخل مصر، وأخيراً أعطانا الإذن، وعليه أصدرت أوامرى على الفور إلى التشكيلات المشتركة بالاستعداد للتحرك.

وقد بدأت قواتى التحرك شرقاً فى يوم ٢٢ يونيو، وقد عبرت بنفسى الحدود فى يوم ٢٣ يونيو خلف الفرقة ٩٠ الخفيفة التى اندفعت مسافة طويلة للأمام.

وفى ٢٤ يونيو تحركت مع قول الفرقة ٩٠ الخفيفة وحثثتهم على زيادة سرعتهم أثناء التحرك، وكانت كل تشكيلاتى تتعرض باستمرار للهجوم الجوى العنيف، بينما كان سلاحنا الجوى يعيد تنظيمه فى هذا الحين، وبذا لم يتمكن من استخدام مقاتلاته لعمل مظلة جوية فوق قولاتنا.

وفى صباح يوم ٢٦ يونيو، استمرت أسراب الطائرات البريطانية فى مهاجمتنا، ونجحت فى تدمير قول إدارى لنا، مما سبب نقصاً خطيراً لاحتياجات فيلق أفريقيا من البترول ولكن لوقت محدد.

وبالرغم من هذه الصعاب، نجحنا فى هذا اليوم فى الوصول إلى نقطة تبعد عشرة أميال جنوب غربى «مرسى مطروح»، وانسحبت من هذه المنطقة بقايا الفرقتين المدرعتين البريطانيتين الأولى والسابعة وتركت وحدات الاستطلاع وحدها.

وقررت إجبار البريطانيين على الدخول فى معركة فى المنطقة المحيطة «بمرسى مطروح» والضبعة، حتى أدمر جزءاً كبيراً من منشآتهم، ولتحقيق هذا الغرض وضعنا خطة لتطويق «مرسى مطروح» وحاميتها القوية بداخلها ثم اجتياحها بعد ذلك، ولكى نمهد لهذه العملية، كان من الضرورى طرد المدرعات البريطانية للخلف بهجوم سريع نحو الشرق، وبذا نمنعها من التدخل بأى شكل فى العمليات حول الحصن.

*** روميل يستولى على مرسى مطروح:**

ظهر لى فى نفس اليوم، ٢٦ يونيو، أن «ريتشى» ينوى محاولة الصمود فى الخط الممتد من «مرسى مطروح» إلى «بير خالدة»، وقام الفيلق الأفريقى بطرد وحدات الاستطلاع البريطانية إلى داخل خطوطهم، ثم تحركت الفرقة ٩٠ الخفيفة واخترقت الجزء الشمالى من الخط، وفى المساء وصلت للطريق الساحلى، فى اندفاع خاطف، وأقفلته من الناحيتين، وبذا أمكن تطويق «مرسى مطروح» تماماً.

وفى هذه الأثناء ارتطم فيلق أفريقيا والفيلق العشرون الإيطالى بحشد من المدرعات البريطانية فى المنطقة الواقعة شمال «خالدة»، وقامت الدبابات المتوسطة الأمريكية، التى وصلت حديثاً من مصر، بشن هجمات متكررة ضد تشكيلاتنا واستمرت المعركة حتى المساء وأسفرت عن تدمير ثمانى عشرة دبابة أمريكية، ولكن افتقارنا للبترول والذخيرة منعنا بكل أسف من استغلال هذا النجاح.

وأمرت وحدات من فرقتى بريسكيا وباقيا بالتحرك بأسرع ما يمكنها نحو الجنوب من «مرسى مطروح»، وذلك لأعرقل هروب قوات أخرى للعدو، ولكن التحرك تم ببطء شديد لأن معداتهم رديئة وحملتهم قليلة، بينما احتلت تشكيلات إيطالية أخرى المنطقة الواقعة جنوب غرب القلعة، وأصدرت الأوامر لكل الوحدات المحتلة للخط بالعمل على تشديد الرقابة أثناء الليل.

وأثناء الليل، احتشدت الفرقة النيوزيلندية تحت قيادة الجنرال «فرايبرج»، واخترقت طريقها قتالاً نحو الجنوب، وتلى ذلك اشتباك عنيف اشتركت فيه وحدات قيادتى التى كانت موجودة نحو الجنوب من القلعة، وتدخل فى القتال «كيهل» ووحدات من فرقة «ليتوريو»، ووصل القتال بيننا وبين النيوزيلنديين إلى درجة خطيرة من العنف فى وقت قصير، مما أدى إلى أن قيادتى أحيطت بالسيارات المحترقة، فجعلتها هدفاً لنيران مستمرة من الأعداء، فأمرت أركان حربى بالانسحاب نحو الجنوب الشرقى.

وفى الساعات المبكرة من الصباح، استطاعت مئات أخرى من العربات النيوزيلندية أن تشق طريقها عبر الثغرات الكبيرة فى الجانب الجنوبى الشرقى من جبهتنا.

وفى صباح اليوم التالى، ٢٨ يونيو، تحركت إلى منطقة الاختراق حيث أمضينا ليلة لا تنسى، فهناك وجدنا عدداً من العربات مليئة بالجثث الممزقة للينوزيلنديين الذين قتلوا بقنابل الطائرات البريطانية.

وتحركت الفرقة ٩٠ الخفيفة وآلالاى ٥٨٠ استطلاع ومجموعة «كيهل» ووحدات الفيلق العشرين والفيلق الواحد والعشرين الإيطالى للقيام بالهجوم، وبالرغم من الدفاع البريطانى المستميت، نجح هجوم الفرقة ٩٠ الخفيفة.

وأخيرا، وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى، ٢٩ يونيو، شقت الفرقة ٩٠ الخفيفة طريقها من الشرق ومجموعة كيهل وآلالاى ٥٨٠ استطلاع من الجنوب إلى داخل القلعة، وخفت النيران تدريجياً وأخيراً توقفت تماماً، وكانت الغنائم هائلة، وبجانب مستودعات التموين الهائلة، سقط فى أيدينا عتاد حربى من كل الأنواع يقارب فى مجموعه ما يلزم فرقة بكاملها، كما دمرنا أربعين دبابة معادية وأسرنا ستة آلاف بريطانى، ولسوء الحظ أن النيوزيلنديين تحت قيادة «فرايبرج» قد نجحوا فى الهرب.

* الإنجليز ينسحبون إلى العلمين:

وبذلك أصبح فى أيدينا آخر ميناء محصن فى الصحراء الغربية، وقد تكبد البريطانيون مرة أخرى خسائر فادحة، ومع هذا نجحوا فى سحب أغلب مشاتهم للخلف نحو مواقعهم فى العلمين، حيث كان العمل فى تجهيز المواقع الدفاعية يسير بأقصى سرعة منذ زمن طويل، وكان الخط محتلاً بالفعل بعدد من الوحدات الجديدة، وغلبه فبعد سقوط «مرسى مطروح» مباشرة، دفعت قواتى على الفور مرة أخرى للوصول لخط العلمين واجتياحه قبل استكمال إعداده، وقبل أن تستطيع بقايا الجيش الثامن المنسحبة تنظيم الدفاع هناك.

وعليه فبمجرد سقوط القلعة، تحركت القوات من «مرسى مطروح» شرقاً مرة أخرى، كما دفعت المشاة الإيطالية وجهت عناصرها المتقدمة نحو «الفوكة»، ثم تحركت عرباتنا نحو الشرق باستمرار.

وفى حوالى منتصف اليوم، علمنا باللاسلكى أن البريطانيين كانوا يقومون بإخلاء «هانيش»، وأصدرت أوامرى على الفور باللحاق بالبريطانيين المنسحبين، مما أدى لسقوط عدد كبير منهم أسرى فى أيدينا.

وعلى مسافة عدة أميال جنوب شرق «الفوكة»، تعرضت الفرقة الخفيفة فجأة لنيران المدفعية البريطانية من الجنوب الشرقى، ويبدو أن سيارات الاستكشاف كانت تواجهنا، وطردت هذه السيارات بنيران من المدافع التى احتلت مواقعها على الفور وفتحت نيرانها، وبعدها توقفت تدريجياً نيران المدفعية وببطء، ثم استمر التقدم ولكننا بعد ذلك بعدة أميال اصطدمنا بعدة أحزمة من الألغام رصت على جانبى الطريق بين حقول الألغام الموجودة، وسمعنا ضجيج انفجار الألغام تحت عجلات عرباتنا، وبعد أن قمت بنفسى ومعى آخرون بإزالة الألغام تحرك القول مرة أخرى، وعند حلول الظلام، توقفنا على مسافة حوالى ستة أميال غربى «الضبعة».

* وصول روميل على بعد مائة ميل من الإسكندرية:

وفى صباح ٣٠ يونيو، وصلت بالفعل العناصر الأمامية من الفرقة ١٥ بانزر إلى نقطة بعد «الضبعة» بكثير، وسقطت غنائم ضخمة فى أيدى فيلق أفريقيا ومن ضمنها بطارية بريطانية من عيار ١٥٠ مم، وقمنا باستخدامها على الفور ضد أعدائنا، ولسوء الحظ أن الإيطاليين تخلفوا مرة أخرى، ولم يصلوا إلى المنطقة الواقعة غرب العلمين إلا فى حوالى منتصف الليل.

وفى «الضبعة»، وجدنا مخزن تعيينات ضخماً بجانب الطريق، وأقمنا القيادة فى أحد أكواخه، ولكن هجمات القاذفات المقاتلة اضطرتنى للتحرك نحو الشرق، بعدها بقليل ومرة أخرى سمعنا مدافع الطائرات البريطانية التى يبدو أنها قد استقرت فى مطاراتها الجديدة، وعليه فقد انتقلنا مرة أخرى.

وتناقشت أثناء عصر هذا اليوم فى هجومى المقبل على خط العلمين مع عدد من جنرالاتى وضباط أركان حربى، وقررنا بدء الهجوم فى صباح اليوم التالى، وفى المساء أصبح واضحاً أننا لن نتمكن من تنفيذ خطتنا حسب التوقيت الموضوع لها لأن التشكيلات التى ستشترك فيه تعطلت بسبب البريطانيين المنسحبين ولصعوبة الأرض بطريقة لم نتوقعها.

* * * *

الفصل الثالث
انقلاب الموقف

* الوقوف عند العلمين:

أدت السلسلة من الاشتباكات التى مررنا بها إلى الوصول بقوة جيشى إلى حد كبير من الإنهاك، وبدأ احتياطينا من العتاد، بما فى ذلك المغانم التى وقعت فى إيدينا، فى النفاد، ولم يصلنا أى إمداد سوى ثلاثة آلاف طن خلال شهر يونيو بدلاً من حاجتنا التى تبلغ ٦٠ ألفاً من الأطنان.

ومن الناحية الثانية، كان البريطانيون لا يدخرون جهداً فى السيطرة على الموقف، فقد نظموا تحرك قوات جديدة إلى «خط العلمين» بسرعة مذهلة.

وفجأة تمكنت إدارة التموين فى روما من شحن الإمدادات إلى تونس بكميات لم نرها من قبل فى أفريقيا، ولكن الموقف كان قد فات لأن إمدادات العدو التى فاقتنا على الدوام قد زادت هى الأخرى زيادة ضخمة.

ولهذا السبب كان من الضرورى أن نفعل كل ما بوسعنا لنقضى على البريطانيين فى الشرق الأدنى قبل وصول أى شحنات كبيرة من الأسلحة المرسلة لهم من بريطانيا أو الولايات المتحدة، فنجم عن هذا أن دارت سلسلة من المعارك الضارية الدامية أمام العلمين خلال شهر يوليو، وكان أبرز مظاهرها ضربنا المستمر من السلاح الجوى البريطانى، وقد استطعنا الاستيلاء على عدة مواقع محصنة من خط العلمين، ثم تقدمنا إلى ما وراءها بضعة أميال نحو الشرق، ولكن بعد ذلك توقف هجومنا وتجمد الموقف، وقد فوجئنا بتشكيلات مدرعة بريطانية متفوقة للغاية تنطلق نحو جبهتنا، وهكذا فإن فرصتنا الوحيدة فى اجتياح بقايا الجيش الثامن واحتلال الجزء الشرقى من مصر قد تبخرت.

وفى أول يوليو، تأخر فيلق أفريقيا فى القيام بهجومه على خط العلمين، مع أنه فى بداية الأمر نجح هذا الهجوم فى التقدم بسرعة.

وتحركت إلى الجبهة من نقطة قيادتى جنوبى «الضبعة» لمراقبة سير العمليات، وقد ذهبت أولاً إلى مقر قيادة فيلق أفريقيا، فأمرت مدفعية الجيش بقصف مواقع المدفعية البريطانية، وطلبت من السلاح الجوى الألمانى أن يدخل المعركة بكل ما لديه من قوة، وبدأت نيران المدفعية البريطانية تقل تدريجياً، وأقمنا نقطة قيادتنا فى التبة ٣١ على «مدق الإنذار»، وقد اصطدمت الفرقة ٢١ بانزر بنقطة قوية عند دير الشين تدافع عنها بعناد الفرقة الثامنة الهندية القادمة حديثاً من العراق.

ومرة أخرى، سببت لنا حقول الألغام العميقة صعاباً جمة مما أدى إلى توقف تقدم الفرقة واندلعت نار القتال بعنف، وأخطرتنى الفرقة ٩٠ الخفيفة أن هجومها قد ابتدأ، وتقدم الهجوم بسرعة فى أول الأمر ثم توقف بعد ذلك أمام خط العلمين القوى التحصين.

* رومل يحاول تطويق حصن العلمين:

ولم تعاود الفرقة تقدمها إلا بعد أن نقلت محور هجومها إلى الجنوب، وكان هذا فى حوالى منتصف اليوم، وشقت الفرقة طريقها ببطء إلى المنطقة الواقعة جنوبى شرقى العلمين، لوجود رمال ناعمة للغاية فى هذه المنطقة، وهناك أقامت جبهة دفاعية نحو الشمال والجنوب، وبعد قليل جددت هجومها لإتمام الاختراق والوصول إلى الطريق الساحلى فيتم بذلك تطويق حصن العلمين، كما يتم تدمير حاميته أو إجبارها على الهرب من المصيدة، وكان هذا يمثل خطراً مميتا للبريطانيين، لذلك فقد استخدموا ضدنا كل مدفع متيسر لهم، وأمطروا هجومنا بوابل من القذائف، وأبطأ معدل الهجوم تدريجياً وأخيراً جمدت قواتنا أمام النيران المخيفة المنصبة من المدفعية البريطانية.

ووصلت إشـارة عاجلة من الفـرقة ٩٠ الخـفيفـة تطلب مسـاندتها بقـصف من المدفعيـة لنجدتها لأن مدفعـية الفرقة لم تعد قـادرة على عمل أى شىء، وأرسلت مجموعة قتال «كيهل» علـى الفور إلى الفرقة، وقد وصل تقرير من «نهرينج»، قائد فيلق أفريقـيا، يقول إن فيلق أفريقيـا تمكن من اجتياح الجزء الأكـبر من النقطة القوية الهندية فى «دير الشين»، وفى المساء كانت المعركة هناك قد انتهت، وأسرنا ألفين من الهنود واستولينا ودمرنا ثلاثين مدفعاً بريطانيا.

وفى وقت متأخر من اليوم نفسه، قررت وضع كل ما لدى لدعم الجنب الجنوبى للفرقـة ٩٠ الخفيفـة، وانضممت إلى مـجموعة «كـيهل» ومعى مـجموعة قـيادتى الميدانية، وانصبت نيران المدفعية العنيفة على قولاتنا مرة أخرى، وتحت هذا الضغط المخيف من النيران توقف هجومنا.

وبالرغم من نيران المدفـعية المضـادة للطائرات العنيفة، عـاودت قاذفاتنا المنقـضة هجومـها مراراً واندلعت النيـران بسرعة فى منطقـة الهجوم، وقرب المسـاء خفت النيران البـريطانية، فأمرت مجـموعة قيـادتى بالخروج من المنطقة بأسرع مـا يمكنها والعودة إلى مقر قيادتى الأصلى، أما مجموعـة «كيهل» فقد كان عليها أن تبقى من سيطرتها على المنطقة التى بلغناها.

وعند المساء، أمـرت الفرقة ٩٠ الخـفيفـة بالاستمـرار فى هجومـها إلى الطريق السـاحلى فى ضوء القـمر لأننى كنت أرغب فـى شق طريق إلى الإسكندرية عند هذه النقطة بأسرع ما يمكن، ولكــن هجوم الفرقة ٩٠ الخفيــفة الليلى توقف بعد أن انهالت النيران الشديدة من المدفعية والمدافع الرشاشة على ١٣٠٠ جندى هم كل ما تبقى من قوتها.

وفى الوقت نفسه، استمر فيلق أفريقـيا فى هجومه يوم ٢ يوليو فى اتجاه الشمال الشرقى، وكـان هدفه اخـتراق طريق إلى السـاحـل على بعد حوالى ثمـانية أمـيال

شرقى العلمين ثم اقتحام الحصن ذاته، وقد انسحب البريطانيون فى أول الأمر نحو الجنوب إلا أنهم بعد وقت قصير شنوا هجوماً عنيفاً على جناحنا الجنوبى المكشوف، فسحبنا الفرقة ١٥ بانزر لتقابل هذا الهجوم واشتبكت مدرعاتها فى قتال عنيف مع البريطانيين، وفى المساء كان فيلق أفريقيا بأكمله مشتبكاً فى قتال عنيف للدفاع عن نفسه ضد مائة دبابة بريطانية وحوالى عشرة مدافع.

وبعد استمرار محاولاتنا لاقتحام خط العلمين لمدة ثلاثة أيام، عزمت بعد ذلك وبعد هجومنا فى اليوم التالى على وقف الهجوم فى الوقت الحاضر، وكان سبب قرارى هذا يعود لقوة العدو المتزايدة باستمرار وقوة تشكيلاتى المنخفضة التى لم تزد فى هذه الفترة عن ألف وخمسمائة مقاتل فى كل فرقة، وأهم من هذا كله، موقفنا الإدارى الحرج الذى وصل إلى درجة مخيفة.

فى حوالى منتصف يوم ٣ يوليو، وبعد عدة ساعات من قصف المدفعية البريطانية حول مقر قيادتى الذى كان بالقرب من مقدمة الهجوم، أرسلت فيلق أفريقيا لمهاجمة الخط البريطانى مرة ثانية، وبعد نجاح مبدئى تجمد هذا الهجوم فى النهاية نتيجة لمواجهة النيران الدفاعية المركزة.

وفى نفس اليوم، قام النيوزيلنديون بهجوم ضد فرقة آريتى التى كلفت بحماية الجانب الجنوبى لجيش البانزر، وانتهى هذا الهجوم بنجاح ساحق، فقد دمر العدو لنا ثمانية وعشرين مدفعاً من ثلاثين، وأسر أربعمائة مقاتل، وهرب الباقون والذعر يملأ قلوبهم.

وقد نتج عن ذلك أن جناحنا الجنوبى أصبح مهدداً ومكشوفاً مما أدى إلى قيام الفرقة ٢١ بانزر بالهجوم وحدها، وهذا بالطبع قد أضعف من قيمة الهجوم، وبعد ذلك انضمت إليها الفرقة ٩٠ الخفيفة ولكنها هى الأخرى لم تستطع أن تحسم الموقف وتوقف الهجوم.

ونتيجة لهذه الظروف، أضحى هجومنا المرتقب فى اليوم التالى يؤدى إلى استنزاف وتدهور قوتنا لدرجة أكبر، وبالرغم من أن الراحة تعتبر فرصة ثمينة بالنسبة للقيادة البريطانية، فكنت مضطراً لمنح قواتى عدة أيام من الراحة، أحاول خلالها إعادة التنظيم وإجراء الإصلاحات اللازمة على أن أعود للهجوم بأسرع ما يمكننى.

وكان من المتوقع فى الأيام القليلة القادمة أن يقوم البريطانيون بهجمات معاكسة، لذلك حشدت كل تشكيلات جيش البانزر بطريقة دفاعية على طول الخط الذى وصلنا إليه.

وقررت سحب التشكيلات المحملة والمدرعة من الجبهة الواحد تلو الآخر لإعادة التنظيم واستكمال القوة، وأضع مكانها فرق المشاة الإيطالية التى مازال أغلبها لسوء الحظ فى المناطق الخليفة، وسحبت الفرقة ٢١ بانزر من الخط فى ٤ تموز، واعتقد البريطانيون أنه انسحاب عام فتبعوه واخترقوا خطنا على جبهة طولها أربعة آلاف ياردة، ولم تلبث أن انطلقت أربعين دبابة بريطانية بعدها نحو الغرب، وكان الموقف سخيفا للغاية، فلم يكن لدينا ذخيرة مضادة للدبابات أو ذخيرة للمدفعية لكى تقوم بمهمة الدفاع، وأبلغتنى القيادة أن كل مدفعيتها قد استهلكت ذخيرتها، ولحسن الحظ أننا وجدنا بطارية فى مجموعة «زيك» لديها مخزون كاف، فاستطاعت وقف التقدم البريطانى بآخر طلقاتها القليلة، وأصدرت أوامرى على الفور باستخدام المدافع الهيكلية على نطاق واسع بما فى ذلك المدافع ٨٨ مم المضادة للطائرات لتخويف البريطانيين من القيام بهجمات أخرى، ثم بدأنا فى إمداد عدة بطاريات بالذخيرة، وساعدنا الحظ مرة أخرى عندما وجدنا عدة طلقات تبلغ ١٥٠٠ طلقة مدفعية فى موقع للبريطانيين الذى استولينا عليه فى «دير الشين»، وهذا مكننا من إمداد عدد من بطاريات المدافع، ولذا اعتبرنا أن الأزمة قد مرت فى ذلك الوقت.

واقتصر النشاط البريطانى فى هذه الفترة على هجمات محدودة على مستوى القطاعات والتى استطعنا صدها كلها بكل نجاح، ووصلت المشاة الإيطالية بالتدريج إلى خط القتال، وأخذت المواقع من قواتى المحملة.

وفى ليلة ٧، ٨ يوليو، أطلقت المدفعية البريطانية عشرة آلاف قذيفة على نقطة ثلاثة أميال فى قطاع الفرقة ١٥ بانزر، ثم قامت فرق المشاة البريطانية بعدها بالتسلل فى الظلام الحالك إلى خط نقطنا الخارجية، وفجأة ألقت بعبوات متفجرة فى مواقع هذه النقط، وقد سبق هذا الهجوم هجوم آخر بالدبابات استمر طيلة اليوم ضد قواتى المتعبة، وتمكن البريطانيون بالفعل بواسطة هذه التكتيكات من الاستيلاء على قسم من خطوطنا فى هذه المنطقة، ولكن عندما حاولوا الاستمرار فى التقدم صدهم هجوم عنيف قام به الاحتياطى فى هذه المنطقة.

وقد وصلتنى معلومات دقيقة عن قوة خط العلمين، واكتشفت أضعف قطاعاتها، وقررت توجيه ضربة قوية هناك ضد النيوزيلنديين يوم ٩ يوليو ثم الاستيلاء على موقعهم واستخدامه كقاعدة لعملية الاختراق.

وفى ليلة ٨ يوليو، قامت مجموعة استطلاع مقاتلة من الفرقة ٢١ بانزر بالتوغل إلى «قارة العبد» التى يحتلها النيوزيلنديين، وفى صباح اليوم التالى هاجمت الفرقة ٢١ بانزر وفرقة «ليتوريو» المدرعة والفرقة ٩٠ الخفيفة المنطقة الجنوبية للجبهة، البريطانية واخترقتها هناك إلى أن وصلت النقطة التى بلغتها فى الهجوم السابق فى وسط الجبهة.

وانسحب النيوزيلنديون، وقامت وحدات من الفرقة الخامسة الهندية بتغطية تحركهم ومعها عناصر من الفرقة السابعة المدرعة، وفى هذه الأثناء تمكنت الفرقة ٢١ بانزر من احتلال «قارة العبد» كلياً بعد أن أخلاها النيوزيلنديون، وقد تركوا وراءهم

كميات من الذخيرة والعتاد، وقررت دفع رئاستى للأمام فى الليل إلى «قارة العبد» لأننى قررت أن أمضى الليلة فى إحدى التحصينات، وكانت ليلة هادئة، لأن قوتنا الضاربة أثناء هذا اليوم طردت الفرقة الخامسة الهندية والفرقة السابعة المدرعة، وقد قررت الانطلاق فى اليوم التالى بكل قواتى.

واستيقظنا فى صباح اليوم التالى على صوت قصف المدفعية من الشمال، وبعد ذلك مباشرة وصلتنى أنباء خطيرة عن هجوم العدو من مواقعه فى العلمين واجتياح فرقة «سابراتا» المحتلة للمواقع على جانبى الطريق الساحلى، وعلى الفور تحركت شمالاً بمجموعة قيادتى الميدانية ومجموعة قتال من الفرقة ١٥ بانزر ووجهتها نحو ميدان المعركة، ومن «قارة العبد» ألغيت الهجوم لأن ما تبقى من قواتى الضاربة فى الجنوب لا يستطيع القيام بذلك الهجوم المزمع نحو الشرق، وهكذا انتهت المعركة على الساحل، وكانت فرقة «سابراتا» قد أبيدت تقريباً بعد أن فقدت الكثير من البطاريات التى خصصت لمعاونتها. ولم نستطع السيطرة على الموقف إلا بعد قيام هيئة أركان حرب جيش البانزر بنفسها بصد الهجوم البريطانى، وكان يقودها في هذا الحين «فون ملنتين» الذى جمع المدافع الرشاشة والمدافع المضادة للطائرات الموجودة حوله وبمساعدة جزء من الألاى ٣٢٨ المشاة التابع للفرقة ١٦٤ الخفيفة، وأنشأ خطاً دفاعياً على عجل على مسافة ثلاثة آلاف ياردة جنوبى غربى قيادة الجيش.

وعند منتصف اليوم، تقدمت القوات التى سحبناها من الجبهة الجنوبية لمهاجمة جنب البروز البريطانى، ولكن توقف أمام نيران مخيفة من المدفعية البريطانية فى العلمين. وفى اليوم التالى، ١١ يوليو، استأنف البريطانيون هجومهم جنوب الطريق الساحلى مستخدمين مدفعية قوية مع مساندة من الطيران، واستطاعوا التغلب فى هذه المرة على وحدات أخرى للإيطاليين من فرقة تريستا وأسروها، واضطررت لسحب أعداد متزايدة من قواتى فى الجنوب وإلقائها فى القتال الدائر جنوب الطريق

الساحلى، وفى وقت قصير كنا أحضرنا كل مدفعية الجيش للاشتراك فى المعركة، وبعدها توقف الهجوم البريطانى بالتدريج.

وهذه الضربة البريطانية على طول الطريق الساحلى، نتج عنها تدمير الجزء الأكبر من فرقة سابراتا، وجزء كبير أيضاً من فرقة تريستا، كما سقطت فى أيدى الأعداء أجزاء هامة من الأرض.

ولم يعد هناك أى احتمال لشن أى هجوم كبير فى المستقبل القريب، واضطررت لسحب كل الجنود الألمان من خيامهم ومعسكرات الترفيه وإحضارهم إلى الجبهة لأنه بفشل الجزء الأكبر من قواتنا الإيطالية المقاتلة أصبح الموقف يهدد بكارثة كبرى.

* الجبهة تتحول إلى الحرب الثابتة:

تجمدت الجبهة، وأصبحت القيادة البريطانية تقاتل فى ظروف ملائمة تماماً، فقد تخصص البريطانيون فى الهجمات المحددة المحلية التى تشن تحت حماية دبابات المشاة والمدفعية.

وركزت محاولاتى كلها فى العلمين للخروج من مجال الحرب الجامدة الثابتة، التى يتفوق فيها البريطانيون والتى تدرب عليها مشاتهم وأطقم مدرعاتهم، للوصول بعد ذلك إلى الصحراء المفتوحة أمام الإسكندرية حتى يمكننى استغلال تفوقنا التكتيكى فى حرب الصحراء المفتوحة، ولكن لم أنجح فى بلوغ غرضى هذا فقد أوقف البريطانيون تشكيلاتى.

ولقد قررت دفع الفرقة ٢١ بانزر لمهاجمة حصن العلمين، وذلك لكى أصلح الموقف المتوتر الذى نتج من هزيمة فرقة سابراتا، ولكى أزيل التهديد عن جبهتى الجنوبية بسبب المواقع البريطانية الموجودة غرب العلمين، وكان سيساند هذا الهجوم، فى ١٣ يوليو، كل مدفع وطائرة يمكننا إلقاؤها فى أتون المعركة، وكان على الفرقة أن تعزل منطقة الحصن من اتجاه الشرق أولاً ثم تقتحمها بعد ذلك فى هجوم ساحق.

لقد فشل الهجوم ولم ينجح حتى فى بلوغ الخط الأمامى للفرقة ٩ الأسترالية، ويرجع ذلك إلى نيران العدو الشديدة وخطوط دفاعاته المحصنة تحصيناً فى غاية القوة متضمناً كثيراً من الدبابات المدرعة فى مواقع ثابتة، أما السبب الأساسى فى الغالب فيرجع لأن مشاة الفرقة ٢١ بانزر لم يتجمعوا للهجوم داخل المواقع الإيطالية، وإنما تجمعوا فى منطقة تقع خلفها بألفين أو ثلاثة آلاف ياردة، ونتج عن هذا أن المدفعية البريطانية ضربت القوات المهاجمة فى مرحلة مبكرة من الهجوم واستطاعت إيقافهم بنيرانها المركزة قبل أن يستطيعوا اجتياز خطوطنا نحن، وفى المساء قررت إيقاف العملية.

ومرة أخرى، أمرت الفرقة ٢١ بانزر بالهجوم فى اليوم التالى، ١٤ يوليو، وكان هدفها فى هذه المرة الموقع الذى تخلت عنه سابراتا غرب العلمين، وكان الأستراليون حالياً يقومون بتحصينه بقوة، وانطلق الهجوم بعد ضرب جوى من جانبنا، ولكن المشاة تأخرت أكثر من اللازم مرة أخرى، وفشلت فى استغلال تأثير الضرب التحضيرى، وهاجمت القوات الجوية البريطانية قولاتنا الميكانيكية وضربتها ضرباً عنيفاً، ودخلت المدفعية البريطانية المعركة مرة أخرى بكامل قوتها.

وشقت قواتنا طريقها من الجنوب إلى الشمال والشمس من ورائها إلى أن وصلت إلى المنطقة الواقعة بين الطريق الساحلى والخط الحديدى وهناك توقف الهجوم، وتلا ذلك قتال وحشى مع الأستراليين، واستمر القتال إلى وقت متأخر من الليل، وكنا فى بادئ الأمر قررنا الاستمرار فى الهجوم فى اليوم التالى ولكن ظهر عامل خطير اضطرنا لاتباع إجراء مختلف.

* الإنجليز يهاجمون روميل بالمدرعات:

فى ليلة ١٤، ١٥ يوليو، قام البريطانيون بهجوم رئيسى بالفرقة الأولى المدرعة على «هضبة الرويسات» وتمكنوا من اختراق مواقع الفيلق الإيطالى العاشر، ثم بعد

مدة وجيزة نجحوا فى اختراق موقع فرقة بريسكيا وتوغلوا حتى بلغوا مواقع المدافع والدبابات الألمانية وهناك تمكنا من وقف قواتهم القائدة، بقتال متلاحم عنيف.

وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى استمروا فى هجومهم حتى تم الاستيلاء على «هضبة الرويسات»، ومن هذه النقطة سارت قواتهم الرئيسية المهاجمة فى اتجاه الغرب، وتحولت مجموعة من هذه القوة شرقاً مرة ثانية فى مؤخرة فرقتى بريسكيا وبافيا، ونتج عن هذا أن أغلب هذين التشكيلين قد وقع فى الأسر صباح هذا اليوم.

ولم يكن هذا كل ما فى الأمر، لأن خطوطنا انهارت جنوبى شرقى «دير الشين»، واجتيحت مواقع مدفعيتنا المضادة للطائرات بسبب عدم رغبتها فى إطلاق نيرانها على حشود الإيطاليين المأسورين الذين كانوا فى مواجهتها مباشرة. وفى الصباح الباكر، اقتحم البريطانيون «دير الشين» نفسها.

وأوقفت هجوم الفرقة ٢١ بانزر فى الشمال على الفور، وعدت بها إلى منطقة تجمع فيلق أفريقيا جنوبى غربى دير الشين.

وفى اليوم التالى، ١٦ يوليو، هاجمنا البريطانيون مرة أخرى، واستولوا على عدة مراكز قوية فى قطاع فرقة سابراتا، ولكنهم تخلوا عن الأرض التى استولوا عليها نتيجة لقصف نيراننا المخيفة من المدفعية الألمانية الإيطالية المحشودة ومدافعنا المضادة للطائرات، وتركوا وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى.

وكانت ليلة يوم ١٦ يوليو هادئة، ومع هذا فقد قام الأستراليون بالهجوم من العلمين مرة ثانية، وفى هذه المرة كان محور الهجوم في اتجاه الجنوب الغربى، وفى وقت قصير اخترقوا خطوطنا فى قطاعى فرقتى ترنتو وتريستا وأسروا عدداً كبيراً من الإيطاليين، وكانوا فى هذه المرة يحاولون أن يطوقوا جبهتنا فى اتجاه الجنوب، وكنا قد وضعنا خطة للهجوم فى القطاع الأوسط لاسترداد الأرض التى فقدناها بعد

هجوم البـريطانيين على الفيـلق الإيطالى، ولكننا اضطررنا للتحـرك شمـالاً بأقصى سرعـة لإيقاف هذا الاختراق الجـديد، وبعدها بقليل بدأ الهـجوم الأسترالى يفـقد حدته فى مواجهة الخط الجديد الذى أنشأته الوحدات الألمانية على عجل، وفى فترة العصر هاجمت وحداتى الأفريقية واستردت مواقعنا الأصلية فى المساء، وقام العدو بهجمات مماثلة على فرقة ترينتـو وفى أماكن أخرى ولكنه تعرض لهزيمة نكراء بسبب نيران المدفعية الإيطالية الشديدة والهجمات الجوية العنيفة.

وفى هذا اليوم اضطررنا لاستـخدام آخر مـا لدينا من الاحتيـاطى الألمانى لصد الهجمات البريطانية.

وفى خلال الأيام الأربعـة التالية كـانت الجبهة علـى شىء من الهدوء، فلم يقم البريطانيون بأى هجمات كبرى، وكان السكون الذى يسبق العاصفة، ففى ١٩، ٢٠ يوليو، علمنا بوجود تجمعات بريطانية فى القطاع الأوسط من الجبهة، وكان أوكينلك يحشد فيها جموعاً ضخمة من الدبابات والمدافع.

وفى ليلة ٢١ يوليو، انطلقت العاصفة من عقـالها، فقد اندفعت أمواج من المشاة البريطانيـة ضد قطاع الفرقة الخـامسة عشـر بانزر واخترقت خطوطهـا، ولكننا أوقفنا الاختراق وأسرنـا خمسمائة بريطانى، وقامت قـوة كبيرة من الأستراليين، تـدعمها المدرعات، بهجوم على جبهتنا الشمـالية، وتقدم هذا الهجوم ياردة فياردة فى اتجاه الجنوب الغربى فى مواجهة مقاومة وحشية من جانب المشاة الألمانية الإيطالية.

وفى يوم ٢٢ يوليو، بدأ الهـجوم البريطانى الرئيـسى فى القطاع الأوسط بواسطة قوة تتكون من الفـرقة الثانيـة النيوزيلندية والخامسـة الهندية والأولى المدرعة ومعـها اللواء ٢٣ من دبابات الجـيش الـذى وصل من بريطانيـا فى خـلال هذا الشـهـر، واندفعت القوات البريطـانية التى كانت تدعهما أكثـر من مائة دبابة ضد خطوطنا فى

«دير الشينى» وما يليها جنوباً، وإلى الجنوب من الموقع القوى استطاعوا اجتياح مواقعنا بعد أن قاتلت القوات الألمانية والإيطالية التى كانت تحتلها إلى النهاية وبحلول الساعة التاسعة، كانوا قد وصلوا إلى ما وراء جبهتنا بطريقة خطيرة. وأخيراً توقفت رأس الحربة المكونة من الدبابات عند «المدق الحجرى»، حيث أمكن تدمير عدد كبير من الدبابات البريطانية، ثم اندفعت مدرعات الفرقة ٢١ بانزر وصدت البريطانيين ودفعتهم للخلف، ودمرت عدداً كبيراً من الدبابات البريطانية.

ونظراً لحرج الموقف للغاية فى القطاع الأوسط، فقد اضطررت لسحب عدد متزايد من التشكيلات من الجناح الجنوبى للجبهة، واستمرت المعركة التى خضنا غمارها بكل إمكانياتنا الخفيفة الحركة والتى فرضت علينا طوال اليوم، واستخدمنا آخر ما لدينا من احتياطى.

وبالتدريج خفت حدة الهجوم البريطانى، وفى المساء هاجم الأستراليون مرة أخرى من الشمال ولكن بدون نجاح يذكر، وأمكننا تشتيت مشاتهم المهاجمة بنيراننا الدفاعية، واستطاعت تشكيلاتى الميكانيكية تدمير الدبابات التى اخترقت خطوطنا.

* روميل يأسر ١٤٠٠ بريطانى ويدمر ١٤٠ دبابة:

وعند حلول المساء، كان دفاعنا قد سجل انتصاراً لا شك فيه، حيث سقط فى أيدينا ١٤٠٠ أسير بريطانى ودمرنا مائة وأربعين دبابة معادية، ولكن خسائرنا لم تكن بسيطة وخاصة لأن قوتنا كانت منخفضة فى الأفراد، وقد كان اليوم التالى هادئاً عدا المجال الجوى بالرغم من أن سلاحنا الجوى قد قام بمهاجمة العدو بكل ما لديه من طائرات، وقبل هجوم العدو، كان مهندسو جيش البانزر يرصون حقول الألغام بسرعة محمومة واستمروا فى عملهم هذا بعد توقف الهجوم مرة أخرى، وفى وقت قصير قاموا بتغطية قطاعات عديدة بحقول ألغام ذات عمق كبير.

وبعد قتال يوم ٢٢ يوليو، وفى هذه الأثناء، وصلت تعزيزات من المشاة إلى خطوطنا، وكنا نسد بها الثغرات الكبيرة فى صفوف تشكيلاتنا بالتدريج، ووصلت من «كريت» عن طريق الجو عناصر من الفرقة ١٦٤ مشاة ولكنها مع الأسف لم تحضر معها أسلحتها الثقيلة ولا أى حملات ميكانيكية، ووصلت وحدات عديدة من فرقة مظلات إيطالية وكانت ملائمة للغاية للجبهة.

كان الجيش يعمل بسرعة محمومة على تقوية خطوطه، وبالرغم من كل هذه التحصينات فى الموقف، فلم نعتبر أن الخطر المباشر قد انتهى، وذلك لحين إيجاد احتياطى ملائم خلف الجبهة.

وفى ليلة ٢٦ يوليو، هجم الأستراليون مرة أخرى، وفى هذه المرة كانت تقدر قوتهم بلواء واحد، وكان هدفهم الخط الألمانى الواقع غرب مدق العلمين - أبودويس وكان التجمع قد تم فى سرية تامة وحقق المفاجأة، وسبقه هجوم جوى عنيف من السلاح الجوى البريطانى، وبالرغم من غلالة النيران التى أقامتها المدفعية الألمانية الإيطالية فى الحال، فالأستراليون قد نجحوا فى اختراق جبهتنا وأبادوا الجزء الأكبر من كتيبة ألمانية، ولكن مجموعة قتال «برايهل» والألاى الثالث استطلاع ومجموعة «كيهل» قامت بهجوم مضاد جرىء، حطمت به فى النهاية الهجوم الأسترالى وطرد العدو إلى خطوطه مع تكبده خسائر فادحة. وهاجمت الفرقة ٥٠ بريطانية القطاع الأوسط من خطوطنا وأمكنها القضاء على جزء من كتيبة إيطالية، ونجح هجوم مضاد هناك أيضا بواسطة الألاى ٢٠٠ المشاة ومجموعة قتال من فيلق أفريقيا فى طرد العدو مرة أخرى إلى خطوطه.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

قام بالهجوم فى هذا القطاع اللواء ٦٩ مشاة من الفرقة ٥٠ وكانت ستتحرك فى أعقابه الفرقة الأولى المدرعة، ولكن القائد لم يرض عن الثغرة المفتوحة فى حقل

الألغام، وأدى تأخيره فى التقدم إلى إفساد احتمالات النجاح للهجوم الكلي، وعزل اللواء ٦٩ مشاة مؤقتاً وتكبد خسائر فادحة قبل التمكن من تخليصه.

ويتابع روِمل مذكراته:

وتكبد البريطانيون مرة أخرى خسائر فادحة بلغت ألف أسير و٣٢ دبابة وفقدت قيادتهم كل أمل فى هجوم آخر، فقد ثبت لهم عدم إمكان اختراق الجبهة الألمانية الإيطالية بواسطة القوات التى يستخدمونها، وأصبح من المؤكد أنه من الممكن الاستمرار في المحافظة على جبهتنا، ويعتبر هذا فى حد ذاته، بعد الأزمات التى مررنا بها، نجاحاً.

وبالرغم من أن الخسائر البريطانية فى القتال أمام العلمين، ١٣٠٠٠ مقاتل، كانت أكبر من خسائرنا، إلا أن الثمن الذى دفعه «أوكنلك» لم يكن كبيراً لأن أهم شيء كان يشغله هو إيقاف تقدمنا، ولسوء الحظ أنه حقق غرضه هذا.

وأخيراً فشلنا فى تحقيق هدفنا، وأصبح المستقبل نتيجة لهذا لا يبدو وردياً على الإطلاق، وكنا بالطبع قد كبدنا البريطانيين خسائر فادحة، ففى الفترة بين ٢٦ مايو، ٢٠ يوليو، سقط فى أيدينا ستون ألفاً من الأسرى البريطانيين وحلفائهم، ودمرت قواتى أكثر من ألفين دبابة وعربة مدرعة للبريطانيين، وأصبح عتاد الجيش البريطانى بالكامل، الذى أستخدم فى الهجوم على برقة، حطاماً متناثراً فى الصحراء، وكانت قواتى تستخدم ألوفاً من عرباته المأسورة.

ولكن خسائرنا أيضاً كانت فادحة، فمن الجانب الألمانى وحده خسرنا من القتلى ٢٣٠٠ ضابطاً وجندياً، ٧٥٠٠ جريح، ٢٧٠٠ أسير، ومن الجانب الإيطالى، بلغت الخسائر أكثر من ألف قتيل ما بين ضابط ورتب أخرى، وأكثر من عشرة آلاف جريح وحوالى خمسة آلاف أسير.

وكانت خسائرنا فى العتاد هى الأخرى فادحة للغاية، وهكذا فبعد الانتصارات الضخمة، انتهت حملة الصيف الكبرى بثبات خطير.

الباب الرابع

معارك العلمين

الفصل الأول
سباق مع الزمن

* روميل يحاول معاودة الهجوم بسرعة:

ساد الهدوء فى الجبهة بعد توقف هجومنا المؤقت على العلمين، وبعد أن صددنا هجوم العدو المضاد بنجاح، وقد حاول الطرفان استغلال الفرصة لإعادة تنظيم قواتهم، ومرة ثانية دخلنا فى سباق استعداداً للجولة التالية.

وقد توجهت كل مجهودات جيش البانزر إلى معاودة الهجوم بأسرع ما يمكن، وكان من الطبيعى أن يبذل الأمريكيون والإنجليز جهدهم لوقف أى تقدم آخر لجيش البانزر نحو الإسكندرية، ولكن قوافلهم البحرية تستغرق من شهرين إلى ثلاثة أشهر لإتمام رحلتها من بريطانيا أو أمريكا حول رأس الرجاء الصالح إلى شمال أفريقيا، ولهذا فقد كان أمامنا أسابيع قليلة قبل وصول الإمدادات الضخمة، وكان ميزان القوى يميل نحو الأعداء بقوة، كما أن فرصتنا للقيام بهجوم مضمون النتائج ستصبح مستحيلة، لذلك عزمت على القيام بالهجوم لأسبق العدو، كما أن البريطانيين يقومون كل يوم بزرع ألغام إضافية أمام جبهتهم، وكنت قد قررت الالتفاف حول موقع العلمين، وهذا يتطلب أولاً اختراق القطاع الجنوبى من الجبهة البريطانية، لذلك فالصعاب التى ستواجه هذه العملية تتزايد.

وكان الاعتماد الوحيد فى خطتنا هذه يقوم على السرعة والمفاجأة، وقدرت الموقف فتبين لى أنه فى ٢٠ أغسطس سيكون للبريطانيين ٧٠ كتيبة مشاة و ٩٠٠ دبابة وعربة مدرعة وحوالى ٥٥٠ مدفعاً مضاداً للدبابات جاهزاً للعمليات.

وكان الأمر يتطلب مجهودات شاقة فى مجال الشئون الإدارية، إذا أردنا مواجهة الجيش الشامن باستعداداته الضخمة، ولكننا كنا نعانى أزمة حادة فى هذا المجال

بالذات، فمنذ نهاية يوليو، ركز السلاح الجوى البريطانى جهده ضد خطوط مواصلاتنا بين الموانى الأفريقية والجبهة وضرب قوافلنا الإدارية وأغرق صنادلنا الساحلية الواحد تلو الآخر، وكانت المياه الساحلية معرضة أيضاً لنشاط السفن الحربية البريطانية، نظراً لغياب مدمرات الحراسة الإيطالية، وكانت معظم سفن التموين تضطر إلى الذهاب لبنغازى أو طبرق، مما فرض مجهودات مضنية على إمكانيات نقلنا البحرى، وزاد الأمر سوءاً أن «طبرق» تعرضت لهجوم قوى من القاذفات البريطانية فى ٨ أغسطس، وقلت قدرتها بنسبة وصلت إلى ٢٠٪ بسبب تدمير رصيفها الرئيسى، وهكذا أصبنا بضربة شديدة.

* الإمدادات لا تصل لروميل:

وفى بداية شهر أغسطس، كانت الإمدادات التى تصلنا لا تكاد تكفى احتياجاتنا اليومية، ولم يكن الاستعداد للهجوم فى حيز الإمكان، وكان موقف حملاتنا الميكانيكية بالذات مقلقاً، كما أن وحدات الفرقة ١٦٤ وفرقة «فولجورى» للمظلات لم يكن لديها أى عربات خاصة بها وكانت على وشك الوصول، وبهذا أصبح نقلها عبئاً ثقيلاً على حملات التشكيلات الأخرى.

وكان فى إيطاليا حوالى ٢٠٠٠ عربة جاهزة للشحن وبعضها ينتظر منذ أكثر من عام ومعها ١٠٠ مدفع من جميع الأنواع، ولكن الشحن كان يتم ببطء، شديد، كما كان لدينا ١٠٠٠ عربة أخرى و ١٢٠ دبابة تحت الطلب فى ألمانيا.

وكان لدينا ١٧ ألف مقاتل ألمانى فى جيش البانزر، شاركوا فى العلميات منذ بداية الحملة الأفريقية، وكانوا يقاسون جميعاً من آثار الطقس فى إفريقيا بدرجات متفاوتة، وقد حان الوقت لإعادة معظمهم إلى أوروبا بعيداً، إذا كنا نرغب فى تفادى انهيارهم صحياً.

ومع كل هذا، فـإن أسوأ مـشاكلنا كـانت فى الإمدادات وترجع إلى ضـعف النواحى التنظيمية، فالإشراف على الشحن عبر البحر المتوسط كان فى أيدى القيادة العليا الإيـطالية التى تعمل ضـدنا، ولم يتدخل المارشـال «كسلرنيج» أو الأدمـيرال وانجهولد إلا فى النواحى الخاصة بحماية القوافل والموانئ جواً وبحراً.

ولم يكن لدينا أى سلطة على هذه الشحنات فى موانئ الوصول، أو فيما يتعلق بنسبـة الشحنات الألمانية للشحنات الإيطاليـة، هذا بالإضافة إلى أنه كـان يعاد إمداد الوحدات الإيطالية فى العلمين بسرعة مذهلة وتستـبدل عرباتها تباعاً بعربات أخرى جديدة من إيطاليا، بينمـا لم تصل عربة ألمانية واحدة لجيش البـانزر من إيطاليا حتى أول شهر أغسطس.

أما فى الجانب البـريطانى، فقد قدرنا أن تصل إلى ميناء السـويس فى بداية شهر سبتـمبر، قافلة كبيـرة تزيد حمولتها عن مائـة ألف طن بكل ما يمكن تصوره من أحدث الأسلحة والعتاد الحربى للجيش الثامن، لذلك كان جيش البانزر مصراً على شن هجومة قبل هذا التاريخ، ولكن بسبب النقص فى الإمدادات بشكل عام، فقد اقـتصـرت الخطة على توجيـه ضربة قـوية للجيـش الثامن فى خط العلمـين، ثم الاستـيلاء على الأراضى المحيطة بـالإسكندرية والقاهرة، ولكننا اضطررنا لتـأجيل موعد الهجوم عدة مرات حتى تصل دفعات كبيرة من الوقود والذخيرة.

* * * *

الفصل الثانى
الفرصة الوحيدة... علم حلفا

* البريطانيون يدافعون بشدة:

وفى ليلة ٣٠، ٣١ أغسطس، تحركت المشاة مع المجموعة التابعة لجيش البانزر للهجوم على المواقع الجنوبية من الجبهة البريطانية فى العلمين.

وبعد أن اجتازت قواتنا الحد الشرقى لحقول ألغامنا، ارتطمت بحاجز قوى من الألغام البريطانية، ولم نكن نعلم بوجوده، وكان البريطانيون يدافعون عنه ببسالة، ولكن المهندسين والمشاة استطاعا تحت حماية مدفعيتنا فتح ممرات خلال الحاجز البريطانى، وقد بدأت طائرات العدو فى ضربنا باستمرار موجهة جهدها إلى المنطقة التى تسير فيها قواتنا المهاجمة، وقد دافع البريطانيون عن تحصيناتهم القوية بعناد غريب فعطلوا تقدمنا.

ووصلت أنباء تفيد بأن الجنرال «بسمارك» قائد الفرقة ٢١ بانزر قد قتل إثر انفجار لغم، وأن الجنرال «نهرينج» قائد فيلق أفريقيا قد أصيب هو الآخر، وبذلك لم تتحقق خطتى بتقدم قواتى المحملة ثلاثين ميلاً فى ضوء القمر وتندفع شمالاً عند الفجر، لأن قوة الهجوم توقفت مدة أكثر من اللازم بسبب حقول الألغام القوية التى لم نكن نعلم بوجودها، وبذلك فقدنا عنصر المفاجأة الذى كان أساسياً لإنجاح الخطة بأكملها. وبعدها بقليل، علمت أن فيلق أفريقيا قد تغلب على حزام الألغام البريطانى بفضل القيادة البارعة لرئيس أركانه «بابرلاين»، وأنه سيتقدم نحو الشرق على الفور، وناقشت الموقف مع «بابرلاين» وقررنا الاستمرار فى الهجوم.

وكانت المدرعات البريطانية مجتمعة للقيام بعمل فورى، ولم يعد فى استطاعتنا القيام بالتفاف واسع نحو الشرق، لأن جوانبنا ستصبح مهددة باستمرار من الفرقة

السابعة المدرعة فى الجنوب والفرقتين الأولى والعاشرة المدرعتين فى الشمال، فاضطررنا للتحول نحو الشمال فى منطقة أقرب.

وحددنا أهدافنا بعد هذا بالتبة ١٣٢ لفيلق أفريقيا، وعلى بيوت علم حلفا للفيلق العشرين الإيطالى، وطلبنا من الفليد مارشال «كسلرينج» تركيز هجوم جوى شديد عليها فى الأيام القليلة القادمة.

وبعد أن تزود فيلق أفريقيا بالوقود، استأنف تقدمه وبدأ هجومه بسرعة فى بداية الأمر بالرغم من هبوب عاصفة رملية عنيفة ومعه فرقة «ليتوريو» الإيطالية المدرعة.

* الطائرات البريطانية تكبد رومل خسائر كبيرة:

ونظراً لوعورة الطريق، فقد بدأ الوقود فى التناقص بشكل خطير، فأوقفنا الهجوم على التبة ١٣٢، وكان الفيلق العشرون الإيطالى لا يزال متخلفاً بمسافة شاسعة، ولكن الفرقة ٩٠ الخفيفة وصلت لهدفها المحدد، وقامت كتائب الاستطلاع بالحماية نحو الشرق والجنوب الشرقى.

وبعد هبوط الظلام، تعرضت قواتنا لهجمات شديدة من الطائرات البريطانية التى تركزت بشكل عنيف على مجموعة الاستطلاع، وبطريقة أقل عنفاً على الوحدات الأخرى، وتوقف كل تحرك بسبب هجوم الطائرات من ارتفاع منخفض، لذلك اضطررت للتخلى عن أية محاولة للقيام بعمليات رئيسية فى الوقت الحالى، وأقصى ما كان يمكننا أن نسمح به لأنفسنا هو عدة هجمات محلية ذات أغراض محددة.

وقام فيلق أفريقيا، تبعاً لهذا القرار، بالهجوم فى صباح أول سبتمبر بالفرقة ١٥ بانزر فقط، وبعد أن دمرنا عدداً من الدبابات البريطانية الثقيلة، نجحت القوة الرئيسية فى الوصول إلى المنطقة الواقعة فى الجنوب مباشرة من التبة ١٣٢، حيث اضطررت بسبب قرب نفاذ الوقود أن نوقف هذا التقدم المحلى.

واستمر الهجوم على فيلق أفريقيا طيلة اليوم بشدة من الطائرات البريطانية، وألحقت بنا خسائر فادحة.

وعصر اليوم التالى، نقلت مركز قيادتى، ونظراً للموقف الإدارى السيئ بدأت فى التفكير بوقف الهجوم مرة أخرى.

وتتابعت هجمات القاذفات البريطانية طوال اليوم، كما أطلقت المدفعية البريطانية كمية هائلة من الذخيرة، فكانت تضربنا بحوالى عشرة قذائف مقابل قذيفة واحدة من جانبنا. وقررت أن أوقف الهجوم وأن ننسحب على مراحل إلى الخط الممتد بين جبل الطاقة وباب القطارة، نتيجة للموقف الجوى الخطير وإمداداتنا المريعة، ولو أن الهجوم على الهضبة المحيطة بالتبة ١٣٢ استمر لأدى إلى معركة تحطيم تدريجى لإمكانياتنا.

وقام العدو فى هذه الأثناء بحشد قوات مدرعة ضخمة بين علم حلفا وباب القطارة، ثم ثبتوا فى مناطق تجمعهم، وتبع ذلك بعض الهجمات المحلية والتى صددناها بسهولة، وقد ترك القائد البريطانى الجديد، الجنرال «مونتجمرى»، الأثر بأنه رجل حذر للغاية وغير مستعد للقيام بأية مخاطرات.

فى ليلة ٢، ٣ سبتمبر تعرض فيلق أفريقيا وجزء من الفرق الإيطالية المدرعة والفرقة ٩٠ الخفيفة مرة ثانية لضرب مستمر من الطائرات البريطانية.

استمر انسحابنا حسب الخطة، ولم يقم البريطانيون إلا بهجمات منعزلة، وفيما عدا ذلك تركوا للطيران والمدفعية القيام بالقضاء على قواتنا، وطلبنا من «كسلرينج» إرسال كل طائرة يمكن العثور عليها لضرب القوات البريطانية إلى الشمال من المنطقة، حيث كان يبدو أنهم يفكرون فى شن هجوم علينا من الجنب.

وفى هذه الليلة، لم يقم الطيران البريطانى إلا بهجمات محدودة، فقامت طائراتنا بمهاجمة الفرقة الهندية التى كانت تستعد للهجوم على فرقة «بريسكيا» ولواء الرامكة، فبعثرت تنظيماتها، وقد ركزت كل الهجمات على الطرق التى كانت على أجنابنا وخاصة الفرقة النيوزيلندية التى كانت أضعف من أن تتمكن من التغلغل فى جبهتنا، وأمكننا صدها بسهولة. أما الهجوم الليلى الآخر الذى قام به الفيلق العاشر الإيطالى، فقد كلف البريطانيين خسائر فادحة شملت عدداً كبيراً من القتلى، وتم أسر مائتى بريطانى من بينهم العميد «كليفتون» قائد اللواء السادس النيوزيلندى.

وفى صباح يوم ٦ سبتمبر أنهينا انسحابنا، ولجأت قواتى للدفاع مستخدمة المواقع البريطانية القوية التى استولينا عليها، وبفشل هذا الهجوم ضاعت علينا آخر فرصة للوصول إلى قناة السويس.

وهذه المعركة عرفت بين الجنود باسم سباق الأيام الستة، لأنها استمرت ستة أيام منذ بدء هجومنا حتى انسحابنا إلى مواقعنا الجديدة.

* * * *

الفصل الثالث
معركة العلمين

بعد فشل هجومنا ضد خط العلمين البريطانى، بدأت مرحلة جديدة انتهت بانهيار جبهتنا فى شمال أفريقيا، فقد دارت فى الفترة ما بين ٦ سبتمبر و ٢٣ أكتوبر، معركة الإمدادات بعنف متزايد، وفى نهاية الأمر خسرنا هذه المعركة، فسفن التموين التى وعد «كافاليرو» بأن تصلنا فى الوقت المناسب لهجومنا، لم تصل فى الواقع إلى أفريقيا إلا فى يوم ٨ سبتمبر، وفى هذه الأثناء كان الموقف الإدارى قد بلغ حد الأزمة، والكميات التى وصلتنا لم تكن كما اتفقنا.

وقبل هذا بثمانية عشر شهراً، أعلن كبار الضباط من هيئة الأركان العامة الألمانية أن الإمدادات لأفريقيا تعتبر مشكلة مستعصية، وأدى ذلك بالقيادة فى إيطاليا وألمانيا أن يظلوا فى أماكنهم.

وبعد هجومنا الفاشل مباشرة، أرسلت تقريرى لمقر قيادة «الفوهرر» والقيادة العليا الإيطاليه وجاء فيه:

أن القوات الألمانية لجيش البانزر الأفريقى التى تتحمل العبء الأكبر للحرب فى أفريقيا ضد زهرة قوات الإمبراطورية البريطانية، تحتاج لإمدادها بسيل لا يتوقف من الإمدادات الضرورية للإعاشة والقتال، ويجب استخدام كل سفينة وطائرة نقل موجودة لتحقيق هذا الغرض، وإذا لم يمكن تنفيذ هذا، فإن استمرار الاحتفاظ بمسرح العمليات الأفريقى بنجاح يصبح مستحيلاً، وسيصبح الجيش بعد هذا، أطال الوقت أم قصر، فى خطر عندما يشن البريطانيون هجوماً كبيراً، وربما حلت به نفس الكارثة التى حلت بحامية «نقب الحلفاية».

* الإنجليز يتفوقون فى المدرعات:

وفى هذه الأثناء كان البـريطانيون يزيدون من قوتهم تدريجيـاً، وفى حوالى ١١ سبتـمبر، كان لديهم فى الجبهـة خمس فرق مشاة وفـرقة مدرعة، وفرقتـان مشاة وفرقتان مدرعتان خلف الجبهة كاحتيـاطى للجيش، وفرقتان مشاة إضافيتين فى دلتا نهر النيل وأوضـحت خطورة الموقف لقيـادة «الفوهرر» مرة أخـرى، وطالبت بإنهاء أزمـة الإمداد والتـمـوين بأية طريقـة، وإلا فلن يسـتطع الجـيش الألمانى الإيطالى الاحتفاظ لوقت طويل بمواقعه فى أفريقيا.

وطلبت كحـد أدنى للإمداد، بإرسال ثلاثين ألـف طن خلال شهر سـبتمـبر، وخمسـة وثلاثين ألفاً خلال أكتوبـر، وذلك بعد وصول الفرقة ٢٢ المحـمولة جواً، كما طالبت بإرسال كل عربة مخصصة لجيش البانزر من العربات الموجودة فى ألمانيا وإيطاليا، وطالبت بتدعيم قواتنا الجـوية وخاصة المقاتلات، ولكن وضح لنا بعد هذا بقليل أن احتمال تحقيق آمالنا معدوم على وجه التقريب.

* الإنجليز يحاولون الاستيلاء على طبرق:

فى ساعة مبكرة من يوم ١٤ سبتمبر، قام البريطانيون بمحاولة لإنزال قوات كبيرة فى منطقـة «طبرق» بعد أن ضـربوها والمنطقة المحـيطة بها بأكـثر من مائة وثـمانين طائرة، وكان هدفها تدمير منشآت الميناء وإغراق السفن الموجودة فيها.

وقـد فتـحت البطاريات المضادة للـطائرات والموجودة فى شـبه الجـزيرة نيرانهـا الشديدة فوراً على البريطانيـين ونجحت مجموعات الاقتـحام الألمانية والإيطالية التى تم تكوينهـا بسـرعـة فى تطويق قـوات العـدو التى أنزلت، ولخـوفنا من أن يكون البريطانيون يحاولون الاستيلاء على «طبرق»، فـقد حركنا عدة وحدات محملة نحو الحصن على الفـور، ولكن القوات المحلية نجحت فى السـيطرة على الموقف بعدها بقليل، وقد تكبد البريطانيون خسـائر كبيرة من القتلى والأسرى، وتم إغراق ثلاث

مدمرات أو سفن حراسة، وفى اليوم التالى أغرقت طائراتنا طراداً ومدمرة أخرى وعدة سفن حراسة، كما أصيبت عدة سفن فى هذا الهجوم.

وفى ١٥ سبتمبر، أصدرت تعليماتى لنائب أمير البحر «لومباردى» والجنرال «دايندل» بالعمل على تأمين الدفاع عن الحصن.

وكان هذا أعنف هجوم بريطانى على مناطقنا الخلفية، وكانت مجموعات من الكوماندوز تحت قيادة «سترلينج»، تقوم بعمليات صغرى من «واحة الكفرة ومنخفض القطارة»، وأحيانا بلغوا فى عملياتهم إقليم «برقة» حيث كانوا يقومون بعمليات إزعاج أقلقت الإيطاليين للغاية.

وفى هذه الأثناء، وصلت صحتى لدرجة من السوء بعد ثمانية عشر شهرا مستمرة فى أفريقيا، لدرجة أنه أصبح من الضرورى أن أتلقى علاجاً طويلاً بدون أى تأخير فى أوروبا، وكان الجنرال «شتومة» سينوب عنى فى قيادة الجيش أثناء سفرى، وقد وصل إلى مقر قيادتى فى ١٩ سبتمبر، وفى اليوم التالى سلمت قيادة جيش البانزر إلى الجنرال «شتومة»، وفى اليوم التالى سافرت إلى «درنة» بقلب حزين ومنها إلى إيطاليا.

* رومل يجتمع بموسولينى وهتلر:

وفى ٢٤ سبتمبر، ناقشت الموقف مع الدوتشى، ولم أترك له مجالاً للشك فى أنه إذا لم تصل الإمدادات إلى الحد الذى طلبته، فسنضطر فى النهاية للتخلى عن شمال أفريقيا، وأظن أنه بالرغم من كل ما أوضحته لم يقدر خطورة الموقف بالفعل.

وعلى أية حال فقد سررت لسماعى بأن سلطات الإمداد والتموين الألمانية والإيطالية كانت تنوى استعمال عدد كبير من السفن الفرنسية.

وبعدها بعـدة أيام قدمت نفسى «للـفوهور»، وقد وضحـت «للفوهور» الخطوط العـريضة لهـجـومنا على خط العلمـين وأسبـاب فشـله، وقد نوهت على وجـه الخصـوص إلى التفوق الجـوى البريطانى وأن الطريقة الـوحيدة للتـغلب على تفوق العدو الجوى كانت فى إرسال قوات جوية كبيرة من جانبنا لأفريقيا.

وشرحت الموقف الإدارى السيئ، وطالبت برفع حصة الإمدادات الألمانية بالنسبة للإمـدادات الإيطالية مـبـيناً أن قوة التـشكيـلات الألمانية المقـاتلة تزيد كـثيـراً عن الإيطاليين، وقررت مـرة أخرى أنه يجب شحن ٣٠ ألف طن فى سبتـمبر، و ٣٥ ألف طن فى أكتوبر كشرط أساسى لصد الهجوم البريطانى المنتظر.

وقد وعد «الفوهرر» بزيادة إمداداتنا إلى حد كبير، وذلك خلال الأسابيع القليلة المقبلة باستخدام عدد كبير من الصنادل البـحرية يسمى «سبيل فهرين»، وقد أكدوا لى أيضاً أنهم سيرسلون قريباً لواء من القنابل الصاروخية المتعددة الفوهات الجديدة، كما أنهم سـيرسلون ٤٠ دبابة من طراز النمر، ومدافع ذاتيـة فى الصنادل البحرية الجديدة والسفن الإيطالية.

وبعد ذلك ظهر أن هـذه الوعود أعطيت فى جو من التفاؤل اسـتناداً على أرقام خاطئة لإمكانية الإنتاج، لأنه لم يتمكن من تنفيذ برنامج إنتاج الصنادل البحرية على المستوى المطلوب، ولم يتم إرسال الأرقام المذكـورة من القنابل الصاروخية ودبابات النمر إلى أفريقيا.

* هبوب العاصفة:

بدأت معركة العلمين فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢، وقد غيرت من سير الحرب ضدنا فى أفريقيا، ويمكن اعتبارها بحق نقطة التحول فى هذا الصراع العنيف كله.

وقد واجهنا مدرعات العدو المتفوقة من حيث النوع، والتى وصلت بعددها إلى أكثر من ألف دبابة، بينما كـانت دباباتنا لا تزيد عن ٥٠٠ من ألمانية وإيطالية، وكان

لدينا عدد معقول من المدافع، ولكن الكثير منها كان إيطالياً قديماً وبعضها من الغنائم، وأغلبها تنقصه الذخيرة. ويضاف إلى هذا أن البريطانيين حققوا سيطرة جوية تامة فوق البحر الأبيض المتوسط، واستطاعوا فى الواقع أن يشلوا أى حركة بحرية لنا، ونتج عن هذا أن مخزوننا من الإمدادات كان قليلاً لدرجة أن النقص فى كل مجال وكان واضحاً حتى عند بداية المعركة. وكان يوم ٢٣ أكتوبر كغيره من الأيام فى جبهة العلمين، ومر عادياً حتى المساء عندما فتح العدو ضدنا غلالة شديدة على طول الجبهة ثم تركزت ضد القطاع الشمالى، وقد حشد «مونتجمرى» ٥٤٠ مدفعاً عيارها يزيد عن ١٠٥ مم فى القطاع الشمالى بين التبة ٣٥ ودير الشين، وقد قصف البريطانيون مواقعنا بدقة غير عادية ونجم عن ذلك خسائر فادحة، وقد شاركت القاذفات البريطانية فى القصف التمهيدى.

وقد تحطمت شبكة اتصالنا بسبب الغلالة وتوقفت كل التقارير من الجبهة تقريباً، وقد قاتلت نقطنا الخارجية حتى آخر طلقة، وبعد ذلك وقعت فى الأسر أو أبيدت، وتحت صدمة نيران المدفعية البريطانية المخيفة، ترك جزء من المشاة الإيطاليين مواقعهم وهربوا إلى المؤخرة، وبعد قليل كان البريطانيون قد اجتاحوا مراكزنا الخارجية وتغلغلوا داخل خط دفاعنا الرئيسى على جبهة طولها ستة أميال، وقاومت مشاتنا بشراسة بالرغم من أن معظم أسلحتها الثقيلة قد دمرت بنيران المدفعية المعادية، وأحضر البريطانيون الدبابات إلى قواتهم المهاجمة الأمامية، وفى وقت قصير اجتاحوا بقايا فرق المشاة الإيطالية وشقوا طريقهم داخل خطوطنا، ولكننا تمكنا من إيقافهم بنيران المدفعية المركزة، كما أبيدت كتيبتان من الفرقة ١٦٤ مشاة أثناء الساعات الأولى من الصباح بنيران المدافع البريطانية العنيفة.

وعندما بزغ فجر يوم ٢٤ أكتوبر، لم يصل لمقر القيادة إلا تقارير قليلة، وكان الموقف غامضاً جداً، ونتيجة لهذا عزم الجنرال «شتومة» على الذهاب إلى الجبهة

بنفسه. وفى الساعات الأولى من يوم ٢٤ أكتوبر، بدأ القصف من جديد، ولكن هذه المرة على القطاع الجنوبى، حيث هجمت فرق بعدها بقليل تساندها بحوالى مائة وستين دبابة، وبعد أن اجتاحوا نقطنا الخارجية أمكن إيقافهم أمام خطوط دفاعنا الرئيسية.

وفى عصر يوم ٢٤ أكتوبر، اتصل بى الفيلد مارشال «كيتل» تليفونياً فى «سمرينج»، وقال لى أن البريطانيين يهاجون العلمين بمدفعية قوية منذ الليلة الماضية، والجنرال «شتومه» مفقود، وسألنى إذا كنت فى وضع يسمح لى بالعودة إلى أفريقيا لاستلام القيادة مرة أخرى، فوافقت على الفور، وأمرت بتجهيز طائرتى فى السابعة من الصباح التالى وذهبت فوراً إلى «فينز نيوشتادت»، ووصلتنى مكالمة من «الفوهرر» بعد منتصف الليل بقليل، ونظراً للتطورات فى العلمين وجد نفسه مضطراً لأن يطلب منى السفر إلى أفريقيا لاستلام القيادة.

وعند وصولى إلى روما، قابلنى الجنرال «فون رينتلين» فى المطار، حيث أطلعنى على آخر أنباء العمليات، وقال إنه بعد تمهيد عنيف من المدفعية، استولى العدو على جزء من خطوطنا جنوب التبة ٣١، وقد أبيدت عدة كتائب تماماً من الفرقة ١٦٤ والقوات الإيطالية وكان الهجوم البريطانى لا يزال عنيفاً والجنرال «شتومه» ما يزال مفقوداً، كما أخبرنى أنه لا توجد فى أفريقيا سوى ثلاث صرفيات يومية من البترول، وهذه كانت كارثة رهيبة لأن الوقود لا يكفينا إلا لمسافة ٣٠٠كم فقط، وهى المسافة بين «طرابلس» والجبهة وهذا بالنسبة للأرض الصالحة لتحرك الحملات ، وليس مثل الأرض التى نقاتل عليها، لذلك لا يمكننا المقاومة لمدة طويلة بالنسبة لهذه الظروف وسنحرم من إمكانية اتخاذ القرارات التكتيكية الضرورية، وبذلك سنعانى من قيود شديدة على حريتنا فى العمل.

ووصلت مقر قيادتى مساء ٢٥ أكتوبر، وفى هذه الأثناء عثرنا على جثمان الجنرال «شتومه» فأرسل إلى «درنة».

وفى المساء قدم لى الجنرال «فون توما» والعقيد «ويستفال» تقاريرهم عن سير المعركة حتى هذا الوقت، وذكر أن الجنرال «شتومه» منع قصف مناطق تجمع العدو فى ليلة الهجوم نظراً لقلة الذخيرة، ونتج عن هذا أن العدو إستطاع أن يستولى على قسم من حقل الغامنا، وتغلب على القوات الموجودة بخسائر قليلة نسبياً، وقد قامت وحدات من الفرقة ١٥ بانزر بعدة هجمات مضادة فى يوم ٢٤ و ٢٥ أكتوبر، ولكنها تكبدت خسائر هائلة من نيران المدفعية البريطانية وهجمات الطائرات البريطانية التى لم تتوقف، وفى مساء يوم ٢٥ لم يبق فى الفرقة سوى ٣١ دبابة من قوتها الأصلية وهى ١١٩ دبابة. وكان هدفنا فى الأيام القليلة التالية طرد العدو عن خطوطنا الأساسية الدفاعية مهما كان الثمن، وإعادة احتلال مواقعنا القديمة لمنع وجود بروز فى مواقعنا نحو الغرب.

وفى هذه الليلة تعرضت خطوطنا مرة ثانية لغلالة عنيفة من المدفعية وتطورت إلى أن أصبحت عاصفة ثابتة من النيران.

وقبل منتصف الليل بقليل تمكن العدو من الاستيلاء على التبة ٢٨ وهى موقع هام فى القطاع الشمالى، وقام بإحضار التعزيزات إلى هذه النقطة استعداداً لاستئناف هجومه فى الصباح لتوسيع رأس الجسر فى حقول الألغام باتجاه الغرب.

وقامت وحدات من الفرقة ١٥ بانزر بشن هجمات على التبة ٢٨ ومعها وحدات من فرقة «ليتوريو» وكتيبة «برساليرى» تساندها المدفعية المحلية والمدفعية المضادة للطائرات وقد قاوم البريطانيون بعنف، وقصفت المدفعية البريطانية أرض الهجوم بعنف مخيف. وعند المساء نجحت كتيبة «البرساليرى» فى احتلال الميول الشرقية والغربية للتبة، ولكن التبة نفسها بقيت فى أيدى البريطانيين وأصبحت القاعدة الوطيدة لعمليات معادية كثيرة، وانهالت كميات لا حصر لها من القنابل على قواتى.

وكانت القوات البريطانية حول التبة ٢٨ تزداد باستمرار، وأصدرت أوامرى للمدفعية لكى توقف تحركات البريطانيين شمال شرق التبة ٢٨ بنيران مركزة، ولكن الذخيرة لم تعد تكفى لتنفيذ هذه العملية بنجاح.

وفى اليوم التالى، أحضرت الفرقة ٩٠ الخفيفة ومجموعة القتال التابعة لرئاستى لمساندة الهجوم على التبة المذكورة، وكان البريطانيون يدفعون بقوات جديدة باستمرار فى هجومهم من التبة ٢٨، وكان واضحاً أنهم يرغبون فى شق طريقهم إلى المنطقة الممتدة بين «الضبعة» و«سيدى عبد الرحمن»، لذلك فقد تحركت فرقة تريستا إلى المنطقة التى تقع شرق «الضبعة»، وعند المغرب قامت تشكيلات من القاذفات المنقضة الألمانية والإيطالية بهجوم انتحارى مُحاولةً تدمير قولات العربات البريطانية المتحركة إلى الشمال الغربى، ولكن الطائرات المقاتلة البريطانية انقضت على هذه الطائرات البطيئة وأجبرتها على التخلص من قنابلها على خطوطهم، ولكن الطيارين الألمان اندفعوا نحو أهدافهم وتكبدوا خسائر جسيمة. وحاولت الهجمات البريطانية التى تساندها الدبابات المرة بعد الأخرى أن تفتح طريقا غرباً عبر خطوطنا جنوب التبة ٢٨، وأخيراً تمكنت بواسطة ١٦٠ دبابة من إبادة كتيبة من الفرقة ١٦٤ حيث شقت طريقها إلى خطوطنا نحو الجنوب الغربى، وتبع ذلك قتال عنيف تمكنت فيه الدبابات الباقية، الألمانية والإيطالية، أن ترد العدو، وكانت خسائرنا فى الدبابات حتى هذا الوقت ، ٦١ دبابة فى الفرقة ١٥ بانزر، و٥٦ دبابة فى فرقة «ليتوريو»، وكلها مدمرة تدميراً تاماً.

وبعد هجوم الطائرات البريطانية المستمر ليلاً، قامت طيلة اليوم بإرسال مجموعات تتكون من ١٨ إلى ٢٠ طائرة بفاصل ساعة، وهذا لم يكبدنا خسائر فادحة فحسب، وإنما أدى لظهور معالم إرهاق خطيرة وشعور بالنقص والعجز فى صفوفنا.

كان توقف الإمدادات قد أصبح يشكل كارثة كبرى، ولم يعد لدينا من الوقود إلا ما يكفى لتحريك قولات الإمداد بين طرابلس والجبهة ليومين أو ثلاثة، هذا دون النظر إلى احتياجات القوات الميكانيكية التى سيجرى إمدادها من نفس الكمية

المذكـورة، فقـد كان علـينا أن نحشـد كل وحـداتنا الميكانيكيـة فى الشمــال لطرد البريطانيين إلى الوراء نحو خط الدفاع الرئيسى بهجوم مضاد مركز، ولكن لم يكن لدينا من الوقـود ما يـكفى لهذا الهـجـوم، وهكذا فقـد أجبـرنا على اسـتخـدام التشكيلات المدرعة فى الجزء الشمالى من خطواطنا فى هجمات مبعثرة.

ولكنى قررت مع كل هذا إحضـار الفرقة ٢١ بانزر بأكملهـا إلى الشمال بالرغم من علمى أن الوقود لـن يكفى لإرجاعهـا، يضاف إلى ذلك أن المجهـود الرئيسى للعدو كان سيـوجه للنقطة الشمالية خلال الأيام القليلة القادمـة محاولاً حسم الأمر هنا، لأنه قد سحب نصف مدفعـيته من المنطقة الجنوبية، وفى نفس الوقت أعلمت «الفوهرر» أننا سنخسر المعركة ما لم يتحسن موقف الإمداد فورا.

واستمرت القـاذفات البريطانية فى هجومها طيلة ليلة ٢٦ نوفـمبر، وبدأت غلالة من مدفعية البريطانـيين فى المنطقة الشمالية حيث استخدمـوا فيها المدافع من جميع الأعيرة، وأثبتت دباباتهم الجديدة شيـرمان، والتى دخلت المعركة للمرة الأولى أثناء هذه المعركة، أنها تفوق دباباتنا بكثير.

فى الساعات الأولى من يوم ٢٧ أكـتوبر، قام العدو بهجـوم جديد نحو الجنوب الغربى متجهين نحو نقطة اختراقهم القديمة جنوب التبة ٢٨، وقامت قاذفات العدو بقصف مـواقعنا الدفاعيـة فى مدة لا تزيد عن عشـرة دقائق، وظلت الجبهـة كلها معرضة لغلالة عنيفة من المدفعية البريطانية.

وبعد قليل، انقـضت قاذفاتنا على الخطوط البريطانـية، وقمت بتركيـز كل نيران مدفـعيتنا والمدافع المضـادة للطائرات بعنف على قطاع الهجـوم المنتظر، ثم انطلقت مدرعاتنا بالـهجوم ولكن نيران العدو الممـيتة انهالت علينا، وتوقف هجـومنا بعدها بقليل بسبب الدفاع المضاد للدبابات القوى للغاية، وتكبدنا خسائر فادحة، فاضطررنا للتراجع، كما أن هجوم الفرقة ٩٠ الخفيـفة تحطم بواسطة المدفعية البريطانية الشديدة وسيل منهمر من قنابل الطائرات.

وفى هذا المساء اضطررنا لاستخدام وحدات قوية من فرق البانزر فى الجبهة لسد الثغرات، كما احتلت وحدات عديدة من الفرقة ٩٠ الخفيفة مكانها فى الخط.

وفى المساء، أرسلنا مرة أخرى إشارة استنجاد لروما ومقر قيادة «الفوهرر».

وفى اليوم التالى، اضطررت لاتخاذ القرار باستدعاء وحدات أخرى إلى الشمال، ونتج عن هذا أن القطاع الجنوبى أصبح خالياً تقريباً من الأسلحة الثقيلة والوحدات الألمانية، وقد حلت محلها بقية فرقة آريتى التى كانت حتى هذه اللحظة فى القطاع الشمالى، وفى الصباح قام البريطانيون بثلاث هجمات على جبهتنا الشمالية، لكن وحدات البانزر ردتهم على أعقابهم، ولسوء الحظ فقد خسرنا دبابات كثيرة.

ومنذ منتصف يوم ٢٨ ظهرت حشود قوية من المدرعات البريطانية فى حقل الألغام، وافترضنا أن العدو سيقوم بشن هجومه الحاسم، ولذلك قمنا بصد الهجوم المضاد بقدر ما تسمح به قواتنا المتبقية، ونتيجة للخسائر الفادحة التى تكبدتها فرق المشاة الألمانية البريطانية فقد إحتل فيلق أفريقيا بأكمله مواقع فى الخط، وبعد فترة بدأت غلالة بريطانية مخيفة فى ضرب المنطقة غرب التبة ٢٨، وبعدها بقليل بدأت مئات من المدافع البريطانية قصف قطاع الكتيبة ٢ من الآلاى ١٢٥ شمالى التبة.

ونجحنا فى صد الهجوم البريطاني، وتمكنت فرق المشاة والمدعارت البريطانية من التغلغل فى خطوطنا، وفى الثغرة بين حقلى الألغام وإلى الشمال منها، ودارت رحى المعركة العنيفة فى هذه المنطقة مدة ٦ ساعات بقوة متزايدة، وأخيراً اجتيحت الكتيبة الألمانية الثانية من الآلاى ١٢٥ والكتيبة ١١ برسالبيرى، كما حوصرت وحداتها الفرعية، وانهالت عليها قذائف العدو من جميع الجهات، ولكنها قاتلت بشراسة.

ولقد قررت، إذا زاد الضغط البريطانى أكثر من اللازم، الانسحاب إلى مواقع «الفوكة» قبل أن تصل المعركة لذروتها.

* هدوء يسبق العاصفة:

فى صباح ٢٩ أكتوبر استأنف العدو هجومه ضد الكتيبة ٢ من الألاى ١٣٥ تحت ستار مدفعية عنيفة، وقد قوبل بهجوم من الفرقة ٩٠ الخفيفة لإنقاذ الكتيبة أو حتى لتخفيف الضغط عليها، ولكن بقايا الكتيبة ٢ تمكنت من التخلص تحت ستار هذا الهجوم وشقت طريقها نحو الوحدات المجاورة، وما بقى منها كان فى عداد القتلى أو الجرحى أو الأسرى، واستمرت الجبهة على هدوئها النسبى فيما عدا نيران المدفعية الشديدة والغارات الجوية التى قصفت مناطقنا الشمالية.

وأصدرت أوامرى بسحب الفرقة ٢١ بانزر من خط الدفاع الرئيسى غرب حقل الألغام، لتصبح حرة الحركة مرة أخرى، وكانت ستحل محلها فرقة تريستا، وكانت هذه التحركات جارية بالفعل أثناء الليل عندما بدأت المدفعية البريطانية قصفها فجأة على المناطق التى تحتلها فرق المشاة فى الشمال، واشتبكت مدفعية الجيش والمدفعية المضادة للطائرات مع مناطق تجمع البريطانيين فورا جنوب حقل الألغام، ولكنها لم تتمكن من تحطيم التجمعات الكثيفة للمشاة البريطانية والتشكيلات المدرعة فى هذا القطاع، وبعد ساعة من التحضير بدأ الأستراليون هجومهم.

وفى صباح اليوم التالى وصلت قوة مؤلفة من ٣٠ دبابة بريطانية ثقيلة إلى الطريق الساحلى وهاجمت جزءاً من الآلاى ٣٦١ المشاة الذى يحتل الخط الثانى، واستطاع العدو فى هذا الوقت شق طريقه إلى الساحل وعزل الآلاى ١٢٥ مشاة.

وعينت الجنرال «فون توما» لقيادة الهجوم المضاد التى ستقوم به وحدات من الفرقة ٢١ بانزر والفرقة ٩٠ الخفيفة، وكان سيسبقه هجمات شديدة من القاذفات المنقضة، علاوة على غلالة من مدفعية هذا القطاع بكامل قوتها.

وبدأنا بالهجوم، ولكننا لم نتمكن من الوصول إلى أهدافنا لأن العدو حطم مدرعاتنا ومشاتنا بقصف مركز من المدفعية ومن الجو، ومع هذا فقد استعدنا

الاتصال بالآلاى ١٢٥ ، وفيما بعد تمكنا من إنقاذ الكتيبتين بهجوم جديد تحت قيادة الجنرال «فون توما» فى اليوم التالى، ونجحت فى طرد العدو نحو الجنوب عبر خط السكة الحديدية.

* النصر أو الموت:

بدأ الهجوم البريطانى الكبير المتوقع ليلة أول نوفمبر، وانهالت القذائف من مئات المدافع البريطانية على خطوط دفاعنا الرئيسية لمدة ثلاث ساعات، وفى الوقت نفسه هاجمتنا القاذفات البريطانية ثم تقدمت حشود المشاة والمدرعات غرباً للهجوم، وتغلغل البريطانيون فى خطوطنا بعد وقت قصير وتقدموا عبرها بالدبابات والسيارات المدرعة نحو الغرب، وبعد قتال عنيف نجحنا فى صدهم، وذلك بإلقاء احتياطى الفرقة ٩٠ الخفيفة فى المعركة، ودعم العدو قواته تدريجيا فى النتوء الذى أنشأه فى خطنا.

وبعد قليل، قامت حشود أخرى باختراق جبهة الفرقة ١٥ بانزر جنوبى غربى التبة ٢٨، وتقدمت المشاة النيوزيلندية، والمدرعات البريطانية واجتاحت آلاى من الفرقة تريستاو وكتيبة من المشاة الألمانية بالرغم من مقاومتها العنيفة، وفى الفجر وصلت إلى نقطة تقع غرب مدق التلغراف.

وفى الساعات الأولى من صباح الثانى من نوفمبر، قام فيلق أفريقيا بهجوم معاكس فأحرز بعض النجاح مع أنه تكبد خسائر جسيمة فى المدرعات، لأن دباباتنا لم تستطع ببساطة مواجهة الدبابات البريطانية الثقيلة، وقد أمكن إقفال الثغرة التى بلغ طولها ٤٠٠٠ ياردة والتى أنشأها العدو فى خطوطنا، ووضعنا الفرق ٢١ و١٥ بانزر بالترتيب من الشمال إلى الجنوب للقضاء على ثغرة العدو، وتلا ذلك قتال عنيف بين الدبابات، وقامت الطائرات والمدفعية البريطانية بقصف قواتنا دون هوادة، وفى منتصف اليوم قامت حوالى مائة طائرة بريطانية بإلقاء حمولتها على قواتى لمدة ساعة.

وفى عصر هذا اليوم، اضطرتنا خطورة الموقف فى الشمال لاتخاذ قرار بإحضار فرقـة آريتى إلى الشمـال على طول مدق التـغلراف، فأصـبحت جـبهتنا الجـنوبية مكشوفة تماماً، وقررت سحب الآلاى ١٢٥ من مواقـعه وإعادة وضعه فى مواجهة الشرق على طول مدق التلغراف.

وفى هذا المساء، علمنا أن العـدو يقوم بحشد مدرعـات النسق الثانى فى نقطة اختراقـهم وهذا يعنى أن دمارنا أصبح وشيـك الوقوع، ولم يعد لدى فيلق أفـريقيا سوى ٣٥ دبابة سليمة.

وكان هدفنا فى يوم ٣ نوفمبر الانسحاب أمـام الضغط البريطانى إلى رقعة ممتدة من نقطة تبعـد حوالى عشـرة أميال إلى شرق الضـبعة، وقـد أمكننا التخلص من القطاعيين الأوسط والجنوبى بدون أن يتنبه العدو لهذا، وقد اضطررنا لسحب أغلب الأسلحة الثقيلة بواسطة الأفراد لعدم توفر العربات مما أدى إلى بطء التحرك فبالرغم من كل هذه الصعاب وصلت الفرقة الجنوبية إلى مواقعها الجديدة فى الصباح.

*** هتلر يأمر بعدم الانسحاب**

إلى الفيلد مارشال روميل:

فى هذا الموقف الذى وجدت نفسك به، يتـرتب عليك ألا تفكر فى شىء سوى الثبات والقذف بكل مدفع وكل رجل فى أتون المعركـة، كما أن أقصى المجهودات تبذل لمساعدتك وعدوك بالرغم من تفوقـه، لابد وأن يكون قد بلغ منتهى جهده، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تنتصر فيها الإرادة القوية على الجيوش الكبرى، أما عن قـواتك فيجـب ألا تمر بها من طريق سوى طريق الـنصر أو الموت «أدولف هتلر».

وقد طلب منى بهـذا الأمر أن أفعل المستحيـل، وأوقفنا تحركـاتنا إلى الغرب، وقمنا بكل ما فى وسعنا لدعم قواتنا المقـاتلة، وكان تأثير الأوامر قويا على القوات،

فعند صدور أى أمر من «الفوهرر»، كانت القوات على استعداد للتضحية بنفسها إلى آخر رجل.

ولم يبدأ العدو فى تعقب الفيلق العاشر الإيطالى، عند تراجعه من القطاع الجنوبى، إلا بعد الظهر بعد أن قضوا طيلة الصباح فى قصف المواقع الخالية.

وقد صدت الهجمات على الجانب الشمالى للفيلق، وتكبد هذا الفيلق خسائر جسيمة، خاصة من سيارات العدو المدرعة التى اخترقت خطوطنا وضربت قوافل إمدادنا، وقد أدى هذا إلى استحالة عملية إمداد قوات الفيلق العاشر ولو بأبسط الاحتياجات، وأخيراً اضطررنا لاستخدام السيارات الإيطالية المدرعة لحماية القوافل.

وفى صباح يوم ٤ ديسمبر، كان فيلق أفريقيا تحت قيادة الجنرال «فون توما» قد أصبح قرب الفرقة ٩٠ الخفيفة تحت قيادة الجنرال «فون سبونيك»، ويحتل خطاً نصف دائرى على جانبى «تل المبصرة»، ويمتد حوالى عشرة أميال جنوب «الخط الحديدى»، حيث كان يتصل بالفليق الإيطالى المدرع، أما المنطقة فى الجنوب فكانت فرقة «تريتنو» تحتلها.

وبعد ضرب عنيف من المدفعية لمدة ساعة، بدأ البريطانيون هجومهم، ولكننا نجحنا فى صد هذا الهجوم الذى ساندته ٢٠٠ دبابة والذى استمر حتى منتصف اليوم، ولم يعد لدى فيلق البانزر سوى ٢٠ دبابة سليمة.

وقد علمت من رئيس أركان حربى «وسيتفال» أن البريطانيين اخترقوا جبهة الفيلق الواحد والعشرين جنوب الفيلق العشرين، وأن وحدات الفيلق الواحدة والعشرين تنسحب غرباً، وكانت المدافع الإيطالية المضادة للدبابات عديمة الجدوى فى مواجهة الدبابات البريطانية الثقيلة وفى المساء، كان الفيلق العشرون الإيطالى قد دمر تماماً بعد أن قاتل بشجاعة كبيرة، وقد دافعت الفرقة ٩٠ الخفيفة عن مواقعها

بكل شجاعة ضد الهجمات البريطانية، ولكن خط فـيلق أفريقيا اخترق بعد مقاومة عنيفة من جـانب وحداته، وعليه فقد وصلنا إلى مـا حاولنا أن نتفاداه،فقـد اخترق العدو المحمل بالكامل جبهتنا واندفع بسرعـة نحو مؤخرتنا، والأوامر العليا لم تعد ذات قيمة.

وكان علينا إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وبعـد أن تشاورت مع العقيد «بايرلاين» الذى تسلم قيادة فيلق أفريقيا مرة ثانية، أصدرت الأمر ببدء الانسحاب على الفور، وقد حاول الجنرال «فون توما» وقف هذا الاختراق البريطانى بواسطة مجموعة قتال قيادة الفيلق، لكنه فشل ووقع فى الأسر بعد تدمير قوته.

* * * *

الفصل الرابع
الانسحاب

فى ليلة الرابع من نوفمبر، انسحب الجيش إلى «الفوكة»، ونظراً لاختراق جبهة فيلق أفريقيا، ولعدم وجود أى احتياطى، فقد أمرت آسفاً بالانسحاب إلى مرسى مطروح تاركاً التشكيلات الألمانية والإيطالية التى مازالت تتحرك وهى على الأقدام.

فى هذه الأثناء علمنا أن دول المحور أرسلت قوات إلى تونس محاولة التهديد من الغرب، ومع هذا فلا يزال هناك احتمال أن يقوم البريطانيون والأمريكيون بهجماتهم ضد جيش البانزر فى هذا الاتجاه.

وفى ليلة ١٠ نوفمبر، أغارت مئات من القاذفات المقاتلة البريطانية على المنطقة المحيطة بكابتزو على ضوء المشاعل، وكبدتنا خسارة جسيمة.

وفى صباح اليوم التالى، شن البريطانيون هجوماً عنيفاً على طول الساحل، كما وجدنا حشوداً من السيارات المدرعة فى الجنوب، فأصدرنا للفرقة ٩٠ الخفيفة أوامر بالانسحاب فى حوالى منتصف اليوم على الطريق المار بالسلوم.

واستمر الانسحاب من «برقة»، واستطعنا قبل السلوم مباشرة إعادة التزود بالبترول لمسافة ١٠٠ و١٦٠ ميلاً، وكان البريطانيون قد أرسلوا فرقة مدرعة حول سيدى عمر من الجنوب فى محاولة لإدراكنا، لذلك انسحبنا إلى المنطقة المحيطة «بطبرق».

وفى منتصف يوم ١٣ ديسمبر، وصلت طلائع جيش البانزر إلى مرسى البريقة رغماً من تعطل المرور فى المضايق بصورة مستمرة.

وبعد أن اجتاح البريطانيون خط الغزالة، أصبح موقفنا صعباً جداً، حيث ساعدتهم الظروف للقيام بحركة التفاف قد تؤدى إلى عزل «برقة»، واستأنفنا إخلاء

برقة بأقصى سرعة. وكان فيلق أفريقيا ما يزال ثابتاً فى موقعه، أما عن رئاسة الإمدادات والتموين الإيطالية، فقد ضربها جنون النسف والتدمير.

وفى فجر يوم ١٨ نوفمبر، اندفعت السيارات المدرعة والدبابات البريطانية مسرعة من «مسوس» لمهاجمة قواتنا ولكننا تمكنا من صدها، ووصلتنا أنباء فى الصباح تقول إن المدمرات التى كانت تحضر لنا البترول قد أعيدت لموانئ قيامها، وبعد قليل وصلتنا أنباء عن وجود قافلة بحرية بريطانية مؤلفة من ١٥ سفينة شحن وعدد مماثل من سفن الحراسة فى شمال شرق درنة متجهة نحو الغرب، واعتقدنا أن هذا يعنى أن العدو ينوى القيام بعملية إنزال فى «بنغازى»، لذلك وبالرغم من سوء حالة البحر أصدرت الأوامر لكل الصنادل المحملة بالدبابات والعتاد بالإبحار إلى عرض البحر، ودمرنا كل العتاد الحربى المتبقى فى «بنغازى»، وغرقت أغلب الصنادل فى الساعات القليلة التالية، فلم نتمكن من إنقاذ إلا كمية بسيطة من مخازننا فى هذا الميناء، وفى «بنغازى» دمرنا منشآت الميناء والأرصفة.

ثم انسحبت مقدمة فيلق أفريقيا بصعوبة شديدة إلى المنطقة المحيطة بالزيتونة، حيث أعيد تجهيزها للدفاع باتجاه الشرق، وقامت كتيبة الاستطلاع ٣٣٠ مراراً بصد محاولة البريطانيين للالتفاف حولنا غرب «مسوس» وفى وقت مبكر من صباح يوم ١٩ ديسمبر، قامت الفرقة ٩٠ الخفيفة بإخلاء بنغازى، وفى اليوم ذاته وصل فيلق أفريقيا كله إلى مواقعه الجديدة وثبتت الفرقة ٩٠ الخفيفة أقدامها فى «أجدابية»، وبذلك تكون عملية إخلاء «برقة» قد تمت.

وكان الانسحاب من الغزالة إلى «أجدابيه» محفوفاً بالمخاطر، لأن البريطانيين يستطيعون دائماً عزلنا لو تقدموا عبر المجيلى، ومع هذا فقد نجحنا بالانسحاب، ولم نخسر خلال انسحابنا من «طبرق» إلى «مرسى البريقة» رجلاً واحداً.

فى هذه الأثناء، وصلت فرقـة الشباب الفاشستى، ويستوبا، وسبـيزيا وأخذت مـواقعـهـا فى خط «مرسى البـريقـة»، وبدأت فى إنشـائه تحت إشراف المارشـال «باستيكو»، كما توزعت وراء الجبهة وحدات من فرقة سنتورو المدرعة التى وصلت أخيـراً، أما قـوات المظلات والفـرقة ١٦٤ الخـفيـفة ومـا تبقى من الفليق الـواحد والعشرين الإيطالى فقد أعيد تجميعها وتنظيمها بالقرب من «مرسى البريقة».

إن هذا الفشل فى القيـادة والأخطاء الاستراتيجية والأحـقاد والبحث الدائم عن كبش الفداء، كل ذلك سارع فى إيصـالنا إلى ذروة المأساة، والذى دفع الثمن كان الجندى العادى الألمانى والإيطالى.

* * * *

الباب الخامس

النهاية فى أفريقيا

الفصل الأول
المشاورات مع أوروبا

* قاذفات الطوربيد والغواصات البريطانية تتصيد ناقلات البترول:

فى الأسابيع التالية قاسينا الأمرين لعدم تفهم سلطاتنا العليا لمتاعبنا، وكان ذلك أشد مما لاقيناه من عنف القوات البريطانية ضدنا، ولم يكن أمامنا سوى حل واحد هو عدم الاشتباك فى أى معركة مهما كانت، فأى دفاع ولو كان ناجحاً ضد هجوم بريطانى من الجنب كان ميئوساً منه، مهما كانت رغبة سادتنا فيه.

ولم يتبق لدينا إلا ثلث القوة المقاتلة التى كانت لدينا قبل معركة العلمين، ولم يكن لدينا أيضاً مستودعات للعتاد والمواد، والذى تبقى لدينا لا يكاد يكفينا، ولم يعد يصل إلى طرابلس إلا كميات ضئيلة للغاية، وكانت ناقلات البترول تغرق الواحدة بعد الأخرى من طوربيدات القاذفات البريطانية والغواصات.

ووردت رسالة من «الفوهور»، بوجوب الدفاع عن خط «مرسى البريقة» بأى ثمن، ووعدنا بتعزيزات كبيرة من الدبابات والمدفعية المضادة للدبابات والطائرات، ولكننا كنا نعلم من خلال تجاربنا الطويلة فى هذا الصدد قيمة تلك الوعود، وقد تم إلحاقنا بقيادة المارشال «باستيكو»، تغطية لنواخى رسمية بحتة.

* خطة انسحاب روميل:

نظراً للظروف السائدة، كنا لا نأمل فى الصمود فى وجه أى هجوم بريطانى قوى فى أى مكان فى طرابلس، لذلك كان من الضرورى التفكير منذ البداية فى الجلاء عن طرابلس والقيام بانسحاب أخير إلى «قابس»، تقع فى منتصف الطريق بين طرابلس وتونس، والصمود هناك نهائياً، حيث يمكن احتلال خط يحده من

الجنوب سبخة شط الجريد. وكان هناك عاملان مهمان فى تنفيذ هذا الانسحاب من «مرسى البريقة» إلى تونس، الأول هو كسب أكبر قدر ممكن من الوقت، والثانى تنفيذ العملية بأقل خسارة ممكنه فى الرجال والسلاح، لذلك كان ضرورياً أن تتقدم الفرق الإيطالية إلى مواقعها الجديدة البعيدة إلى الغرب قبل أن يبدأ الهجوم البريطانى، وترك القوات الميكانيكية فى «مرسى البريقة» لتأخر من تقدم البريطانيين ولتلغيم الطرق واستغلال كل فرصة مواتية لإلحاق الخسائر بمقدمة العدو.

وكان الانسحاب إلى تونس يجب أن يتم على مراحل لإجبار العدو على القيام بأكبر عدد ممكن من عمليات الاقتراب التى يستلزمها وقت أطول بكثير من التقدم العادى، وحددت التوقف الأول فى البوايرات، والثانى فى المنطقة الممتدة بين «طرهونة والحمص»، ولم يكن فى نيتنا إطالة المعركة ولو فى هذه الأماكن.

وقد رسمنا الخطة على أساس سحب مشاتنا منها قبل تعرضها للهجوم، وفى الوقت نفسه تقوم التشكيلات الميكانيكية بالاشتباك مع البريطانيين من مسافة بعيدة وتعطل تقدمهم ، إلى أن تبلغ موقع «قابس» فى النهاية، وهناك تصمد وتثبت؛ لأن الموقع لا يمكن الالتفاف حوله من الجنوب مثله فى ذلك مثل العلمين.

وفى «قابس» نلقى بعبء المعركة على عاتق المشاة غير المحملة، لأن الموقع لا يناسب الهجوم بالقوات المكيانيكية، ولا يمكن اختراقه إلا بحشد هائل للإمكانيات المادية، ولذا سيحتاج «مونتجمرى» لأشهر عديدة لينقل احتياجاته عبر ليبيا كلها حتى يستطيع الهجوم على «وادى العكاريت» بنجاح.

ونستطيع خلال تلك الأشهر، إعادة تزويد قواتنا بالعتاد الذى يرسل إلى تونس خلال فترة الانسحاب، وبالتعاون مع جيش البانزر الخامس، الذى نزل فى هذه الأثناء فى تونس، يمكن أن نمهد الطريق أمام ضربة حاسمة نقوم بها.

ولكن الخطورة كانت تكمن فى الجبهة الغربية المكشوفة على سعتها فى تونس، لأنها تقدم للبريطانيين والأمريكيين فرصة عظيمة للهجوم.

لذلك كان من الضرورى أن نسبقهم بالمبادرة، وأن نشن هجوماً مفاجئاً بجميع قواتنا المكيانيكية لندمر قسماً من التشكيلات الإنجليزية والأمريكية، ثم ندفع بالباقى إلى الغرب داخل الجزائر، وفى الوقت نفسه لن يتمكن «مونتجمرى» من أن يفعل شيئاً ضد خط «قابس» دون كميات كبيرة من ذخيرة المدفعية.

وبعد أن نهزم القوات الحليفة، الإنجليزية والأمريكية، فى تونس ونحطم من قوتها الضاربة، يلزمنا بعد ذلك القيام بإعادة تنظيم قواتنا بأسرع ما يمكن لتستطيع القيام بمهاجمة «مونتجمرى» وصده للوراء نحو الشرق وتعطيل استعداداته للهجوم، ومع هذا ، ففى النهاية لن نستطيع الحفاظ على ليبيا وتونس، فالحرب فى أفريقيا ستقررها معركة المحيط الأطلنطى.

وعلينا أن نضع نصب أعيننا، أن هدفنا فى تونس سيكون كسب أكبر قدر ممكن من الوقت للإفلات بأكبر عدد من محاربينا العظام إلى أوروبا.

وإذا تعرضنا لهجوم رئيسى للحلفاء لحسم الحرب فى هذه المنطقة، فسنضطر لتضييق جبهتنا مع سحب أعداد متزايدة من القوات بواسطة طائرات النقل والصنادل والسفن الحربية.

وعندما تنتهى القوات الحليفة من استيلائها على تونس، فلن يجدوا شيئا، أو على أكثر تقدير سيأخذون بعض الأسرى، وبذلك سنحرمهم من جنى ثمار نصرهم كما فعلوا فى «دنكيرك».

* رومل يشرح الموقف ويحدد مطالبه:

وناقشت هذه الخطة مع قيادتنا العليا خلال الأسابيع التالية، وكنت آمل أن يقرروا اتباعها ، ولكنهم فى نهاية الأمر لم يفعلوا شيئاً لتنفيذها.

وفى يوم ٢٢ نوفمبر، قابلت المارشال «باستيكو» حيث شرحت له الخطة السابقة، وأوضحت أن اللحظة قد حانت لكى نعرف أن فكرة الصمود فى خط «مرسى

البريقة» حتى النهاية تعنى دمار جيشنا بالتأكيد، وأخيراً وعدنا بعرض وجهة نظرنا بأحسن ما يمكنه للسلطات العليا.

كان الموقف الإدارى لا يزال خطيراً للغاية، فبدلاً من أن يصلنا ٤٠٠ طن يومياً، استطعنا نقل ٥٠ طناً فقط إلى الجبهة عن طريق البر.

وفى ٢٦ نوفمبر، طالب «كسلرينج» بتخصيص قوات للدفاع عن مدينة طرابلس وفى نفس الوقت، عزم الدوتشى على الصمود فى خط «مرسى البريقة»، وفوق هذا طالبنا بشن هجوم على البريطانيين فى أقرب فرصة ممكنة ثم وعدنا بمساندة قوية من السلاح الجوى بعد تدعيمه بقوة، ولكن قيمة هذه المساندة كانت معروفة لنا جيداً من تجاربنا السابقة.

وقررت السفر إلى «الفوهور»، وعزمت على أن أطلب منه شخصياً اتخاذ قرار استراتيجى بالموافقة على اعتبار التخلى عن شمال أفريقيا، السياسة الحكيمة للمدى الطويل، وكنت أنوى أن أوضح له وجهات النظر الاستراتيجية والتكتيكية لجيش البانزر كما حددتها من قبل، وأن أجعله يوافق عليها.

وتحركنا فى صباح يوم ٢٨ نوفمبر، فوصلنا «راستنبرج» بعد الظهر، وما إن دخلت على «الفوهور»، حتى شعرت أن الجو متوتر للغاية فوضحت له كل الصعاب التى يواجهها الجيش فى المعركة والانسحاب، وقال لى أن هذا معروف وإن تنفيذ العملية كان سليماً وممتازاً.

وبعد ذلك وصلت لغرضى، الذى جئت من أجله، دون مقدمات، وكان مجرد ذكرى للناحية الاستراتيجية بمثابة شرارة فى برميل من البارود، وفقد «الفوهور» وعيه موجهاً لنا سيلاً من الاتهامات غير الصحيحة، واحتججت بشدة على تلك الاتهامات، ولكن لم تكن هناك أية محاولة للنقاش، وبدأت أدرك أن «أدولف هتلر» لم يكن مستعداً لتقدير الموقف على حقيقته بكل بساطة.

وكان على مارشال الرايخ «جورنج»، أن يرافقنى إلى إيطاليا، وسيمنحه سلطات استثنائية للتفاوض مع الإيطاليين، وسافرت أنا «وجورنج» فى القطار حتى «غومبينين»، حيث انتقلنا منها إلى قطار «جورنج» الخاص لاستكمال الرحلة إلى روما. وحتى لا أضيع الفرصة بأكملها، أصدرت تعليماتى لمساعدى الملازم برندت بأن تلقى خطة قابس القبول لدى «جورنج»، وقد نجح «برندت» فى ذلك.

ولكن النجاح لم يعمر طويلاً، لأننا حين وصلنا إلى روما هاجم «كسلرينج» الخطة، لأنها ستزيد من التهديد الجوى فوق مناطقنا فى تونس، وأوضحت أن الأمر لم يعد بأيدينا لأننا سنضطر للتراجع إن آجلاً أو عاجلاً، ويجب علينا أن نستغل حشد القوى فى وقت يناسبنا، ولكن مارشال الرايخ اعتبر أن خطورة المثلث الجوى الممتد بين مالطة والجزائر وطرابلس تفوق مزايا الخطة، لذلك فالانسحاب إلى قابس كان خارجاً عن الموضوع ويجب ألا نفكر فيه أكثر من ذلك، وأدركت أن المناقشات عقيمة، فبقيت على صمتى.

وكنت فى هذه الأثناء، قد أصدرت الأوامر إلى جيشى، بأنه لو هاجم البريطانيون خط «مرسى البريقة» عليهم الدفاع عنه حتى آخر رجل وذلك حسب أوامر «الفوهور»، ونجحت بالفعل فى الحصول على الإذن من الدوتشى بالشروع فى بناء خط البويرات، واتخاذ الخطوات اللازمة لتحريك المشاة الإيطالية غير المحملة إلى وراء هذه المواقع فى الوقت المناسب، على أن تنسحب القوات الميكانيكية هى الأخرى فى حالة أى هجوم بريطانى. وأثناء عودتى لإفريقيا بطريق الجو، أدركت أنه يجب الاعتماد على مواردنا المحلية فقط، وأننا سنحتاج بكل مهاراتنا لإنقاذ الجيش من الدمار نتيجة للأوامر المجنونة.

* * * *

الفصل الثانى
الانسحاب إلى تونس

* مونتجمرى يقوم بهجوم عام:

وفى ليلة ١١ ديسمبر، بدأ البريطانيون هجومهم بضرب غلالة شديدة من مدفعيتهم ضد مواقع عدة لنا ثم اندفعوا شمالاً على الطريق الساحلى، وبعد قليل تمكنت قواتى من الاشتباك مع مجموعة استطلاع بريطانية كانت تستكشف الطريق بالقرب من «مردومة»، وبذلك وضحت لنا أخيراً نوايا «مونتجمرى»، وهاجم البريطانيون مراراً نقطتنا القوية فى الشمال وبعدها لم يعد هناك أى شك فى أن هجوم العدو العام قد بدأ، وكنا قد أقمنا انسحاب القوات الألمانية والإيطالية المترجلة، لأنه كان من الضرورى تفادى اشتباك قواتنا مع العدو فى صراع متلاحم فى «مرسى البريقة»، لذلك أمرت بالانسحاب فى المساء.

* عبور وادى سيرته للمرة الأخيرة:

ومرة أخرى تحركت قواتى إلى الغرب عبر مجاهل «وادى سيرته» القفراء، وقد جرى الانسحاب حسب الخطة خلال الليل، ولم يلحظ البريطانيون شيئاً.

وفى الصباح، شنت قوات معادية متفرقة هجوماً على مجموعة قتال آريتى الموجودة جنوب غرب العقيلة، وتلا ذلك قتال مرير ضد ٨٠ دبابة بريطانية دام حوالى عشر ساعات، وقاتل الإيطاليون ببراعة فائقة، وأخيراً فى المساء أمكن طرد البريطانيين للوراء بهجوم مضاد بواسطة آلاى سنتورو المدرع، وتركوا وراءهم ٣٢ دبابة وسيارتين مدرعتين، احترقت كلها فى المعركة، وبذلك استطعنا إفساد محاولة البريطانيين فى عزل الفرقة ٩٠ الخفيفة، وقد استأنفنا الانسحاب فى هذه الليلة، وفى الصباح التالى، قامت الفرقة ٢١ بانزر باحتلال مضيق «المقطع» للعمل كحرس

للمؤخرة، وبعد ساعة حركت رئاسة الجيش للخلف لنقطة تبعد حوالى ثلاثين ميلاً شرقى «النوفيلية»، وتلقيت عند العصر أنباء من السلاح الجوى الألمانى تفيد بأن البريطانيين وصلوا لنقطة تبعد ٢٠ ميلاً جنوبى شرقى «مردومة»، وفى هذه الأثناء كانت كتيبة الاستطلاع المكلفة بستر قطاعنا الجنوبى مضطرة للانسحاب ببطء نحو «مردومة» لتفوق قوات العدو، وفى حوالى منتصف اليوم طارت فوقنا مجموعة من القاذفات البريطانية حيث ضربت مقر قيادتى.

وأثناء العصر تحركت الفرقة بانزر ومعها مجموعة قتال من الفرقة ٢١ بانزر إلى المنطقة أمام مردومة للإبقاء على الطريق الساحلى مفتوحاً للقوة الرئيسية للفرقة ٢١ بانزر التى كانت ما تزال مشتبكة فى قتال عنيف فى المقطع، ولكى أتفادى اشتباك القوات الموجودة فى المقطع مع العدو لدرجة يصعب معها التخلص من المعركة بعد ذلك، أصدرت أوامرى فى نهاية الأمر بالانسحاب إلى «آركودى فيلليني».

وفى المساء، اخترق البريطانيون الستارة المكونة من الكتيبة ٣ استطلاع بالقرب من «مردومة»، وتحركت قوة كبيرة نحو الغرب إلى «النوفيلية» لكى تسبقنا، وقررت عندئذ توزيع معظم القوات الموجودة حولى فى المنطقة المحيطة «بالنوفيلية»، وتحرك فليق أفريقيا إلى مواقعه الجديدة فى الليل، وظلت الفرقة ٩٠ الخفيفة كحرس للمؤخرة فى وادى «الفارغ»، وعند حلول الفجر كانت الفرقة ٢١ بانزر تتقدم إلى «النوفيلية»، بينما كانت الفرقة ١٥ بانزر لا تزال صامدة فى «مردومة» لتأخر وصول الوقود.

وفى الساعات الأولى من يوم ١٦ ديسمبر، نجحت المشاة البريطانية فى الاستيلاء على تبة حاكمة فى مواجهة خط مؤخرة الفرقة ٩٠ الخفيفة، وقد اضطررنا لسحبها هى الأخرى إلى «النوفيلية».

وقامت القوات البريطانية فى الجنوب بمحاولة أخرى لعزلنا، ولم يعد بترولنا يكفى إلا للوصول بنا إلى «النوفيلية»، وحيث أننا لم نعد نتوقع أى إمدادات كبيرة، وجدت نفسى مضطراً لمواجهة احتمال الصمود فى منطقة «النوفيلية» ليوم آخر، رغماً من تعرضنا للتطويق والعزل.

ولكى أمنع العدو من القيام بانطلاق سريع على الطريق الساحلى وقطع قواتى من الخلف، أصدرت الأوامر لتشكيلاتنا بالانتشار بعمق على طول الطريق نحو الغرب، وهكذا كانت ستارة فيلق أفريقيا الموجودة حول «النوفيلية» ممتدة نحو الغرب على طول الطريق، وهى تتشكل من الكتيبة ٣٣ و٥٨٠ استطلاع، آلاى مشاة البانزر «أفريقيا»، الفرقة ٩٠ الخفيفة بالترتيب المذكور، أما منطقة «سيرته» فتحتلها فرقة الشبيبة الفاشستية ومجموعة قتال آرتيى، وفى الليل تحركت قواتنا إلى المناطق المحددة لها، وفى الصباح كانت فى مواقعها، ولكن بدون وقود.

وفى صباح ١٧ ديسمبر، هاجمنا البريطانيون عند نقطة تبعد من ٦ إلى ١٠ أميال جنوبى غربى «النوفيلية»، ونشبت معركة عنيفة مع وحدات فيلق أفريقيا، والكتيبة ٣٣ استطلاع التى كانت ثابتة فى أماكنها، واقتربت المعركة بالتدريج من الطريق الساحلى.

وأخيراً بعد وصول عدة أطنان من الوقود، قمنا بهجوم مضاد بواسطة عناصر من فليق أفريقيا ومعها الكتيبة ٣٣ استطلاع، ودمرت ٢٠ دبابة فى هذا القتال العنيف، وهكذا تمكنا من الاحتفاظ بالطريق مفتوحاً، وما أن وصل مرتبنا من الوقود حتى تحركت الوحدات المهددة بالتطويق بسرعة على الطريق نحو الغرب.

وقد استمرت القوات الميكانيكية فى الصمود فى مواقعها فى منطقة «سيرته»، بينما قمنا بمجهودات ضخمة لإقامة موقع البويرات، وبثثنا كل الألغام التى كانت لدينا، وفى الحال قرر الدوتشى احتلال جبهة ثابتة فى البويرات، كنا نرغب فى أن نكون مستعدين، وكان من الأفضل بالطبع أن نستخدم كل مواردنا فى بناء خط «طرهونة - هومز»، حيث كان من الممكن استخدام القوات الإيطالية غير المحملة بطريقة أفضل.

وفى وقت قصير أصبحت جبهة البويرات على درجة من القوة تسمح لها بالصمود فى وجه أى محاولة بريطانية لاختراقها إذا اختار العدو مواجهتنا بالمواجهة طبعاً.

* فرصة البويرات:

لقد دهشنا لتوقف العدو فى البويرات، فقد أعطانا فرصة أخرى قمنا باستغلالها على الفور، محاولين إقناع القوم بسحب القوات البريطانية إلى طرهونة، وذلك للإفلات من التطويق من جهة الجنوب وإخراج الإيطاليين غير المحملين، كما حدث من قبل فى «مرسى البريقة»، ولا تزال أمامنا فسحة من الوقت.

وبعد عدة أيام، وصل أمر من المارشال «باستيكو» بوجوب البدء فى نقل القوات الإيطالية نحو خط «طرهونة - هرمز»، وهذا الأمر كان مقيداً، لأنه كلفنا بإيقاف البريطانيين أمام دفاعات طرابلس لمدة ستة أسابيع على الأقل.

وفى ذلك الوقت، حرك البريطانيون معظم قواتهم لحشدها للهجوم نحو الجنوب، فزاد من نشاط القاذفات البريطانية مرة أخرى، وهاجمت منشآت إمدادنا ليلاً ونهاراً، وقد وصل للجبهة فى الفترة ما بين الأول والثامن من يناير، ثلاثون طناً من الذخيرة بينما استخدمنا فى نفس الفترة خمسين طناً، وفى الفترة نفسها استخدمنا ١٩٠٠ طن مقابل ٨٠٠ وصلتنا فى نفس هذه الفترة، وفى حوالى ١٠ يناير، زادت حدة التهديد بهجوم أمريكى إنجليزى من تونس ضد عنق الزجاجة عند قابس، فمثل هذه العملية كانت ستعزل الجيشين عن بعضهما.

وحيث أن هذا المضيق كان يعتبر بمثابة شريان الحياة بالنسبة لنا، فقد اقترحت إرسال الفرقة ٢١ بانزر إلى هناك، على أن تعتمد إدارياً على تونس، وتحركت الفرقة نحو الغرب فى صباح ١٣ يناير.

ودفع البريطانيون بمدفعيتهم للأمام ليلة ١٤ يناير، وجاءت أولى الهجمات عند فجر يوم ١٥ يناير فى المنطقة الجنوبية، وشنتها الفرقة السابعة المدرعة وعناصر من الفرقة الثانية النيوزيلندية، وفى بداية الأمر كان الهجوم على جنوب «فورتينو» بحوالى ١٤٠ دبابة و ١٠٠ سيارة مدرعة، ثم تحول الهجوم مباشرة إلى الفرقة ١٥

بانزر، ولكن هناك تمكنا من إيقافهم، وبعـد إحضار المدفعية، استـأنفوا الهجوم فى عصـر نفس اليوم، حيث دارت مـعركة عنيـفة بين المدرعـات وأمكننا فيهـا إحراز النصر، وأصدرت أوامـرى بالانسحاب إلى الغرب، وتحركـت كل القوات الإيطالية والألمانية أثناء الليل.

* النهاية فى طرابلس:

وفى اليوم التالى ١٦ يناير، تعـقبنا البريطانيون عن كثب، حـيث قامت بعد قليل قوة بريطانية كبيرة تقدر بحوالى مـائة عربة قتال بهجوم على ثلاثين عربة التى تتكون منها الفرقة ١٥ بانزر، وبما أن الفرقة كانت مكشوفة الجناحين من الشمال والجنوب، فكان موقفها خطيراً.

واشتبك البـريطانيون فى المعركة بقـتال عنيف عبر نيـران المدفعية، وقـد خسروا عشرين دبابة، ثم قامت الفرقة الخفيفة برد الفرقة ٥١ هايلاندرز بعد اختراقها لستارة الحرس الخلفى بالفعل، ونظراً للعـجز فى الوقود، لم نستطع الاستمـرار فى القتال فى أرض مكشوفة أكثـر من ذلك، فاضطررنا لتجنب الاشتبـاك فى أى معركة عن قرب لا يمكننا الخلاص منها بسهولة.

وفى ١٧ يناير، بدأ القتال ضد حرس مؤخرتنا بالقرب من «بنى الوليد»، وقد قام القسم الأكبر من الفرقة ٧ المدرعة بمحاولة لتطويق وعزل وحداتنا، وعليه فقد قامت الفرقة ٩٠ الخفيفة هى الأخرى بالانسحاب قتالاً.

ولم يكن باستطاعـتنا الصمود لوقت طويل فى تلك الجبـهة ذات الجنب الجنوبى المكشوف دون أن نخاطر بخـسارة قسم كبير من القـوات، لذلك أصدرت أوامرى بالبدء فى الانسحاب إلى خط «طرهونة - هومز».

وفى ١٩ يناير، اندفعت حوالى ٢٠٠ دبابة بريطانية على الطريق إلى طرهونة محاولة اجتياح قواتى بهجوم صاعق، ولكننا تمكنا من إيقافهم بنيران مدفعيتنا بعد إصابتها بخسائر جسيمة.

وفى صباح اليوم نفسه، نقلت مقر قيادتى إلى مزرعة على تبة تقع شمالى غربى «طرهونة»، وعند وصولى لمقر قيادة الفرقة ١٥ بانزر اكتشفت أن البريطانيين على وشك الهجوم على «باريان» بفرقة مدرعة كاملة، وهذه العملية بالذات كانت خطيرة للغاية، ولذلك ألقيت بكل مدفعيتى لمواجهتها، وقد نتج عن ذلك ضرورة إعادة تجميع القوى، ونشرت على الطريق ما بين «طرهونة وكاسل بينتو» الفرقة ١٦٤ ولواء من المظلات وفرقة الاستطلاع على شكل ستارة نحو الغرب لصد الهجوم البريطانى. وفى وقت قصير جاء العدو بمدفعيته فانهالت القنابل على مواقعنا بالقرب من «طرهونة».

وفى المساء، كان القول قد وصل لنقطة تبعد حوالى ٣٠ ميلاً عن «باريان» وعبر بالفعل طريق «طرهونة - باريان»، مما اضطرنى لأن أقرر التخلى عن «طرهونة» فوراً وأحشد قوة ضاربة تكفى لمواجهة العدو المتقدم بسرعة نحو جنبنا المكشوف، وكان من الضرورى الإسراع بإنسحاب الإيطاليين الذين كانوا ما يزالون فى منطقة «هرمز».

وفى ليلة ١٩ يناير، تمت كل التحركات حسب الخطة.

وفى الساعات الأولى من الصباح، أعلنت انفجارات هائلة من جهة طرابلس عن تدمير منشآت المرفأ، كما تم تدمير المخازن وبذلك لم يعد هناك أى أمل فى احتفاظنا به.

وفى صباح يوم ٢١ يناير، شن العدو هجوماً عنيفاً فى كل مناطق الجبهة، وقامت قوات بريطانية بشق طريقها عبر الوديان ما بين «باريان وطرهونة»، وأصبحنا مهددين بعزل حرس مؤخرة الفرقة ١٦٤ غربى «طرهونة»، فأرسلت مجموعة قتال تحت قيادة الجنرال «فرانتز» لمواجهة هذا التحرك.

وفى هذه الأثناء، قامت قـوات بريطانية أخرى بمحـاولة الاستيـلاء على المضيق الذى كانت تحتله قوات الفرقة ١٦٤ غـربى «طرهونة»، ولكنها لم تتمكن من تحقيق ذلك، واضطررت أن آمـر بإنسحاب المـشاة غيـر المحملة من الخط الدفـاعى عند طرابلس ونقلها إلى منطقة «زاروه».

واستـمر التحـرك حتى يوم ٢٢ يناير، وفى هذا الوقت كـان العدو قد أحـضر حوالى ستة آلاف مركبة إلى «طرهونة»، وكنا نتـوقع هجومه يوم ٢٣ يناير وعليه فقد وجدت نفسى مرغماً لإصدار الأمر بإخلاء طرابلس بعد تدمير كل منشآتها.

وفى الليل تمت كل التحركات المحدودة تحت ضغط عنيف وهجمات لا تتوقف من العدو ومن القاذفات المقاتلة.

* سقوط طرابلس:

ويعلق ليدل هارت بقوله:

دخل الجيش الثامن طرابلس بعد هجومه على العلمين بثلاثة أشهر تماماً بعد أن تقدم لمسافة ١٤٠٠ ميل.

ويتابع روملى مذكراته:

بعـد سقوط طـرابلس، توقف البريطانيـون لفتـرة وجيـزة لإعادة تنظيم قـواتهم وإحضـار الإمدادات، وهذا ناسـبنا للغاية فـأعطانا على الأقل الوقت اللازم لنقل المؤن المخزونة فى منطقة «زواره».

* القيادة العليا الإيطالية تعفى روملى من مهمته:

وفى ٢٦ يناير، نقلنا مقر قيادة الجيش إلى المنطقة الواقعة غربى «بن جردان»، عبر الحدود التونسية.

وفى منتصف يوم ٢٦ يناير، تلقيت إشارة من القـيادة العليا الإيطالية تعلمنى بأنه نظراً لسـوء حالتى الصـحـية، فـإننى سأعـفى من القـيادة عندمـا نصل إلى خط

«ماريث»، وتركوا تحديد التاريخ لى شخصيـاً، وقرروا جعل القيادة الإيطالية للجيش تحت إشراف الجنرال «ميسى»، قائد الفـيلق الإيطالى فى روسيا، فطلبت من القيادة الإيطالية إرسـال الجنرال «ميسى» إلى أفـريقيا بأسـرع ما يمكن حتى يمكنه اسـتلام القيادة والتعرف عليها.

وقام البريطانيون فيما بعد بحركة التـفاف بديعة انتهت بفقدان قيمة خط «ماريث» تمامـا، بالرغم من أن «بايرلاين» نجح أيضـاً فى الانسـحاب بقـواته الميكانيكيـة إلى العكاريت فى حـالة سليمة نـسبيـاً، وكان من الأفـضل لو أننا ركزنا جهـودنا على تحصيناتنا فى قابس أولاً وأخيراً، فى ٣١ يناير سلم الماريشـال «باستيكو» قيادته وعاد إلى إيطاليا.

وفى أول فبراير، بدأ البريطانـيون بالفعل تحريك قوات كبيـرة عبر ميناء طرابلس مستخـدمين ناقلات خفيفـة عديدة، كما أن طائراتنا أعلمتنا بوجود عـدد كبير من السفن الكبـيرة، وبالطبع لم تكن الطائرات فى حـالة تسمح لها بالتـدخل فى عمل ضد العدو، وبدأ سير الاقتراب الـبريطانى من الشرق وأصبح علينا أن نتوقع تحرك الجيش الثامن ضدنا بكل قواته الرئيسية.

وفى هذا الوقت وصل «ميسى» إلى «أفريقـيا»، وقررت ألا أسلم الجيش إليه إلا حين أشعر فى المستقبل بأن موقفه سليم لفترة زمنية.

وخلال شهر يناير، تمكن عدد من جنود مدفعـيتنا المضادة للطائرات من مفاجأة قول بريطانى تابع لمجموعة الصحراء بعيـدة المدى، فأسروا المقدم «دافيد سترلنج»، وكان أمهر وأقدر قـائد لمجموعة الصحراء التى سببت لنـا دماراً أكثر من أى وحدة أخرى مساوية لها فى الحجم.

وفى ١٥ فـبراير ١٩٤٣، انسـحبت أخيـراً مؤخـرة الفرقـة ١٥ بانزر إلى الخط الأمامى لموقع «ماريث»، وانتهى بذلك الانسحاب العظيم من العلمين إلى تونس.

الفصل الثالث
استراتيجية رومل

بعـد أن تقدمنا إلى خط «مـاريث»، نستطيع أن نعـمل مرة أخـرى على أسس استراتيـجية جديدة، فباسـتغلالنا للخطوط الداخلية كنا نستطيع حـشد أغلب قواتنا الميكانيكيـة للهجـوم على البريـطانيين والأمـريكيين غـرب تونس لإجبـارهم على الانسحاب، وكنا ننوى القـضاء أولاً على التهديد بفضل الجيـشين المحوريين وذلك بتحطيم مناطق تجمع العدو، وبعد الانتهـاء من هذا كانت قواتنا الضاربة ستعود إلى «ماريث» للهجوم على «مـونتجمرى»، وكنا ننوى قبل هجومنا بوقت قـصير التخلى عن مناطق مدينتين، وتبعد ٢٠ ميلاً شرق ماريث وبن جردان للبريطانيين، بغرض منعهم من مقاومتنا فى مواقع معدة.

وكتمهيد لهذه العمليـات قامت الفرقة ٢١ بانزر بالهجوم على «ممر فايد» فى أول فبراير لاحتـلاله كنقطة لابتداء هجومنا على سيدى بوزيد وسبـيطلا، وقد اجتاحت الفرقة الممر فى هجوم بالجنب وأسرت ألف جندى.

وكان الخط الاستراتيجى لرأس الجسر المحورى فى تونس هو هجوم أمريكى من قفصة؛ لأنه سيؤدى إلى عزل الجيشـين المحورين عن بعضهما، ونتيجة لذلك فكان يجب أولاً القضـاء على مناطق التجـمع الأمريكية فى جنوبـى غربى تونس، لذلك أصدرت الأوامـر للفرقـة ٢١ بانزر ومعـها عناصـر من الفرقـة ١٧ بانزر بمهاجـمة الأمريكيـين فى سيـدى بوزيد وسبـيطلا لتحطيم حـشودهم والقضـاء عليهـا بقدر الإمكان، وفى الوقت ذاته تقوم مـجموعة قـتال تابعة لجيـشى بالقضاء على الحـامية الأمريكية فى قفصة.

وفى ١٤ فبراير، تحـركت الفرقة ٢١ بانزر من رأس الجسـر الذى احتلته فى ممر فايد فى هجوم ملتف حول الفرقة الثانيـة الأمريكية المدرعة، التى كانت تحتل منطقة سيدى بوزيـد، وبعد تثبيت تشكيـلات العدو بالمواجهة، قـامت مجموعـة مدرعة بالتقدم حـول جنب الأمريكيين فى القطاع الشمـالى، بينما قامت مجمـوعة أخرى بالاندفاع إلى سيدى بوزيد لمهاجمـتها من الخلف، وبذلك وضعنا العدو فى موقف صعب للغاية من الناحية التكتيكية.

* روممل يدمر المدرعات الأمريكية:

وقد تبع ذلك مـعركة عنيفـة بين المدرعات، تمكن فيهـا رجالى المحنكون الذين خاضوا غمار مـئات المعارك الصحراوية من تدمير الأمـريكيين القليلى الخبرة، وفى وقت قصير كـان عدد كبير من الدبابات الأمريكية من طراز جـرانت ولى وشيرمان تحترق فى ميدان المعركة، وهرب ما تبقى منها نحو الغرب.

فى صباح السابع عشر من فبراير، احتلت الفـرقة ٢١ بانزر مواقعها فى مواجهة سبيطلا وأمكن التغلب على مقاومة العدو عند حلول المساء، وفى هذه الأيام القليلة خسرت الفـرقة الثانية الأمـريكية المدرعة ١٥٠ دبابة وأسرنا ١٦٠٠ مـقاتل، وكانت خسائر الفرقة ٢١ بانزر طفيفة للغاية.

وبعد نجاح الفرقة ٢١ بانزر فى «سبيطلا»، قـام الأمريكيون بسحب حاميتهم من قفصـة ليل ١٤ فبراير، وبذلك اسـتطاعت فئات من فيلق أفـريقيا وسنتـورا احتلال قفصة بعد الظهر من يوم ١٥ فبراير بدون قتال.

وقد قام الأمـريكيون بنسف ذخيرتهم فى القلعـة دون أى إنذار للسكان المدنيين المقيمين بجوارها مما أدى لانهيار ٣٠ منزلاً فوق سكانها.

وفى هذه الأثناء، كانـت فرقة قـتال رئاستى تتـحرك إلى الجنوب الغـربى مزودة بتعليمات للوصول إلى مطلاوى، ونسف نفق السكة الحديدية هناك، وفى مطلاوى استولت على كمية ضخمة من البترول وعدد من عربات السكة الحديدية.

وقد استولى «ليبنشتاين» الذى أرسلته مع فرقة قتال فيلق أفريقيا إلى فريانة - ٤٠ ميلاً شمالى غربى «قفصــة» على هذا المركز الهام فى ١٧ فبراير بعد أن تغلب على المقاومة الأمـريكية العنيفة هناك، ثم انطلقت الفـرقة بجرأة نحو تلبيـته، حيث اضطر العدو لإضرام النار فى حوالى ٣٠ طائرة كانت موجودة فى المطار.

وتحركت فرقة قتال فيلق أفريقيا على الفور إلى جنوف ممر قصرين، وتلقت الفرقة ٢١ بانزر أوامر بالاندفاع فى وادى مجاور نحو «سبيبة»، وحركنا وحدات من الفرقة ١٠ بانزر فى أعقابها نحـو «سبيطلا»، ومنها كان يمكن دفعها للاشـتراك مع الفرقة ٢١ بانزر فى «سبيـبة» أو مساندة مـجموعة فيلق أفـريقيا فى قصريـن تبعاً لتطورات الموقف.

وفى هذه الأثناء قام الحلفاء بتحريك كل القوات التى إستطاعوا جمعها فى شمال تونس إلى الجبهة المهددة فى الجنوب الغربى.

وبينما كـانت مجموعـة فيلق أفريقـيا تنتشر فى المنطـقة المحيطة بقصـرين، دفعنا بالكتيـبة ٣ استطلاع للأمام فى مـحاولة لاقتحام المـمر، ولكن العدو قاتل بوحـشية وفشلت المحاولة، وكانت الفرقة ٣٤ الأمريكية تحتل هذا القطاع.

كما فشل هجوم بواسطة فرقة مشـاة البانزر، بعد حصوله على نجاح مبدئى هو الآخر.

* رومل يستخدم المدافع الصاروخية لأول مرة فى أفريقيا:

فى منتـصف ليل ١٩ فـبراير، اسـتـأنفنا الهـجوم فى قـتال مـتـلاحم عنيف، واستخـدمنا المدافع الصاروخية لأول مرة فى أفـريقيا وأثبتت تأثيرها الفـعال للغاية، وأخيـراً تمكنا من الاستيـلاء على الممر، وفى المساء اكـتشفنا وجـود تشكيل مدرع للعدو فى الجانب الآخر للمـمر، ودفعت بمجموعة مدرعة عـبر الممر على الفور،

وقد دافع العدو وظهره للجبال، ثم قام رجال الآلاى ٨ بانزر المحنكون بتدميره فى وقت قصير، وتخلى العدو بعد مدة قصيرة عن دباباته وعرباته وحاول الهرب سيراً على الأقدام عبر القباب.

ولتوقعى هجوماً معاكساً من العدو فى اليوم التالى قررت الاحتفاظ بقوات فيلق أفريقيا والفرقة ١٠ بانزر حول القصرين فى الوقت الحالى لكى نتمكن من اتخاذ الإجراءات المضادة اللازمة لأى هجوم مضاد للأعداء.

وفى خلال ليلة ٢٠ فبراير تحركت قواتنا من قصرين شمالاً على الطريق المؤدى إلى «ثالا» ثم غرباً نحو «تيبية» لأن العدو قد انسحب.

وكانت الفرقة ١٠ بانزر تتقدم بسرعة عظيمة نحو «ثالا»، وفى طريقها اجتاحت سرية بريطانية مضادة للدبابات، وكانت تكون رأس الحربة لتشكيل مقترب وقد نجحت الفرقة ١٠ بانزر فى الوصول إلى «ثالا» التي كان العدو يحتلها بالفعل.

وفى الصباح التالى ذهبت إلى «ثالا» فوجدت أن العدو قد أصبح على درجة من القوة لا تسمح لنا بالاستمرار فى هجومنا، وبعد ذلك قابلت الفيلد مارشال «كسلرينج» الذى جاء إلى مقر قيادتى مع «ويستفال» و«شايدمان»، واتفقنا على أن استمرار الهجوم نحو «ليكيف» لا يمكن أن ينجح، وقررنا وقف الهجوم على مراحل.

وعليه سحبنا الفرقة ١٠ بانزر ومجموعة فيلق أفريقيا إلى قصرين أثناء الليل، حيث احتلت مواقع شمالى غربى الممر، أما الفرقة ٢٢ بانزر فكانت باقية فى «سبيبة» فى الوقت الحالى، ولكنها يجب أن تكون مستعدة لتلقى أوامر بتلغيم الطريق والانسحاب، وقد انسحبت آخر تشكيلاتنا خلف ممر قصرين فى يوم ٢٣ فبراير، ومنذ منتصف هذا اليوم تعرضنا لقصف جوى عنيف بواسطة السلاح الجوى الأمريكى فى منطقة قربانة/ قصرين على مستوى ونطاق لا يقل عن الهجمات التى

تعرضنا لها فى العلمين، واستمر الهجوم حتى حلول الظلام، وبذلك انتهت معركة سبيطلا - قصرين.

* تولى روميل قيادة مجموعة جيوش أفريقيا:

وفى مساء يوم ٢٣ فبراير، وصل أمر من القيادة العليا الإيطالية، يتضمن أنه نظراً للظروف التى تتطلب وجود قيادة موحدة فى تونس، ستشكل مجموعة جيوش أفريقيا تحت قيادتى. وفى ٢٤ فبراير، عقدت اجتماعاً مع رئيس أركان الجيش الخامس لمناقشة خططه، وكانت خطة «فون أرنيم» تتضمن القيام بهجوم ملتف لتدمير قوات العدو المحتشدة فى «مجاز الباب» ٣٠ ميلاً غربى تونس، ووافقت على الخطة، ولكننى لم أوافق على باقى خططهم التى كانت تقضى بإخلاء سهل «بحاز الباب» بعد العملية والعودة إلى نقطة الابتداء، لأن هذه المنطقة كانت مثالية فى ملاءمتها لحشد القوات الميكانيكية للهجوم على تونس، وعليه فقد كانت تعتبر مقتل جبهتنا.

وقد بدأ هجوم الجيش الخامس بانزر فى ٢٦ فبراير، وظهر الهجوم كما لو كان مفاجأة كاملة للعدو، وبهذا استطاع أن يحقق الاختراق بسهولة نسبية، ولكن بعد وقت قصير كان العدو يشن هجماته المضادة، وقد أدى المطر الذى انهال على الجبهة إلى عرقلة الهجوم بعض الشيء، لأنه أدى لصعوبة نقل أسلحتنا الثقيلة، واستمر الهجوم أياماً أخرى عديدة، ولم يكن من الممكن أن يحقق أى نجاح كبير، وكانت خسائرنا أكبر نسبياً من خسائر العدو، وبعدها بقليل أصدرت أوامرى للجيش الخامس بإيقاف العملية الفاشلة فى أقرب فرصة ممكنة، ولسوء الحظ أن الهجوم استمر بعد رحيلى عن أفريقيا تحت نفس الظروف.

قبل يوم ٥ مارس بزمن قليل، هاجم «مونتجمرى» القسم الجنوبى من حرس مؤخرة الفرقة ١٥ بانزر هادفاً تخفيف الضغط على الجبهة فى تونس الغربية، ودار

قتال عنيف طوال اليوم بـين قواتى والمدرعات البريطانية المتفوقـة للغاية، ولم تتمكن الفرقة من الاحـتفاظ بطرق انسحابهـا مفتوحة إلا بصـعوبة بالغة، وبالقيام بهـجمات مضادة متكررة بما لديها من دبابات وعددها ٢٠ دبابة فقط، ثم انسحبت الفرقة التى قاتلت ببـسالة فائقة وراء خط النقط الخـارجية لخط «ماريث»، مما أتاح «المونتـجمرى» وسهل له التـحرك إلى المنطقة التى كنا نـنوى القتال فيـها قبل الموعـد الذى حددناه لهذا، وعليه فقد كان الوقت قد حان للتحرك. وكنتيجة لهجوم الجيش الخامس تأخر تحرك الفـرقتين ١٠، ٢١ بانزر إلى «ماريث» عـدة أيام مما أعطى «المونتجمـرى» وقتاً إضافيا لكى يدعم ويجهز دفاعاته فى الأرض التى احتلها.

وكان الهجـوم ضد الجيش الثامن فى «مدينـيين» محفوفـاً بالصعاب، وليس هذا بسبب خبرة قوات «مونتجمرى» العظيمة بالحرب فقط، وإنما أيضاً بسبب طبيعة الأرض التى لم توفر لنا سـوى حلول تكتيكية محدودة وحـرمتنا من المرونة، ولم يكن هناك أى نقطة نهاجم العدو فيها دون أن يكون فى انتظارنا ويعلم تماما بجميع تحركاتنا.

ولقد وافقت على اقتراح الجنرال «ميـسى»، الذى يقضى بانتشار فرقة بانزر على الطريق وفرقة أخـرى وراء جبل «طباقة»، على أن نعـبر الجبال بفرقـة واحدة فقط، وحددنا تاريخ الهجوم بيوم ٦ مارس.

وفى صباح يوم ٦ مارس، كانت السماء مغيـمة وأرض المعركة يغطيها الضباب، وفـتحت المدفـعيـة نيرانـها، وانهـالت قنابل المدافع الصـاروخيـة على الوادى عند الأسـفل، وكانت الفـرقة ١٠ بانزر قـد تحـركت فى هذه الأثناء عبـر حلوف دون مقاومة من العدو.

وبدأ الهجوم بـداية طيبة، ولكنه اصطدام بعدها بمواقع بريطانـية قوية وفى أرض وعرة تحمـيها الألغام والمدافع المضادة للدبـابات، وكان العدو قد أنشأ خطاً دفـاعياً

قوياً بواجة الجنوب الشرقى، وشننا الهجوم بعد الهجوم ولكننا لم نحقق أى نجاح، وفى المساء اضطررت لاتخاذ قرارى بوقف العملية كلها.

* النهاية فى أفريقيا:

فى نهاية فبراير، أصدرت تعليماتى للقائدين الجنرال «فون آرنيم» والجنرال «ميسى» لكى يحددا تقديرهم للموقف فى تونس.

وبعد اطلاعى على تقريرهم، ونظراً لخطورة الموقف، فإننى أطالب بالوصول لقرار مبكر بخصوص الخطة المستقبلية للحملة فى تونس، ويمكن أن نتوقع هجوم العدو فى فترة اكتمال القمر التالية، وكان القرار بخصوص اقتراحى بطيئاً للغاية، ولكن بعد إرسالى استعجالات عديدة سمعت فى النهاية من «كسلرينج» أن «الفوهور» لا يستطيع الموافقة على تقديرى للموقف.

وفى صباح يوم ٨ مارس، قررت أخيراً الذهاب مرة أخرى إلى مقر قيادة «الفوهور» للعمل على إنقاذ القوات، وقمت بتسليم قيادة مجموعة الجيوش للجنرال «فون آرنيم» فى اليوم التالى، وفى يوم ٩ مارس سافرت جواً إلى روما.

ثم ذهبت مع «آمبروزير» و«ويستفال» إلى الدوتشى، وتحدثنا معه لمدة خمس وعشرين دقيقة، وقلت «لموسولينى» باختصار وبصراحة آرائى عن الموقف، وشرحت النتائج التى يجب أن نستخلصها من كل هذا، ولكنه هو أيضاً بدا مفتقراً لأى إدراك للحقيقة فى المواقف العصبية، وقضى الوقت كله فى محاولة للبحث عن حجج ليبرر بها آراءه.

* رومل يقابل هتلر فى روسيا:

وفى عصر يوم ١٠ مارس، وصلت لمقر قيادة «الفوهرر» فى مكان ما من روسيا، وفى نفس المساء تلقيت دعوة لتناول الشاى مع «هتلر»، وبهذا تمكنت من

التحدث معه على انفراد، وكان يبدو حـزيناً ومنهاراً بسبب كارثة «ستالينغراد»، ولم يوافق على اقتراحاتى ورفـضها كلها بقوله «إننى أصبحت متـشائما»، وطالبت بشدة إعادة تسليـح قواتنا الأفريقـية فى إيطاليـا لكى نتمكن من الدفـاع عن جنبنا الجنوبى الأوربى، بل إنى وعدته بأنى أضـمن بهذه القوات هزيمة أى غـزو للحلفاء لجنوب أوروبا، ولكن الأمر كله كـان ميؤسـاً منه، فقد أصدر لى تعلـيماته بالقيـام بإجازة مرضـية لمدة من الوقت أعـالج بها نفسى حـتى أستطيع قـيادة العمـليات فى الدار البيـضاء فيـما بعد، ورفض طلبى بالاسـتمرار فى قـيادة مجمـوعة الجيـوش لعدة أسابيع، وفى هذا الوقت سيتضح لنا هل سيقوم الأمريكيون بالهجوم من عدمه؟

ولكن «هتلر» أدرك مع كل هذا ضرورة سحب المشـاة على الفور من «ماريث» إلى «قابس» والبدء فى إنشاء خط قابس، وطرت عائداً إلى «وينر نيوستادت»، حيث ذهبت إلى «سمرينج» لأبدأ العلاج.

* الإنجليز والأمريكان يهجمون فى وقت واحد:

وكما توقعنا أرسل «مـونتجمرى» فيلقه العاشـر المدرع ليلتف حول تباب مطمطه ودفعه ضـد قطاع «مانيرنى»، ثم مهاجـمة خط «ماريث» فى الشمـال، بينما تحرك الأمريكيون بحوالى فرقة مدرعة فى نفس الوقت متقدمين من «قفصة».

وبالرغم من هذا، فـقد استطعنا سـحب الجيش من خط «مـاريث» إلى «وادى العكاريت» مع احتفـاظنا بالجزء الأكبر من قوته الضاربة، ولكن القـوات لم يتوفر لها الوقت اللازم لتحتل مواقعها الجديدة، واسـتطاع «مونتجمرى» أن يتغلغل بعمق فى خطوطنا، وبذا أصبح غـير ممكن البقاء فى موقع العكاريت، وأصـبح الإيطاليون من الناحية العملية غير موجودين على الإطلاق كقوات مقاتلة.

وفقدنا الجزء الأكبر من مدفعية الجيش الأول الإيطالى فى خط «ماريث» بدون أن نتدخل فعلاً لكى نغير من سير المعركة، وكانت الفرقة ١٠ بانزر قد نجحت فى هذه الأثناء فى إيقاف محاولة أمريكية للقيام باختراق نحو «قابس»، ولكنها دفعت ثمناً فادحاً وانسحبت بقايا الجيش الأول مع الفرقة ١٠ بانزر إلى خط «انفيدافيل» الذى كنت قد أمرت بإنشائه حينما كنت فى أفريقيا واستمر «آرنيم» فى تنفيذ هذه العملية.

وأخيراً وفى يوم ٦ مايو، تقدم الأمريكيون لتوجيه الضربة القاضية فى «مجاز الباب»، وتحت ستر غلالة زاحفة من نيران المدفعية وهجمات جوية عنيفة من قاذفات الحلفاء، اخترقوا خطوطنا بسرعة وبعمق وحولوا العملية إلى اختراق كامل بعد أن أبادوا الفرقة ١٥ بانزر بالكامل على وجه التقريب، وانهارت الجبهة ولم يعد هناك أى أسلحة ولا ذخائر، وانتهى الأمر واستسلم الجيش.

وكانت صدمة لى أن أعرف أن كل جنودى قد ذهبوا إلى معسكرات الأسرى، ولكن الصدمة الكبرى هى أننى علمت أن ما قمنا به كان مضغة فى الأفواه، وهذا سيؤدى فى المستقبل إلى عدم قدرة قيادتنا على مواجهة الأمور.

وفى اللحظة التى وضع فيها أول جندى من جنود الحلفاء قدمه على الأرض الإيطالية، انتهى «موسولينى»، وانتهى معه حلم إحياء الإمبراطورية الرومانية إلى الأبد.

* * * *

الباب السادس

الحرب فى أوروبا

الفصل الأول
إيطاليا عام ١٩٤٣
بقلم مانفريد رومل

فى ١٠ مايو ١٩٤٣ ، كانت الأزمة قد اشتدت على جميع الجبهات، فقد تم تدمير الجيش السادس بكامل قوته ٢٣٠ ألف جندى ألمانى، فى خرائب «ستالينجراد»، وقد قتل ١٤٠ ألف منهم وأسر الباقى، وكانت كارثة مشابهة على وشك الوقوع فى تونس لجيش آخر قوته ١٢٠ ألف جندى ألمانى.

وكان الموقف على هذا الشكل عند وصول والدى إلى مطار «تميلهوف» بعد ظهر يوم ١٠ مايو، وقد أخذوه على الفور إلى مقر قيادة «الفوهرر»، حيث قابل «هتلر» الذى كان شاحباً وقلقاً وقد فقد ثقته بنفسه.

وقال «الفوهرر»: «كان يجب على أن آخذ بكلامك، ولكن أظن أن الوقت قد فات، وسينتهى كل شىء فى تونس بعد وقت قليل».

وفى خلال أيام قليلة، أعلنت الصحف والإذاعة نبأ استسلام مجموعة جيوش أفريقيا. وكان والدى فى صراع نفسى بين موضوعين، الموضوع الأول: كانت أوامر هتلر تدل على أنه رجل يريد أن يجر معه كل شعبه إلى أعماق الكارثة، والموضوع الثانى: أنه كان يوجد ثمانون مليوناً ألمانياً يقاتلون للبقاء، لا ليضحى بهم دون معنى ومغزى تحت أنقاض منازلهم المحترقة، ولكن فى الأشهر الأخيرة من عام ١٩٤٣ ، شعر والدى باقتراب الوقت الذى يجب أن يختار فيه بين الموضوعين.

وأعتقد أن والدى لم يتخذ قراره بإنهاء الحرب، ولو بالقيام بالثورة إلا بعد أن تلقى معلومات أوفى وأدق فى الأشهر الأولى من عام ١٩٤٤ تؤكد حدوث جرائم

قـتل بالجـملة وتعطى فكرة عن مـداها، ومنذ هذه اللـحظة تحطم كل ولاء والدى «لهتلر» الذى كان فى يوم من الأيام من أشـد المعجبين به، وأجبر نفـسه بعد علمه بجرائم «الفوهرر» على العمل ضده.

وقبل هـذه التطورات فى المجال السـياسى، حـدثت أمور عسـكرية مهـمة فى إيطاليا، واستطاع والدى مشـاهدة هذه الأحداث عن كثب فى عام ١٩٤٣، بالرغم من عدم قيامه بدور هام فيها.

وفى ليلة ٩ يوليو، شنت قـوات الحلفاء هجومـها البرمائى على «صـقلية»، ولم يقاوم الإيطاليـون هذا الهجـوم مقاومـة جدية بالرغم من وجـود حوالى ٣٠٠ ألف مقاتل و١٥٠٠ مدفع إيطالى فى الجـزيرة، ولذلك وقع عبء القتال منذ البداية على الفرقتين الألمانيـتين الموجودتين فى «صقلية»، وقد زيدت فيـما بعد إلى أربعة، وفى نفس الوقت نشب الصراع علـى المسألة القديمة الخـاصة بالسيطرة على القـيادة بين الجيش والسلاح الجوى الألمانى.

وفى مساء ١٥ يوليو ١٩٤٣، عقد مؤتمر مع «الفـوهرر» لتقدير الموقف، سيتولى الجنرال «هوبة» القـيادة فى «صـقلية»، واقـترح والدى أن يعـمل الجنرال «بايرلاين» كرئيس للأركان ووافق «الفوهرر».

الخسـائر ضخمـة فى الدبابات الروسية فـى الميدان الشرقى، وقـد أمكن إيقاف الاختراق فى «بربانسك».

وفى مساء ١٦ يوليو، عقد اجتماع لتقدير الموقف مع «هتلر»، وصدرت الأوامر «لهوبة» بالهجوم، ونجح ٣٠٠ رجل فقط من قوات المظلات التى أرسلناها فى شق طريقها إلى خطوطنا.

وعثـر على وثيقة مع جـثة مبعـوث بريطانى ألقاها البحـر على شاطئ أسبـانيا، توضح أن هناك فكرة بالهجـوم على اليونان، وقرر «هتلر» تعيين والدى قـائداً عاما

فى الجنوب الشـرقى، بحيث تشـمل قيادته كل الـقوات الألمانية والإيطالـية فى هذا المسـرح، ولكن بعدها بأربع وعـشرين سـاعـة فقط طرأ تحـول فى الموقف تطلب استدعاء والدى على الفور.

فى ٢٣ يوليـو، دارت مناقشات طويلـة بين والدى و«الفوهرر»، وقـد أمره بأن يعود فوراً ومعه كل التفاصـيل عن الموقف فى اليونان، وكانت القوات هناك تشمل بجانب الجـيش الإيطالى الحادى عشـر، فرقة مدرعـة ألمانية واحدة، الفـرقة ١ بانزر وثلاث فرق مشاة.

* الانقلاب فى إيطاليا وسقوط الدوتشى:

فى ٢٥ يوليو، غادر والدى «وينرنيوشتادت» بطريق الجو ووصل إلى «سالونيكا»، وعقـد مؤتمراً مع الكولونيل جنرال «لوهر»، وقـد لخص «لوهر» الموقف بأنه يعتـمد كلية على الإمـدادات، وبدا لوالدى أن هناك عملاً كـثيراً قبل أن يقـرر أن اليونان أصبحت حصناً، وقرر الطيران فى الغد للتفتيش قبل استلام القيادة لاستطلاع الأرض.

وقد سـمع خبـراً من القيـادة العليـا للقوات المسلحـة قلب كل شىء، وهو أن الدوتشى معـتقل، واستـدعى والدى على الفور إلى مقـر قيادة «الفـوهرر»، وكان الموقف فى إيطاليا غـامضاً. فى ٢٨ يوليـو ١٩٤٣، كلف والدى بإجراء الاستـعداد لدخول إيطاليـا، على ألا يسمح له فى الوقت الحاضـر بعبور الحدود القـديمة التى كانت قائمة فى ١٩٣٨.

وأكثر مـا كان يخشاه والدى هو تحـرك الإيطاليين فجأة بمساعـدة قوات المظلات المتحالفة لإقفـال الممرات والدفاع عنها حتى يحتل الحلفاء إيطاليـا كلها، ولكى يتأكد من عدم تحقيق هذا الاحتمال، أصدر أوامره للجنرال «فوبرشتاين» بعبور ممر «برنير»

واحتلال المـمرات المهددة، أما هو شـخصياً فلم يسـمح له بالدخول إلى الأراضى الإيطالية حسب تعليمات «هتلر» الشخصية.

ويقول الجنرال «فويرشـتاين» أنه قد حدث فى الأول من أغـسطس تطور محرج فى الموقف فى ممر «برنيـر»، وذلك عندما حاول الإيطاليـون إيقاف تقدم الفـرقة ٤٤ مـشاة، وقـد أصدر الجنرال «جلوريا» أوامـره بإطلاق النار لو حـاولت الفرقـة ٤٤ استئناف تقدمـها، ولـم تقم الوحدات الإيطالية فى ممر «برنير» بتنفيذ الأمـر، واستمر تقدم الفرقة ٤٤ فى نظام، بينما انسحب الإيطاليون نحو الجنوب.

وأبلغت وحدات الاسـتطلاع الجنرال «فويرشتـاين» عن وجود حشـود قوية فى المنطقة الممتدة من «فيرنا» إلى «بولزانو» عددها حوالى ٦٠ ألف فرد.

فى ٩ أغـسطس ١٩٤٣، وصل الجنرال «فـون فـايتـجهـوف» قـادمـاً من عند «الفوهرر» وسيتـولى قيادة الفيلقين الموجـودين عند جنوب إيطاليا، وينوى «الفوهرر» إخلاء جنوب إيطاليا. ومـازال الإيطاليون يعارضون احتلال القـوات الألمانية لممرات الألب، وهم يشعرون بعدم الثقة تجاهنا ولا يعترفون بأهمية خطوط المواصلات لنا، ونحن لا يمكننا أن نـخاطر بأن نفـاجـأ فى يوم بالقـوات الإنجليزيـة والأمريكيـة أو الإيطالية وقد أقفلت هذه الممرات، لذلك لا نستطيع التخلى عنها.

وفى خلال الأسبـوع الأول من سبتمـبر، اندفعت قوات الحلفـاء فى «كالابريا» متقدمة إلى أن وصلت لنهر «سانجـرو»، وفى ٩ سبتمبر ١٩٤٣ وهو اليوم الذى نزل فيه «إيزنهاور» على سـواحل «ساليرنو»، عرفنا نبأ استسلام إيطاليـا، وقد انتشر فى جميع أرجاء ألمانيا.

فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٣، ركب والدى طائرته من مطار «فيلافرانكا»، ليغادر إيطاليا إلى الأبد، ثم سافر لاستلام مهمة جديدة، وكان عائداً إلى أرض «نورماندى» المغطاة بالتباب غير المستوية، وكان المقدر لها أن تكون مسرحاً لآخر هزائمه العسكرية.

الفصل الثانى
الغزو عام ١٩٤٤
بقلم الفريق فرينز بايرلاين

* خطة روميل لمواجهة الغزو فى فرنسا:

١ - حقول الألغام:

كتب «رومل» مذكرة ضمنها ما يلى:

لقد أتاحت لى الفرصة فى الحملة التى دامت عامين فى أفريقيا لاختيار أهمية الألغام فى كل الحروب المختلفة وأصبحت معتاداً على الألغام التى يستخدمها العدو بكميات كبيرة، وكانت مواردنا قليلة فى هذه الحملة، ولقد تعلمت قطعاً قيمة الأسلوب البريطانى فى التلغيم على نطاق واسع.

وبالرغم من قيام «رومل» بجهود ضخمة لإتمام عمليات زرع الألغام، إلا أنها جاءت متأخرة عن الوقت الذى قد تكون فيه ذات تأثير كامل، ومع هذا فلو أن «هتلر» عهد «لرومل» بتنظيم الدفاع عن ساحل الأطلنطى والقتال الإنجليزى فى صيف ١٩٤٣، لأمكننا القول إن ألمانيا كانت ستكسب معركة الغزو.

وقد نظم «رومل» عملية إنتاج الألغام فى فرنسا، حيث كانت توجد مواد أخذت من الغنائم تكفى لتجهيز ٢٠ مليون لغم مضاد للأفراد.

وحتى يوم ٢٠ مايو ١٩٤٤ تم زرع ٤,١٩٣,١٦٧ لغم على ساحل القنال الإنجليزى، وفى نفس هذه الفترة القصيرة تم إنتاج ١,٨٥٢,٨٢٠ لغم بناء على أوامر «رومل» أيضا. وقد تصور «رومل» كيف ستتم عملية زرع حقول الألغام المذكورة، والمقتطفات التالية من المذكرة التى كتبها توضح ذلك:

سيصير زرع حقول ألغام عميقة بين الدبابات الثابتة والمنطقة حولها وحول مجموعات الاستحكامات وأوكار المقاومة، وهذه الحقول ستحتوى على ألغام من كل الأنواع، وأغلب الظن ستكون ذات تأثير كبير.

وإذا وضع العدو أقدامه على الأرض، فإن أى هجوم خلال حقول الألغام على المواقع الدفاعية الموجودة داخلها ستكون عملية صعبة للغاية، إذ أنه سيضطر إلى شق طريقه عبر منطقة القتال تحت النيران الدفاعية التى تصبها عليه مدفعيتنا، وليس هذا على الساحل فقط، وإنما سيتم زرع حقول ألغام ضخمة حول مواقعنا فى المناطق الخلفية، وأى قوات محمولة جواً ستحاول اختراق مواقعنا من الوراء نحو الساحل ستصطدم أيضا بمنطقة ملغمة أيضا.

٢ - العوائق أمام السواحل:

فيما يتعلق بواجبات هذه العوائق كتب «رومل» يقول:

منذ نهاية يناير، بدأ العمل فى وضع العوائق أمام الشاطئ وعلى طول الساحل الأطلنطى، وقد شارفنا على الانتهاء بالفعل عند المواقع ذات الأهمية، والقصد من هذه العوائق المغمورة تحت الماء ليس فقط لوقف اقتراب العدو من الشاطئ ، لأنه بالطبع سيستخدم فى هجومه مئات القوارب وسفن الإنزال والعربات البرمائية والدبابات البرمائية المعزولة عن الماء - وكل هذا سيتم دائما فى الظلام أو الضباب الصناعى، ولكن أيضا لتدمير العدو ومعدات إنزاله.

والعوائق المذكورة تتألف من تشكيلة كبيرة مجهزة بالألغام والمتفجرات، وسنبذل كل مجهود لزراعتها بعمق وجعلها فعالة فى جميع الحالات وكل مستويات المد والجزر. وقد لاحظنا أن التدريبات الإنجليزية الأمريكية الأخيرة قد صار توقيتها بحيث تتم بعد ساعتين من أقصى حد للجزر، وذلك بعد قيام المدفعية والقاذفات

بمحاولة لتدمير موانع الشاطئ الهيكلية، ونحن نعلم شدة الصعوبة فى تدمير موانع الأسلاك الشائكة بنيران المدفعية، لذلك سيكون فتح ممر داخلى فى هذا الحاجز من الموانع أصعب بكثير، وبذلك سيضطر العدو لاستخدام كميات كبيرة من الذخيرة والقنابل وسيحتاج إلى وقت كبير للاستعداد، ولو أن العدو نجح بالفعل فى تدمير هذه الموانع المغمورة فى الماء، فنعرف على الأقل محور تقدمه الرئيسى ونستطيع بذلك تجهيز دفاعنا وإحضار قواتنا الاحتياطية، وكلما طال الوقت الذى يعطيه لنا العدو، كلما زادت قوة الموانع.

وتبعاً لخطاب الجنرال «مايزة» بتاريخ ١٧ مايو ١٩٤٤، كان المفروض إقامة أربعة أحزمة من الموانع تحت الماء، وقد وصفها كما يلى:

- حزام فى ست أقدام من الماء لأقصى حالات المد.
- حزام فى ست أقدام من الماء لنصف المد الذى أقصاه اثنا عشر قدماً.
- حزام فى ست أقدام من الماء فى أقصى حالات الجزر.
- حزام فى اثنى عشر قدماً من الماء فى أقصى حالات الجزر.

وبحلول يوم الغزو، كان أول حزامين قد تما فى أغلب القطاعات وخاصة فى «نورماندى»، ولكن لم يتهيأ الوقت الكافى لوضع الحزامين الآخرين السفليين، بالرغم من قيام «رومل» باستعدادات ضخمة لإقامتهما.

٣ - الموانع ضد الإنزال الجوى:

وهنا يشرح «رومل» أيضاً هدف الخطة وأسلوب التنفيذ:

أبدأ الآن فى الكلام عن التأمين ضد القوات المنقولة جواً، ومن الممكن أن يستخدم العدو كل ما لديه للحصول على نصر سريع وتأمين كبير وتثبيت أقدامه عند أى مركز على الساحل، وتمتلك دول الأعداء عدداً كبيراً من التشكيلات القوية

المنقولة جواً والمدربة تدريباً عالياً، وعلينا أن نكون مستعدين لاستخدام هذه القوات ضد مناطق الدفاع الساحلى، إما فى هجوم مفاجئ أو بعد قصف جوى شديد قصير، وربما أسقط العدو قوات المظليين فى أعداد كبيرة للغاية فى ضوء القمر أو عند الفجر أو عند آخر ضوء، إما على الساحل وإما على بعد عدة أميال داخل الأرض أو ربما أسقط قوات محمولة جواً فى مجموعات فرق فى طائرات شراعية ذات حمولات كبيرة وراء جبهتنا الساحلية ليحاول اختراق الدفاع من الخلف، كما أنه من الممكن أن ينزل العدو تشكيلاته المنقولة جواً داخل الأرض على مسافة كبيرة ليستخدمها فى عمليات استراتيجية، أو ربما وزعها فى مجموعات قتال صغيرة داخل فرنسا كلها لإحداث تعبئة سريعة للجيش السرى الفرنسى، ولكن طالما سيستمر احتلالنا للشاطئ ، فأغلب الظن أننا ستتمكن من إبادة القوات المنقولة جواً، سواء كانت مستخدمة فى عمليات استراتيجية أو تشكيلات ملقاة فى مجموعات وراء جبهتنا داخل الأرض.

ولذلك فإن الشىء المهم هو التأكيد من أن كل المناطق المعرضة لإنزال القوات المحمولة جواً، تجهز بحيث تتحطم فيها طائرات العدو وسابحاته الشراعية أثناء نزولها، وبذلك سننزل بالعدو خسائر فادحة فى الرجال والعتاد، بالإضافة إلى الخسائر التى يتكبدها العدو بسبب نيراننا المدفعية، وستقوم كل الفرق باتخاذ الخطوات اللازمة فى أقل وقت ممكن لتجهيز المنطقة بين جبهتى الأرض والبحر بطريقة كاملة.

* يوم الغزو:

كانت ليلة ٥ يونيو مظلمة، ولم يخترق القمر السحب المنخفضة إلا قليلاً ليشع ضوءه على ساحل نورماندى، وكانت الحرس فى المواقع الدفاعية المنعزلة تزرع مناطق حراستها جيئة وذهاباً فى هدوء.

وبعد حلول الظلام بوقت قصير، سمع هدير القاذفات المتحالفة، ثم أخذت القنابل المتفجرة تنهال على نقط مختلفة على طول الساحل، ولم يكن القذف الليلى أمراً نادراً فى «نورماندى»، ولكنه فى هذه الليلة زاد تدريجياً بمرور الساعات، وأخيراً لدرجة لم يسبق لها مثيل فى شدتها، وتبع ذلك مرور تشكيلات ضخمة بعد منتصف الليل، وفجأة أضيئت مساحات ضخمة بالمشاعل التى ألقتها الطائرات الكاشفة، وقد بدأ آلاف من رجال المظلات فى النزول فى مناطق كثيرة، وفى نفس الوقت بدأت مئات من الطائرات الشراعية فى النزول بهدوء وهى محملة بالمدافع والعربات والرجال. وفى وقت قليل بلغت المعركة الأرضية درجة كبيرة من الشدة، لأن رجال مظلات الحلفاء تقدموا على الفور نحو الساحل لاختراق الدفاعات الساحلية، وبعد قليل سقط أول الجنود فى المعركة التى كانت ستحدد مصير الرايخ الألمانى.

وكانت محطات الرادار فى خليج «نهر السين» قد توقفت عن العمل لتعرضها للضرب الجوى منذ أيام عدة، وبسبب سوء الأحوال الجوية لم يقم السلاح الجوى الألمانى بطلعات استطلاعية على القتال، مما أدى أن ظلت القيادة الألمانية على جهلها بعبور الجيوش الضخمة للحلفاء لهذا القنال، وقد مرت هذه القوات بسفن الحراسة الألمانية منذ عشر ساعات دون أن تشعر بها، ثم قامت باتخاذ تشكيلها فى خليج «السين».

وأخذت القذائف تتوالى، ثم فتحت مدافع ست بوارج وثلاثة وعشرين طراداً و١٤٠ مدمرة نيرانها بشكل لم يسبق له مثيل، بينما توالت أسراب القاذفات المتحالفة بإلقاء حمولتها من القنابل على نورماندى باستمرار، وقامت قوات الفدائيين الأمريكيين والبريطانيين تحت ستر نيران سفنهم الحربية بالاقتراب من الشاطئ وقفزوا من سفنهم الصغيرة المدرعة، وبدءوا فى تدمير دفاعاتنا الساحلية التى كشفها الجزر، وبعد هذا بقليل انطلق عدد كبير من زوارق الإنزال نحو الساحل.

وبدأ الجنود الألمان الذين نجوا من هذا الجحيم فى التعامل مع العدو متجاهلين هذه العاصفة من النيران حتى سقط أغلبهم أو دمرت أسلحتهم، بل وفى بعض النقط نجحوا فى منع الإنزال بالرغم من أن الجزء الأكبر من الخط قليل العمق غير المحتل بقوة كان من الصعب الصمود فيه. وتحركت المشاة الأمريكية والبريطانية من الشاطئ وتغلغلت بين المواقع الدفاعية المنعزلة، واتصلت قوات المظلات التى نزلت خلف الجبهة فى عدة نقاط، ووصلت الدبابات البريطانية، التى نزلت من السفن إلى الساحل، مما مكن المشاة من القيام بهجمات رئيسية بعد تدعيمها بقوة من المدرعات لم يكن لدى الألمان أى وسائل دفاعية لمقاومتها، إلا بعض الألغام وعدة قواذف صاروخية، وبعض المدافع القليلة المضادة للدبابات.

واستخدمت الفرق إحتياطها المحدود على الفور فى النقط المهددة ونجحت فى كل مرة ألقت فيها بهذا الاحتياطى فى فترة الإنزال، ولكن القولات المتحركة تعرضت باستمرار لهجوم حشود من القاذفات المقاتلة، وفى وقت قصير كان الاحتياطى كله مشتبكاً ولم تعد هناك أى قوات متيسرة، وبدأت الجبهة فى الانهيار فى عدة نقط، وفى فترة العصر وضح نجاح عملية إنزال الحلفاء.

وكان التشكيل المدرع الوحيد المتمركز بالقرب من شاطئ الغزو هو الفرقة ٢١ بانزر تحت قيادة الفريق «فوختبنجر» وكانت بالقرب من كان، وفى صباح يوم ٦ يونيو قام «فوختبنجر» بتشكيل جزء من الفرقة للقيام بهجوم مضاد شرقى نهر «الأورن» ضد رجال المظلات البريطانية، وكانت قواته تتحرك بالفعل نحو مناطق تجمعها عندما وصل أمر من الجيش السابع يأمر الفرقة القيام بهجومها المضاد على الضفة الغربية من نهر «الأرون»، وعلى الفور بدل «فوخنبنجر» أوامره على هذا الأساس ولكن ضاع وقت ثمين، ولم يقم بالهجوم غربى نهر «الأورن» إلا مجموعة قتال واحدة ولكنها نجحت بالفعل فى شق طريقها إلى الساحل، وقد قام القائد البريطانى فى

مواجهة هذا الخطر بإنزال قوات المظلات فى مؤخرة المجموعة وإجبارها على وقف الهجوم والانسحاب لكى نتفادى تطويقها من العدو.

وعليه فـفى ليلة ٦ يونيو لم يكن المـوقف مشجـعا على الإطلاق، فعـلى يمين الجبهة الألمانية اسـتطاع البريطانيون إقامة رأس جسر عرضه ٢٠ ميـلاً ويتراوح عمقه بين ثلاثة وسـتة أمـيال، وعلى يسـارها نجح الأمريكيـون فى تثبـيت أقدامـهم فى منطقتين، ولكن الأرض الواقعة بينهما ظلت فى قبضة الألمان وأمكن إيقاف التغلغل الإنجليزى الأمريكى، ولكن كل الاحتـياطى المتيسر قد استـخدم فى المعركة، وظل القادة يترقـبون بلهفة وصـول القوات المدرعة للقيـام بهجوم مضاد لإلـقاء العدو فى البحر مرة أخرى، ولكن لم يصل شىء وكانت الذخيرة تتناقص، مما اضطرنا لفرض قيود على اسـتهلاكهـا على طول الجبهة، وبدأ الشـعور باليأس ينتشر بـين الضباط الذين ظلوا على قيد الحياة، وهو شعور كان فى النهاية سيسود الجميع خلال المعركة.

وقد قام الجنرال «شـبايدل» رئيس أركان حرب «روميل»، باسـتدعاء «روميل» إلى «فرنسا» على الفـور. وأثناء معـركة الغـزو انعقد إجـتمـاعان بين «هتلـر» «وفون رونشتـدت» و«روميل»، أولهما فى ١٧ يونيو ١٩٤٤ قـرب «سواسون»، وقد أفـتتح «روميل» الاجتماع بتقديم تقرير عن الموقف وصف فيه مدى استحالة التصرف وسوء الظروف التى يقاتـل فيها الجـندى الألمانى مكرهاً، وطلب من «هتلر» أن يذهب إلى الجبهة ليكوِّن صورة صحيحة عن الموقف بنفسه ويتحدث إلى القادة الميدانيين مباشرة.

وقد حذر القائد العام لمجموعة الجيـوش (ب) من القيام بأى عمليات فى الجبهة بواسطة الهجوم لأن هذا سيستهلك قـوة فرق البانزر، واقترح وضع فرق من المشاة فى قطاع نهر «الأورن»، وتظل حالياً فرق البانزر القـريبة غربى كان مع تجميع قوات احتيـاطية على الأجناب، وبعد الانتـهاء من سير الاقـتراب، تتم عملية انـسحاب محدودة نحو الجنوب بغرض توجيه ضربة مـدرعة إلى جنب العدو المتقدم فى أعقاب هذا الانسحاب، وبذلك نخوض المعركة خارج مرمى مدفعية العدو البحرية.

* الصمود بعناد فى كل شبر من الأرض:

وفى صباح اليوم الثانى بعد سقوط إحدى قنابل الطائرات الضالة بالقرب من مقر قيادة «هتلر» قفل عائداً إلى ألمانيا تاركاً الجبهة الغربية مع مصيرها، ولم يتم شىء من العمليـة التى اقترحهـا «رومل»، وإنما قيل إن النصر يمكن تحقـيقه فقط، بالـصمود بعناد فى كل شبر من الأرض.

وأخيـراً فى ٢٩ يونيو ١٩٤٤، ذهب «فون رونـشتدت» و«رومل» مـرة ثانية إلى «هتلر»، وتقابلا هذه المرة فى «برختسجادن» للاطـلاع على آراء القيادة العليا بالنسبة للموقف فى جبهة الغزو، وقام بعـد ذلك «فون رونشتدت» و«رومل» بإعطاء رأيهما عن الموقف.

ثم سأل «رومل» «هتلر» كيف تتخيل بعد كل هذا أن الحرب يمكن كسبها؟

ونتيجة لهذا السؤال توقع المارشالان إعفـاءهما من منصبيهما، ولكن من الغريب أن «رومل» بقى فى قيادته، ولم يستدع سـوى «رونشتدت»، الذى حل محله الفيلد مارشال «فون كلوجه».

وفى مـقر قـيادة «الفـوهرر»، قام كل من «هتلر» و«جـودل» و«كتـيل» بتحـذير «كلوجه» من «رومل» لكونه مستبداً برأيه وداعية للهزيمة ومتمرد، ويضاف إلى هذا أن الموقف العسكرى قد صور «الفون كلوجه» على أساس أنه غير خطير.

وعندما تفقـد «كلوجه» الجبهة فى نورماندى غـير رأيه تماما، كما اعتـرف بصحة التقاير التى بعث بها «رومل» لمقر قيادة «الفوهرر» فى نهاية يونيو.

وفى ١٧ يوليـو، جـرح «رومل» جـرحـاً بواسطـة طائرة مـعـادية بالقـرب من «ليفاروت»، وقبل هذا الحادث بوقت قصير بعث «رومل» إلى «هتلر» بتقريره الأخير موضحاً موقفه وآراءه حتى لا يقال إنه طعن أحداً من الخلف.

* مونتجمرى يقوم بحركة كماشة:

وأكدت الأحداث السريعة كلام «رومل» وتحذيره من حدوث اختراق لجبهة الجيش السابع، فبينما قام «مونتجمرى» بحركة كماشة فى منطقة (كان)، زاد الضغط يومياً فى قطاع «سانت لو»، وقد توقعت قيادة مجموعة الجيوش (ب) هجوم الحلفاء من هذا القطاع ولذا حركت فرقة بانزر ليهر التى كانت تحت قيادة الجنرال «بايرلاين»، إلى هناك من أمام القطاع البريطانى.

وفى حوالى ٢٣ يوليو، كانت القوات الأمريكية قد وصلت لنقط وثوب ملائمة لهجومها واستولت على «سانت لو»، وكانت فرقة بانزر ليهر تحتل قطاعاً مواجهته ستة آلاف ياردة غرب المدينة.

وفى ٢٤ يوليو، هاجمت ٤٠٠ قاذفة أمريكية قطاعنا ولكنها لم تسبب خسائر بل نجحت كتيبة مدفعيتنا المضادة للطائرات فى إسقاط عشرة منها، ولم يبدأ الهجوم الأرضى الذى كنا نتوقعه، ولكن فى اليوم التالى وقعت أشد الضربات الجوية التى وجهها الحلفاء بقواتهم الجوية فى المجال التكتيكى أثناء الحرب كلها، وأبيدت الوحدات التى تحتل الجبهة تقريباً، وذلك بالرغم من تعزيزها فى أغلب الحالات بأفضل وأحدث أنواع الدبابات والمدافع المضادة للدبابات والمدافع الذاتية الحركة.

وانهالت القنابل فى كل مكان، ودمرت مواقع المدفعية، ودفنت الدبابات وانقلبت ودمرت مواقع المشاة ودمرت الطرق والمدقات، وفى منتصف اليوم كانت الأرض كالقبور، حيث تلامست فوهات الحفر التى أحدثتها القنابل، ولم يكن هناك أى أمل فى إخراج أى سلاح من أسلحتنا المدفونة فى هذه القبور.

وقطعت كل وسائل الاتصال، ولم يعد من الممكن السيطرة على الوحدات، وفى نفس الوقت الذى ضربت فيه الطائرات مواقعنا، قام عدد ضخم من المدافع الأمريكية بدق مواقعنا الميدانية، وحاولت بعض القوات الاحتياطية الضعيفة فى

قطاعات أخرى إيقاف هذا السيل بهجمات مضادة، ولكن محاولتها تحطمت بواسطة طيران العدو ومدفعيته فى مرحلة تشكيلها ولم تصل لنتيجة، وفى صباح اليوم التالى كان الاختراق الأمريكى قد تم بالفعل.

وأستمر الأمريكيون طوال الصباح فى تقدمهم جنوباً مستخدمين فرق المشاة التى تساندها القاذفات المقاتلة، وفى فترة بعد العصر وصلت حشود دباباتهم لتقود التقدم، وفى خلال تحركهم اجتاحوا آخر ما تبقى من فرقتى التى كانت قد انسحبت مع قيادة الفرقة نحو الجنوب.

وكان الأمريكيون يقومون باجتياح الأرض المفتوحة، وكان لا يمكن إيقافهم كما تنبأ «رومل» بالضبط، وبعد أن تحولوا غرباً إلى «كوتانس» طوقوا قواتنا الموجودة فى شبه جزيرة «كوتنتان» وأبادوها محدثين ثغرة ضخمة فى الجبهة الألمانية، حيث انطلق «باتون» عبرها إلى قلب فرنسا، وكانت هذه بداية النهاية وتحطم هجومنا على «آفرانس»، وكانت القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية قد وضعت هذه الخطة لعزل جيش «باتون»، ولكن القوات الأمريكية والإنجليزية حطمت قواتنا فى مناطق تجمعها ولم تسمح لها حتى البدء فى العملية، ولولا تدخل السلاحين الجويين الأمريكى والبريطانى لكان من الممكن لهذا الهجوم أن يبدأ قبل هذا بوقت طويل وكان سينتهى بنصر حاسم.

وقد كان هذا هو رأى «رومل» ومعظم ضباطه الكبار، فلم نخسر هذه المعركة إلا بسبب السيادة الجوية المطلقة التى كان الحلفاء يتمتعون بها.

وكانت المسئوليات التى تحملها «رومل» والقادة والمسئولون الآخرون خلال معركة الغزو جسيمة للغاية، لأن المصير النهائى للشعب الألمانى كان سيتحدد على هذه الجبهة، فهناك كان سيتقرر ما إذا كانت الحشود السوفيتية ستقوم بعمل استعراض لقواتها فى برلين أم لا، وهناك سيقرر أيضا هل ستنجو آخر المدن الألمانية أم تتحول إلى تراب ورماد؟

الفصل الثالث
الأفق المظلم
بقلم الفيلد مارشال رومل

* تفوق التسليح الأنجلو - أمريكى:

كان الاستسلام فى تونس هو نهاية حملة شمال أفريقيا، وكما حدث فى «ستالينجراد» فإن تأثير «جورنج» الهدام كان هو السبب فى القضاء على مجموعة الجيوش هناك، ونتج عن هذا وقوع مائة وثلاثين ألفاً من الجنود الألمان ومن ضمنهم رجالى الذين لم يكن من الممكن إيجاد من يحل محلهم، وكنا محتاجين لهم جميعاً بشدة فى الدفاع عن جنوب أوروبا ضد الحلفاء.

وقد حسم الحرب فى شمال أفريقيا تفوق التسلح الأنجلو - أمريكى، وفى الواقع أنه منذ دخول أمريكا الحرب أصبح أملنا فى النصر النهائى ضئيلاً، وكان الأمل مايزال يلوح طالما استمرت غواصاتنا فى فرض سيطرتها على المحيط الأطلنطى، لأنه مهما كان إنتاج أمريكا ضخماً فى الدبابات والمدافع والعربات، فإنه لا يفيدها بشىء ما لم تستطع نقله عبر البحر، ولكن معركة الأطلنطى التى فى الغالب حسمت الحرب ضاعت منا، وخسرنا خسارات فادحة فى الغواصات، وكان كل الباقى متوقفاً على هذا الموضوع وأصبحنا معرضين للهزيمة فى أى مكان تستطيع الأساطيل البحرية الأنجلو أمريكية الوصول إليه.

ويضاف إلى هذا أنه فى أى غزو أنجلو أمريكى، كان العامل الأساسى هو قدرة الغزاة على تطهير رأس كوبرى بعمق يكفى لإنزال كل عتادهم فيه دون تدخل من جانبنا، وبمجرد نجاحهم فى هذا لا يعد أمامنا أى فرصة فى الحصول على النصر.

ولكن الحلفاء لن يستطيعوا إنزال عشرين فرقة بكل أسلحتها واحتياجاتها على ساحل مدافع عنه، علاوة على أنهم سيحتاجون لبعض الوقت ليحضروها الواحدة بعد الأخرى، وعليه ففى أى عمليات برمائية تكون الأيام حاسمة.

ومن كل هذا نخرج بأنه توجد طريقتان للقضاء على الإنزال وهى:

أ - إيجاد تركيز للقوى فى المنطقة المعرضة للخطر فى الأيام القليلة الأولى وإلقاء العدو فى البحر.

ب - مد الفترة الحرجة للغزو لوقت يكفى لحشد القوات اللازمة لضربة مضادة أو بمعنى آخر تعزيز وتقوية القوات التى تدافع محليا فى منطقة الإنزال، بحيث تتمكن من منع العدو من توسيع رأس الجسر أثناء الأيام القليلة الأولى.

وحيث أن قواتنا الموجودة فى فرنسا لم تكن بالدرجة الكافية لتنفيذ الطريقتين معا، فقد كنا مضطرين لاختيار أحد الطريقتين، فإما أن نقوى دفاعاتنا على الساحل فى المناطق المهددة بسحب أجزاء من الاحتياطى الاستراتيجى، أو نكون احتياطى استراتيجى قوى بسحب قوات من دفاعاتنا الساحلية.

وقد وضع الفيلد مارشال «رونشتدت» خطته على أساس مواجهة أى خطة وأى إجراء معاد، وذلك بوضع قواته المدرعة والمحملة فى فرنسا الوسطى بحيث يمكن إرسالها من هناك إلى ميدان المعركة لتحقيق تفوق محلى ضخم خلال اليوم الأول أو اليومين الأولين للغزو، وهذه الخطة بالرغم من أنها أضعفت قوات الدفاع الساحلية إلا أنها كانت صحيحة فى الظروف العادية وكانت نسبتها فى النجاح ١٠٠٪.

ولكن الفيلد مارشال «فون رونشتدت» لم يكن لديه أى فكرة عن مدى التفوق الجوى للحلفاء، أو عن القيود التى سيفرضها هذا التفوق علينا تكتيكياً أو استراتيجياً.

وبما أن القوات الساحلية ضعيفة، فيجب إتمام سير الاقتراب لهذا العدد الكبير من الفرق المدرعة والمحملة فى أسرع وقت ممكن، ويجب الارتباط بالجداول الزمنية الموضوعة بمنتهى الصرامة، ومن واقع خبرتى فى أفريقيا، كنت أشك فى إمكان تنفيذ مثل هذه العملية فى الوقت المحدد.

وعليه فقد وجهت اهتمام الفيلد مارشال «فون رونشتدت» لهذه النقاط بالذات:

أ - ستقوم القاذفات المقاتلة الحليفة بتغطية طرق الاقتراب نهاراً وباستخدام المشاعل ليلاً لإيقاف أى تحركات عليها.

ب - ستقوم أسراب القاذفات المتحالفة بتدمير كل الجسور بل والمدن أيضاً لو وجدت أنها بهذا تغلق طرق الاقتراب لعدة أيام، وهذا سيؤدى أن الطرق الهامة لن نستطع استخدامها.

ج - ستتكبد القوات المحملة خسائر فادحة أثناء تحركها من الضرب الجوى.

د - سيستحيل تبعا لهذا المحافظة على جداول التحرك الزمنية، وسنضطر لإعادة التنظيم بالكامل، وبالطبع فمن السهل نسبياً إعادة تجميع فرقتين أو ثلاث، ولكن إعادة تنظيم سير اقتراب لعشر فرق، فالأمر يختلف تمام الاختلاف وخاصة إذا لم يكن الرجال معتادين على الابتكار والتصرف التلقائى.

هـ - ستمر عشرة أيام أو أسبوعان قبل أن تصل القوة الضاربة إلى ميدان المعركة، ثم يعاد تجميعها للعمليات بعد ذلك، وخلال هذه الفترة سيتمكن الأمريكيون من التغلب على قوات الدفاع الساحلية الضعيفة التى تقاتل دون معاونة من المدرعات ثم يتم الاندفاع للداخل، وبمجرد حدوث هذا فإن هجوم قواتنا الضاربة، التى ستكون معرضة للضرب أثناء تحركها بواسطة قوات العدو الجوية، سيصبح عديم الجدوى، وبالطبع يمكن سحب عدة تشكيلات وبعثها للجبهة

بسرعـة، وسيتم ذلك بتـحركات كبـيرة مجـهدة، ولكن هذا سيـقضى على فكرة الحشد الهجومى الموحد وهو أساس خطة «رونشتدت» الدفاعية.

* خطة روممل للدفاع عن الساحل الفرنسى:

وعليه فقـد التزمت خطتى التى لا يمكن اعتبارها أكـثر من حل وسط، وكانت النقطة الأولى تتضمن تحصين الشاطئ لأقصى درجـة بأن تحتل المشاة مواقعها على الساحل، وتنتشر الدبابات خلفها عن قرب بحيث يمكن استخدام مدافعها للضرب على الساحل أيضاً، وقررت وضع أقوى القوات فى الأماكن المهددة.

ولسوء الحظ لم يحـصن الساحل فى الوقت المتيسـر بالدرجة المطلوبة بالرغم من أننا فعلنا كل ما بوسعنا للإسراع فى التنفيذ، ويضاف إلى هذا أنه لا قيادة «الفوهرر» ولا القائد العام للجبهة الغربية كـانا مستعدين لإدراك الخطر الموجه لنورماندى، لأن الاثنين كانا يظنان أن الإمكانيات الاستراتيجـية فى «كاليه» ستدفع العدو للنزول هناك بالفعل، وكان يتوقف تحـقيق خطط العدو الإستراتيجيـة على نجاح عمليات الإنزال نفسها، وقد كان نجـاحها غير متوقع فى منطقة «كاليه»، لذلك كـان النجاح محتملاً فى نورماندى لقلة تحـصين الساحل هناك، ولذا فإن اهتمـامهم أساساً كان مـوجهاً لنجاح عملية الإنزال نفسـها، أما الأهمية الاستراتيجيـة «لكاليه» بالنسبة لنورماندى، فقد كان هذا الموضوع أقل أهمية، فقد كان لدى الحلفاء الوقت والعتاد اللازمين.

وبذا حدث أن المطلبين الذين تـقدمت بهما وهما تلغـيم «خليج السين» وإرسال قوات تتـكون من عدة فرق بانـزر وفيلق مضـاد للطائرات ولواء صـواريخ وقوات مظلات إلى نورماندى، لم يـجابا قبل الغـزو، ولهذا وضعنا فى مـوقف سيئ منذ البداية.

مع هذا فإننى متأكد أنه حتى لو توفرت لنا هذه القوات فى أماكن الإنزال، فإننا سنخسـر المعركة لأن هجماتنـا المضادة كانت ستتـحطم أمام مدافع الحلفاء الـبحرية

وقواتهم الجـوية، كما أن مـدفعيـتنا ولواءنا الصاروخى كـانت ستدمـر الواحدة تلو الأخرى من قصف الحلفاء التمهيدى المخيف.

يضاف إلى هـذا، أننا كنا نفتـقر إلى التلغيم واسـع النطاق وللإنشاءات الكبـيرة للعوائق تحت الماء التى كنا قـد خططنا لها، فلم يتوفر لنا سـوى وقت قليل، كما أن الدمار الواسع النطاق الناتج عن قـصف الحلفاء الجوى لوسائل المواصـلات وخاصة فى نورماندى، قبل حدوث الغزو لم يسهل لنا تنفيذ مشروعاتنا.

وأخـيراً فـقـد اتضح لنا أن أى حل وسط لا يمـكن أن يعوض التـفـوق المادى الضخم فى المدفعية والسلاح الجوى.

وبالنسبة للمواضع الباقية، فإن نلوءاتى بالنسبة لتحركات قواتنا المحملة للجبهة قد تحقـقت، فبعد أيام من التـحرك وأغلبها كـان فى فترة الليل فـقط، وصلت الفرق للجبهة بعد أن تكبدت خسائر فادحة فى الطريق.

* الأهمية الاستراتيجية للمسرح الأفريقى والشرق الأوسط:

إن الخسـارة الكبرى الحقـيقية كـانت فى شمالى أفـريقيا، وهذا يعـود إلى فشل سلطاتنا العليا فى تقدير القيمة الاستراتيجيـة الحقيقية لمسرح العمليات الأفريقى، وقد انتهت هذه الأخطاء المخيفة باستسلام قوات المحور فى تونس.

فلمدة سنوات عديدة، بقـى الشرق الأدنى لا تحتله سوى قوات بريطانيـة ضئيلة نسبياً لم تزد مطلقاً حتى فى أكبر توسع لها عن ١٢ فرقة، وقد أنزلت هزائم ساحقة بهذه الفـرق مراراً، ومع ذلك فـإن قوات المحور لـم تبلغ درجة من القوة تـؤهلها لاستغلال النجاح استراتيجياً، وكـانت مجموعة الجيوش البريطانية فى الشرق الأدنى تعتبر الدرع الوحيـد للأراضى الشاسعة التى كانت ذات أهمية للحلفـاء كما سيظهر فيما يلى:

أ - قناة السويس ومصر وأفريقيا الشرقية، واعتبرت قناة السويس نفسها ذات أهمية استراتيجية فى الحرب أقل مما هو شائع عنها، لأن إيطاليا تمكنت من غلق البحر المتوسط عند صقلية.

ب - سوريا والعراق وإيران، وكان هناك ثلاثة عوامل لأهمية هذه المنطقة للحلفاء:

١ - استخرجت العراق وإيران سوياً فى عام ١٩٣٩ حوالى ١٥ مليون طن من البترول، بالمقارنة بإنتاج رومانيا وهو ٦,٥ مليون طن، والاستيلاء على هذه المنطقة كان سيمكنا من تحميل جزء أكبر من جيوشنا، مما سيخلق الظروف للانتصار فى سهولة على روسيا الشاسعة، كما أننا سنستطيع زيادة قواتنا الجوية بدرجة أكبر مع استخدامها بقدر أكبر من الحرية.

٢ - كان السيل الأكبر من العتاد والأسلحة الأمريكية المخصصة لمساعدة روسيا يمر عبر طريق البصرة فى الخليج العربى، واحتلال المحور لهذه المنطقة كان سيؤدى لتوجيه القوافل البحرية الأمريكية إلى «مورمانسك»، وهذا الطريق تعرض فيه الأمريكيون لأخطار جسيمة حتى بداية عام ١٩٤٣ من الغواصات والطائرات الألمانية، لاضطرارهم للمرور بالقرب من ساحل النرويج.

٣ - لو نجحت قوات المحور فى الاستيلاء على ساحل البحر المتوسط كله والعراق، لهيأت لها قاعدة ارتكاز للهجوم على الجبهة الروسية، وبذلك تفقد بريطانيا قدرتها على التدخل فى التحركات الألمانية الإيطالية عبر البحر المتوسط أو تهددها، وبذلك تنتهى أى صعوبات متعلقة بالإمداد والتموين.

* هل كان هناك حل لانتصار المحور فى أفريقيا؟

وأهم الأسئلة التى تعرضنا لها بالنسبة للحرب فى أفريقيا هى:

هل كان من الممكن، بتوزيع أفضل للقوات الألمانية، الحصول على السيطرة الجوية على البحر المتوسط، مما يؤدى إلى تأمين خطوط مواصلات جيوش المحور فى شمال أفريقيا؟

وسؤال ثان لا يقل أهمية عن الأول هو:

هل كان من الممكن مرة أخرى بتوزيع أفضل للقوات الألمانية فى مجموعها الموجودة فى جميع ميادين القتال، إيجاد تشكيلات ميكانيكية من قطاعات أقل أهمية لإرسالها إلى شمال أفريقيا.

إن مصاعبنا الإدارية كانت أسهل بكثير فى الحقيقة من مصاعب البريطانيين فى نفس المجال، لأنهم كان عليهم نقل كل احتياجاتهم عن طريق بحرى طوله ١٢ ألف ميل حول رأس الرجاء الصالح.

والخطوات التالية كانت ستحقق كل ما يلزم من القوات كافية لشمال أفريقيا مع تأمين نقلها إلى ليبيا ثم إمدادها فيما بعد.

أ - إيجاد حشد جوى مناسب فى منطقة البحر المتوسط بتحريك تشكيلات من السلاح الجوى الألمانى من فرنسا والنرويج والدنمارك.

ب - نقل التشكيلات المدرعة والمحملة التى كانت موجودة بدون عمل فى فرنسا وألمانيا إلى مسرح العمليات فى شمال أفريقيا.

ج - كان يجب مهاجمة مالطة والاستيلاء عليها.

د - تعيين رجل واحد يكون مسئولاً عن الإمداد والتموين ويتمتع بسلطات مطلقة لعمليات الشئون الإدارية وحمايتها، وكان يجب توفير المساندة الكافية له فى كل الأوقات فى المجالات السياسية.

وهذه الإجراءات ليست بها شىء غريب وكانت هى الطريق الطبيعى للأمور، ومع هذا فقد كانت ستحسم الحرب لصالحنا فى شمال أفريقيا.

ولم يبدأ القوم فى إدراك أهمية أفريقيا إلا عند وصول أنباء الانهيار فى أفريقيا، وفى ذلك الوقت فقط زادوا مجهوداتهم كما يفعل صغار العقول عادة فى الأزمان والأخطار لكى يروا أبعد من أفقهم.

وقد وجهنا النظر مراراً وتكراراً لإمكانيات مسرح العمليات الأفريقى، ولكن القيادة العليا صدتنا فى كل مرة بحجج تافهة للغاية، ولم نضيع أى فرصة لنشر أفكارنا ولكن هذا كله ذهب هباء.

* كيف يمكن القضاء على العملاق الروسى:

ولو توفرت لنا تشكيلات ميكانيكية أكبر وخط مواصلات مؤمن لاستطعنا تحقيق ما يلى تقريباً، فى الفترة ما بين بداية عام ١٩٤١ وصيف عام ١٩٤٢:

أ - كنا نستطيع سحق وتدمير الجيش البريطانى الميدانى مما سيفتح الطريق لقناة السويس، وسيضطر البريطانيين إلى إحضار قوات جديدة للشرق الأدنى، وهذا يتطلب شهرين على الأقل، وكنا نستطيع فيها القيام بأى عمليات نختار القيام بها.

ب - بعد وقوع ساحل البحر المتوسط كله فى أيدينا، يمكننا شحن الإمدادات إلى شمال أفريقيا دون أى خطر عليها،وكان من الممكن عندئذ الاندفاع قدماً إلى إيران والعراق بغرض عزل الروس عن البصرة والاستيلاء على آبار البترول وإنشاء قاعدة للهجوم على روسيا من الجنوب، ولن يستطيع الروس على الإطلاق من الناحيتين التنظيمية والتكتيكية حشد قوات ميكانيكية بسرعة تستطيع الصمود فى وجهنا فى السهول المفتوحة.

ج - أثناء فترة الاستعداد فى العراق تمهيداً لهجوم كبير على الجبهة الروسية الجنوبية، كان من الضرورى عزل «مورماسك» عن بقية الأراضى الروسية، ومن الأفضل إذا أمكن الاستيلاء عليها بهجوم من فنلندا، وبذلك سنقوم بغلق أهم

ميناءين، وهما البصرة ومورماسك فى وجه الأمريكيين، والميناء الوحيد الذى سيبقى فى أيدى الروس هو «أرشانجل»، وهذا المرفأ تقفله الثلوج عدة أشهر كل سنة وموقعه رديء على أى حال.

د - وسيكون غرضنا الاستراتيجى النهائى هو الهجوم على الجبهة الجنوبية للقوقاز للاستيلاء على باكو وحقول بترولها، وهذا كان سيعتبر بمثابة ضربة قاصمة للروس فى نقطة حساسة، لأن قسما كبيرا من مدرعاتهم التى تحمل العبء الأكبر فى قتالهم ضدنا كانت ستتوقف بسبب النقص فى البترول، كما أن سلاحهم الجوى كان سيصاب بالشلل، ولم يكن أمامهم بعد أن يتوقعوا أى مساعدة أمريكية جديدة، وبذلك كانت ستتوفر لنا الظروف الاستراتيجية بالإحاطة بالعملاق الروسى من كل ناحية، ثم القضاء عليه.

وعندما قمت بعرض هذه الخطة فى خطوطها الرئيسية، رفض المسئولون أصحاب الآفاق الضيقة واعتبروها خيالية وغير واقعية.

* التعليق على الحرب فى أفريقيا:

فيما يلى ملخص لأسباب هزائم الجيش الثامن:

١ - فى بداية الحرب لم تكن بريطانيا من الناحية العملية قد اجتازت مرحلة دبابة المشاة بالإضافة إلى دبابة الاستطلاع الخفيفة، ولم تهتم بتدريب قواتها بما تتطلبه الحرب الميكانيكية من سرعة التحرك ومرونة واتصال قريب بين القيادات والقوات، والاستثناء الوحيد من هذه القاعدة كان فى وحدات الاستطلاع البريطانية التى كان تدريبها ممتازاً.

٢ - كان فى وسع القادة الإنجليز معرفة مكامن الخطأ بسرعة، ولكن التحميل الميكانيكى وحده مهما كان جيداً لا يستطيع إصلاح الموقف، لأن إعادة

تدريب الضباط والقادة وتهيئة القيادات للعمليات السريعة، لا يمكن أن يتم فى هذا الوقت القصير.

٣ - كان مرمى مدافع الدبابات البريطانية ومدافعهم المضادة للدبابات قصيراً للغاية، وظل هكذا حتى صيف عام ١٩٤٢، بل إن دبابات المشاة لم تزود فى بداية الأمر بذخيرة قوية الانفجار، وإنما بدانات مصمتة.

٤ - كما أننى أعتقد أن أغلب القادة البريطانيين الكبار كانوا ملتزمين فى تفكيرهم بخطوط ثابتة لا تتبدل، والوحيد الذى أظهر شيئاً من العبقرية كان «ويفل»، أما «أوكلنك» فقد كان قائداً بارعاً للغاية، ولكنه كان يترك إدارة العمليات التكتيكية لقادته المرءوسين الذين ألحقت بهم مراراً الهزيمة، لأنهم كانوا يكتفون بالرد على ضرباتى دون أن يقوموا بأى عمل فيه روح المبادأة، ولم يكن «كننجهام» أو «ريتشى» خبراء فى المدرعات، مما جعلهم عاجزين عن إدخال أى تحسينات جذرية على تدريب قواتهم، وأهم من ذلك فشلهما فى استخدام قواتهما بالطريقة الصحيحة تبعاً للمطالب التكتيكية للحرب الميكانيكية، أما «أوكلنك» فقد أمسك زمام القيادة بين يديه ونفذ عملياته بتدبير وجرأة يستحقان الإعجاب.

٥ - كان مونتجمرى فى موقف يسمح له بالاستفادة من أخطاء الذين سبقوه، ويضاف إلى هذا أنه بينما قلت إمداداتنا إلى حد العجز، كانت القوافل البحرية الأمريكية والبريطانية تقوم بنقل كميات ضخمة من العتاد الحربى إلى شمالى أفريقيا، وهذه الإمدادات كانت تزيد بكثير عما كان يصل إلى «ويفل» أو «أوكلنك».

ومن مبادئه، ألا يدخل معركة ما لم يتأكد من انتصاره فيها، وبالطبع هذا أسلوب لا ينجح إلا إذا صحبه التفوق المادى مع إحرازه لهذا التفوق بالفعل.

وكان حذراً للغاية، بل أنى أعتقد أنه كـان مبالغاً في حذره، ولكنه استطاع استخدام هذه الصـفة لمصلحته، وقد كان يتـمتع بصفات استراتيجية أكثر منها تكتيكيـة، إلا أنه لم يكن ممتازاً فى قيادة القوات فـى المعارك الميكانيكية بالرغم من معرفته لأهمية تطبـيق هذه المبادئ تماماً، أما فى مجال التخطيط الاستراتيـجى فقد كان رائعـاً وخاصة فى معارك الغـزو التى قادها، ومن الصعب أن نجد له خطأ إستراتيجيا واحد.

٦ - وفى الحقيقة كانت القاعدة العامـة بالنسبة للقادة البريطانيين الكبار أن أغلبهم كانوا يفكرون بأسلوب استراتيجى أكثر منه تكتيكياً، وعند وضعهم للخطط وقعـوا فى خطأ، وهو أنهم كانوا يهـدفون للحصـول على ما يأملون فـيه استراتيجياً وليس للحصول على ما يمكنهم القيام به تكتيكياً.

٧ - وبوجه عام كان من الخطأ أن تبدل بريطانيا القائد العام فى أفريقيا باستمرار، فقد كان هذا يضطر القائد الجديد ليتعلم نفس الدروس المريرة مرة أخرى.

لقد أضاعت القيـادات العليا فى ألمانيا وإيطاليا كل فرصتنـا فى النجاح فى شمال أفريقيـا، ونتج عن ذلك تضحيتهـا دون سبب وبأعداد ضخمـة من القوات الألمانية والإيطالية فى تونس، مما جعل من المستـحيل وقف عمليات إنزال العدو فى جنوب إيطاليا، وكانت تجـربة الحلفاء هناك ناجحة فزودتهم بالثـقة التى كانوا يحتاجـون إليها للمخاطرة بالقيام بإنزال فى فرنسا، ولم تصمد قواتنا فى إيطاليا إلا لشجاعتها ولقيادة «كسلرينج» و«ويسـتفال» الممـتازة، فأدى هذا إلى عدم انهـيار الجبـهة هناك، ولكن الكارثة فى تونس أضـعـفت هيبـة الدوتشى، فـانهـارت أحلامـه بالنسـبة لإنشـاء الإمبراطورية الرومانية مرة أخرى.

وقد أمكن وقف البـريطانيين والأمريكيـين فى جبال إيطاليـا، ولكنهم بعد قليل أنزلوا قـوات كبـيرة فى نورمـاندى وحطموا تشكيـلاتى بمدفعـيتـهم ومدرعـاتهم وسلاحهم الجوى.

ولقد لقى رجالى حتفهم بالألوف دون تردد فى معركة لا يمكن أن نكسبها، ولم يعد بمقـدورنا الاستـمرار على ثلاث جـبهـات، وقد اختـرق الروس خطوطنا فى الشرق، وحطموا عـدداً كبيراً من فرقنا واندفـعوا نحو الغرب، ولن نسـتطيع إقامة جبهـات جديدة إلا بصعوبة بالغـة وباستخدامنا لآخـر قواتنا الاحتياطـية فى الشرق والغرب، وأخيراً ساد فى السماء فوق ألمانيا ظلام حالك.

* * * *

الفصل الرابع
الأيام الأخيرة
بقلم مانفرليد رومل

فى منتصف أغسطس ١٩٤٤، خلال وجودى خلف المدفع الذى أعمل عليه على مشارف مدينة «أولم»، تلقيت مكالمة هاتفية من قائد فرقتى: «لقد وصل والدك إلى «هرلينجن» ولقد نقلوك لتعمل كأحد أركانات حربه، وسيتم نقلك اليوم».

ونقلتنى سيارة القيادة إلى «هرلينجن»، واجتزت الحديقة وتوقفت أمام المنزل، وذهبت إلى غرفة المكتب وكان والدى يجلس فى مقعد ضخم بجوار منضدة وعينه اليسرى مغطاة برقعة سوداء وكان النصف الأيسر من وجهه مشوهاً من الإصابة التى أصابته، ونهض بصعوبة على قدميه ثم تبادلنا التحية، وقال رداً على سؤالى للاستفسار عن صحته، حتى الآن أنا فى تحسن وأحياناً تنتابنى نوبات صداع وعينى اليسرى مقفلة وغير قادرة على الحركة، ولكن هذا كله سيتحسن.

وجلست أنا ووالدتى معه، ثم استأنف حديثه عن تجاربه فى نورماندى، وتوسل الأطباء لوالدى أن يلزم فراشه لبضعة أسابيع، ولكنه لم يستمع لنصائحهم لأنه لم يكن مرتاحاً نفسياً على الإطلاق.

وقد انفجر والدى غاضباً عندما سمع أن القوات تسحب من الجبهة الشرقية لترسل للجبهة الغربية، وحتى هذا الوقت لم أكن قد سمعت شيئاً عن محاولات والدى لإتمام صلح منفصل مع الغرب، ولم أفكر مطلقاً فى أنه قد يكون هناك أى صلة بينه وبين الضباط الذين قبض عليهم بعد مؤامرة ٢٠ يوليو، ودهشت ذات يوم عندما سمعت أن بعض رجال «الجستابو» يحومون حول منزلنا ويهتمون بكل ما

يدور فى داخله، وفى هذا الوقت كنت قد اعتدت أنا ووالدى أن نتنزه يوميا فى الغابة القريبة من منزلنا.

وكانت حالة والدى تؤرق «هتلر»، لأن انتشار الأنباء بأنه حتى الفيلد مارشال «رومل» يعتبر الحرب منتهية، وينصح بإتمام صلح منفصل، فهذا يوازى إعلان إفلاس إمكانيات ألمانيا العسكرية، وهذا هو السبب فى أنه كبح جماح نفسه بعد أن عرف أن والدى حاول إتمام الصلح بمفرده منذ وقت طويل.

وفى يوم ٧ سبتمبر، أمر بالقبض على الجنرال «شبايدل»، وبدأ الفصل الأخير من المأساة، وبالرغم من أنه لم يكن قد تم إخطار والدى رسمياً بالقبض عليه، فإنه حاول بكل وسيلة ممكنة الحصول على العفو عنه.

ولكن ظل مكان الجنرال «شبايدل» مجهولاً، وبعد القبض عليه بقليل ذكر اسمه مع اسم والدى أمام لجنة الضباط العليا، ولكن قضية «رومل» لم تناقش رسمياً.

وفى ٧ أكتوبر، وصلت إشارة إلى «هرلينجن»، وطلب فيها الفيلد مارشال «كتيل» من والدى الذهاب إلى برلين لحضور مؤتمر هام فى ١٠ أكتوبر، على أن يسافر فى قطار خاص من «أولم»، وقال والدى عندما عرض عليه الأمر: «أنا لست غبيا لهذا الحد ونحن نعرف هؤلاء القوم الآن، ولن أصل لبرلين على قيد الحياة».

وتكلم فى الموضوع بصراحة مع الأستاذ «آلبريخت» أخصائى المخ فى جامعة «توبينجن» وكان يعالجه، وعليه كتب له البروفسور شهادة أنه لا يستطيع تحمل الرحلة، «قال والدى إنه سيفكر فى هذا العرض، ولكن الأحداث تحركت بسرعة، لأن رفض والدى الذهاب لبرلين لم يطل حياته لأكثر من أربعة أيام.

وعند عودة والدى إلى «هرلينجن» بعد رحلته الطويلة بالسيارة، وجد رسالة تليفونية تنتظره وتتضمن أن جنرالين سيحضران فى اليوم التالى للتكلم معه بخصوص مهمته المنتظرة.

وقبل ذلك بعـدة أسابيع كنت قد عدت لبطاريتى، ثم منحت بـعدها إجازة عن يوم ١٤ أكتـوبر، وتركت مـوقع المدفع فـى وقت مـبكر من الصـبـاح ووصلت «هرلينجن»، وكان والدى يتناول إفطاره بالفعل، وتناولنا الإفطار سوياً، ثم تنزهنا فى الحديقـة وبدأ والدى الحديث: «فى السـاعة الثـانية عشـر اليوم، سـيصل جنرالان لزيارتى لمناقشة مهمتى المستقبلة، وعليه فاليوم سيتقرر مصيرى، فإما محكمة الشعب أو قيادة جديدة فى الشرق».

وسألته: هل تقبل مثل هذه القيادة؟

وأخذنى من ذراعى وقال: «يا ولدى العزيـز إن عدونا الشرقى رهيب لدرجة أن أى اعتبارات أخـرى يجب أن ننساها، ولو نجح فى اجتياح أوروبا ولو حـتى مؤقتاً، فسيكون هذا نهاية لكل شىء، بالطبع سأقبل الذهاب إلى هناك.

وقبل الساعة الثانية عشـرة بقليل، ذهب والدى إلى غرفته فى الدور الأول وغبر ملابســه من السترة المدنية بنيـة اللون التى كان يرتديها فـوق بنطلون ركوب إلى زيه الأفريقى الذى كـان يفضله بسبب ياقـته المفتـوحة، وحوالى السـاعة الثانية عـشرة، وصلت سيارة خـضراء قاتمة عليهـا نمر معدنية تحمل اسم برليـن وتوقفت أمام بوابة حديقتنا، وكان فى المنزل بالإضافة لوالدى، النقـيب «آلدينجر» ومحارب قديم جريح برتبة العـريف وأنا، ونزل جنرالان وهما «بيـرجدورف» و«مايـزل»، ثم دخلا المنزل وكانا مهذبين وطلبا من والدى السماح لهـما بالتكلم معه على انفراد، وغادرت أنا و«آلدينجر» الغرفة، وشـعرت بالراحة لأنهم لن يقبضوا عليـه وبعدها بدقائق قليلة، سمعت والدى يـصعد السلم ويدخل غرفـة أمى، وللهفتى على معـرفة ما يدور، نهضت ودخلت الغرفة، وكان يقف فى منتصفـها ووجهه شاحب، وقال فى صوت منقـبض: «تعـال مـعى للخـارج»، وذهبنا إلى غـرفـتى، وبدأ يتكلم ببطء: «لقـد اضطررت لأن أقول لوالدتك إننى سأمـوت بعد ربع ساعة»، وكان هادئا واسـتمر

فى حديثـه: «إن موت المرء بيد بنى وطنه أمـر صعب، ولكن المنزل الآن محـاصر و«هتلر» يتهمنى بالخـيانة العظمى»، وقال بسخرية: «ونظرا لخدمـاتى فى أفريقيا فلى الخيار فـى أن أموت بالسم، وقد أحضـره الجنرالان معهمـا، وهو يميت فى ثلاث ثوان، ولو قبلت لن تتـخذ الخطوات المعتـادة ضد عائلتى أى ضدكـما، كما أنهـما سيتركا هيئة أركان حربى وشأنهما»، وقاطعته: وهل تصدق هذا»؟

وأجابنى: «نعم أنا أصدقهم، فمن صالحـهم ألا تفوح رائحة الموضوع، وبالمناسبة لقد كلفونى بأن أفرض عليكما الصـمت التام، ولو خرجت كلمة واحدة فإنهم لن يرتبطوا بما اتفقنا عليه».

وحاولت مرة أخـرى: «ألا نستطيع الدفاع عن أنفسنا»، ولكنـه قاطعنى فى الحال قائلاً: «لا داعى فـالأفضل أن يموت واحـد منا من أن نقتل جمـيعاً فى معـركة بالنيران، وعلى أى حال ليس لـدينا ذخيرة، وودعنا بعضنا باختـصار، ثم قال لى: أرجو أن تستدعى «آلدينجر».

وكان «آلدينجـر» فى هذه الأثناء قد شغل بالحديث مع حـرس الجنرالان لإبعاده عن والدى، وعند ندائى عليه جاء يـجرى صاعداً، وقد صدم بشـدة عندما سمع بالخبر، وتكلم مع والدى بسرعة، وقال مرة أخرى: «إنه من المستحيل أن ندافع عن أنفسنا لأنهـم أعدوا كل شىء بدقة، وسـيقيـمون لى جنازة عسكـرية، وقد طالبت إقامتـها فى «أولم»، وفى خلال ربع ساعة سـتتلقى مكالمة تليفونيـة يا «آلدينجر» من مستشفى «واجنارشـيل» فى «أولم»، تقول إنى أصبت بنزيف فى المخ وأنا فى طريقى إلى المؤتمر»، ثم نظر فى سـاعته: «يجب أن أذهب فـقد سمـحوا لى بعشـر دقائق فقط»، وودعنا بسرعة مرة أخرى ثم نزلنا سويا.

وساعدنا والـدى على إرتداء معطفه الجلدى، ثم خرجنا من المنـزل سوياً، وكان الجنرالان يقفان فى بوابة الحديقة، وسـرنا ببطء فى الممر، وعند اقترابنا من الجنرالين

رفعا أيديهما اليمنى بالتحية، وقال «بيـرجرورف» باختصار: «سيدى الفيلد مارشال» وانحنى جانباً ليـمر والدى عبر البوابـة، وكانت السيارة تقف على استـعداد، وفتح السـائق باب السـيارة، ووقف فى وضع انتبـاه، ووضع والدى عصا المارشـالية تحت ذراعه الأيسر وبوجـه هادئ صافحنى وصافح «آلدينجر» مـرة أخرى قبل أن يركب السيارة. وصعد الجنرالان بصرعة إلى مقـعديهما وقفلت الأبواب وانطلقت السيارة بسرعة صاعـدة التل واختفت عند منحنى الطريق، وبعد عشرين دقـيقة دق جرس التليفون، ورفع «آلدينجر» السماعة لـيسمع خبر وفاة والدى، وفى هذا المساء ذهبنا لمستشـفى «أولم» حيث يرقد والدى رقدته الأخيرة، وكـان والدى يرقد على السرير فى لباسه الأفريقى البنى وعلى وجهه تعبير ينم عن الاحتقار.


وأحقـر مظاهر هذه القصـة، هى مشاعـر العزاء التى تلقـيناها من «هتلر» ومن أعضـاء الحكومة الألمانـية، وهم رجال لابـد وأنهم يعرفـون السبب الحـقيقـى لوفاة والدى، وساهم بعضهم بالفعل فيها بالكلام والعمل.

وبينما كان هؤلاء الرجال يحاولون بنفاقهم إخفاء حقيقة هذه المهزلة، كان الآلاف من الجنود الألمان يموتون فى الشمال والجنوب والشرق والغرب بأمل ضئيل، ولكن كانوا يثقون ثقة كاملة فى قياداتهم.

* * * *

الفهرس

الموضوع | صفحة


مذكرات قادة الحرب العالمية الثانية
جوبلز
ديجول
مونتجمري
آيزنهاور
تشرشل
موسولينى
رومل
أدولف هتلر
I.S.B.N. 977-436-057-5
9 789774 360572
مكتبة النافذة
Bibliotheca Alexandrina
0672784